بعاكفون والجملة الاسمية حالية (تلك) اسم إشارة مبتدأ (حدود الله) خبر ومضاف إليه وجملة تلك استئنافية (فلا تقربوها) الفاء الفصيحة ، ولا ناهية ، وتقربوها فعل مضارع مجزوم بلا ، أي إذا شئتم السلامة بأنفسكم فانتهوا ولا تقربوها ، فقد كان بعضهم يخرج وهو معتكف ويجامع امرأته ويعود والجملة استئنافية (كذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال (يبين الله) فعل مضارع وفاعله (آياته) مفعول به والجملة استئنافية (للناس) الجار والمجرور متعلقان ببيين (لعلهم يتقون) لعل واسمها ، وجملة يتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

١ ـ الكناية في قوله : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » لأن اللباس ما يكون بجسم الإنسان ، والرجل والمرأة إذ يشتمل كل واحد منهما على الآخر ويعتنقان يشبهان اللباس المشتمل عليهما . قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فكانت لباسا

نماذج من الكناية :

وقد تقدم ذكر الكناية ونزيد هنا الموضوع بسطاً فنقول : إن الغرض من الكناية تنزيه اللسان عما لا يليق ذكره ، والكناية عنه بأرشق لفظ ، ولكل كناية غرض ، والأغراض لا عداد لها ، ولهذا كان غور الكناية لا يسبر فمن أمتعها قول الشريف الرضي :

برد السّوار لها فأحميت القلائد بالعناق

أي أنه لما برد سوارها ، آخر الليـل ، علمت أن نسمة الفجر طلعت ، فأحميت قلائدها بالعناق كي تصير القلائد مكذبة لما أشار إليه السوار من طلوع الفجر المؤذن بالفراق ، فعدل عن التصريح بذلك الى برد السوار لينقل الذهن الى هبوبْ نسمة الفجر المؤذنة بالفراق والداعية له ، وقد اشتهرت الكنايـة في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تصوّناً منه وترفعاً ، فمما جـاء من هـذا الديباج قوله : « إن امرأة كانت فيمن كان قبلنا ، وكان لها ابن عمّ يحبها فراودها عن نفسها ، فامتنعت عليه ، حتى إذا أصابتها شدة فجاءت إليه تسأله فراودها ، فمكنته من نفسها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحلّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها » وهذه كناية واقعة موقعها . ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رويدك سوقك بالقوارير » يريد بذلك النساء فكنّى عنهن بالقوارير ، وذلك أنه كان في بعض أسفاره ، وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير .

ومن الكناية أيضاً في هـذه الآية قوله : « فالآن باشروهن » والمباشرة في قول الجمهور الجماع ، وقيل الجماع فما دونه . وهو مشتقّ من تلاصق البشرتين ، فيدخل فيه المعانقة والملامسة .

٢ ــ التشبيه البليغ فقد شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق بالخيط الأبيض الممدود ، وما يمتدّ من غبش الليل بالخيط الاسود الممدود ، وهو تشبيه مألوف كثيراً . ولو لم يذكر من الفجر لكان استعارة تصريحية ، ولكن ذكر المشبّه أعاده الى التشبيه البليغ المحذوف الأداة .

٣ ـ الطباق لأنه طابق بين الابيض والاسود ، أما ذكر بقية الألوان فيسمى تدبيجاً كقول أبي تمام :

تردّى ثياب الموت حمراً فما دجا
لها الليل إلا وهي من سندس خضرُ

الفوائد :

« حتّى » في الكلام على ثلاثة أنواع :

١ ـ تكون لانتهاء الغاية ، فتجر الاسماء على معنى ، كقوله تعالى: سلام هي حتى مطلع الفجر » وتنصب الافعال بأن مضمرة بعدها كالآية .

٢ ـ وتكون عاطفة .

٣ ـ وتكون حرف ابتداء يبتدأ بها الكلام كقول المتنبي :

هو الجد حتى تفضل العين أختها
وحتى يكون اليوم لليوم سيد

فرفع الفعلين بعدها لأنها ابتدائية . وسيأتي مزيد من أبحاث (حتى) التي لا تنتهي ، فقد كان الفراء يقول عند احتضاره : أموت وفي قلبي شيء من حتى .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

اللغة :

(تدلوا بها) تلقوا بها ، وأدلى الدلو أرسلها في البئر ، وسقى أرضه بالدّالية وبالدوّالي وهي النواعير ، ودلّى شيئاً في مهواة وتدلّى هو بنفسه ودلّى برجليه من السرير ودلاّه بحبل من سطح أو جبل . قال الفرزدق :

هما دلّتاني من ثمانين قامةً

كما انقضّ بازٌ أقتمُ الرّيش كاسره

والدوالي : عنب أسود غير حالك ، ولا أدري علام استند صاحب المنجد في زعمه : إنها مولّدة . هذا وقد تقصيت كل ما فاؤه دال وعينه لام فاذا به يفيد معنى التّدلّي والانملاس ، ومنه الدلج وهو السّرى بالليل ، ولا يخفى ما فيه من الانملاس ، ودلف الشيخ مشى فوق الدّبيب كأنه يتدلى من مكانٍ عالٍ . وهذا من العجب بمكان .

الاعراب :

(ولا تأكلوا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم آخر يتعلق بالأموال وطرق اكتسابها ، ولا ناهية ، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (أموالكم) مفعول به (بينكم) ظرف متعلق بمحذوف حال من أموالكم ، أي لا تأكلوها كائنة بينكم

(بالباطل) الجار والمجرور متعلقان بتأكلوا أي لا تتناولوها بسبب باطل (وتدلوا) الواو عاطفة ، وتدلوا فعل مضارع معطوف على تأكلوا داخل في حيز النهي ، ولك أن تجعلهـا للمعية ، وتدلوا منصوب بأن مضمرة بعدها (بها) الجار والمجرور متعلقان بتدلوا (إلى الحكام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي لاجئين متحاكمين (لتأكلوا) اللام للتعليل ، وتأكلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله (فريقاً) مفعول به (من أموال الناس) الجار والمجرور متعلقـان بمحذوف صفة (بالإثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي متشبثين بما يستوجب الإثم من شهادة الزور واليمين الكاذبة (وأنتم) الواو حالية ، وأنتم ضمير منفصل مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع مرفوع، وفاعل ، والجملة خبر، والجملة بعد واو الحال حالية.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

اللغـة :

(مواقيت) : جمع ميقات ، وأصله مِوْقات قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ، وهي معالم يوقّت الناس بها شئون معايشهم .

الاعراب :

(يسألونك) فعل مضارع مرفوع ، وفاعـل ، ومفعول به ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في اختلاف الأهلة ، بعد أن ألحفوا في السؤال عن ذلك . روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريّ قالا : يا رسول الله ، ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، لا يكون على حال واحدة ؟ فجاءت الآية بالحكم الشامل الحاسم . والحكمة المتوخاة من تطور الهلال لتوقيت المعايش واتساقها على نمط واحد باهر ، والهلال مفرد وجمع ، باختلاف زمانه ، ويجمع قياساً على أهلّة ، وهو مقيس في فِعال المضعّف ، نحو : عنان وأعنّة ، وزِمام وأزمّة ، وسنان وأسنّة . (عن الأهلة) الجار والمجرور متعلقان بيسألونك (قل) فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية (هي مواقيت) جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب مقول القول (للناس) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمواقيت (والحج) عطف على الناس (وليس) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للاستطراد ، وسيأتي ذكره ، أو كأنه تعكيس في سؤالهم ، وإن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره ، وليس فعل ماض ناقص (البر) اسم ليس (بأن تأتوا البيوت) الباء حرف جر زائد في خبر ليس ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ليس ، والبيوت مفعول به (من ظهورها) الجار والمجرور متعلقان بتأتوا (ولكن) الواو عاطفة ، ولكن حرف للاستدراك مشبه بالفعل (البر) اسمها المنصوب ، ولا بد من تقدير محذوف ليتسق الكلام ، كأنه قيل : إن ما تفعلونه من استقصاء في السؤال ليس براً ، ولكن البر (من) اسم موصول خبر لكن ، ولا من حذف مضاف ، أي برّ مَن (اتقى)

الجملة صلة الموصول لا محل لها (وأتوا) الواو عاطفة ، وعطف الإنشاء على الخبر جائز ، فقد تقدمت جملتان خبريتان وهما : ليس البر ، ولكن البر من اتقى ، وعطف عليها جملتان إنشائيتان وهما : وأتوا البيوت ، واتقوا الله (البيوت) مفعول به (من أبوابها) الجار والمجرور متعلقان بأتوا (واتقوا الله) الجملة عطف على الجملة الأمرية (لعلكم تفلحون) لعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

« الاستطراد » وهو فن دقيق متشعب ، يجنح اليه المتكلم في غرض من أغراض القول يخيل إليك انه مستمر فيه ، ثم يخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ، ثم يرجع الى الاول ، فقد ذكر عن الأهلة واختلافها أنها مواقيت للحج ، وأن مثلهم في السؤال كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره ، فقد كان ناس من الانصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ــ أي بستاناً ــ ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ، فاذا كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلماً فيه يصعد ، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ، فقيل لهم ذلك . ومن جميل هذا الفن قول عبد المطلب :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فان تسلّت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

الفوائد :

اختلف علماء البلاغة في السؤال : أهو سؤال عن السبب أم عن

الحكمة ؟ واختار الزمخشري والراغب والقاضي البيضاوي أنه سؤال عن الحكمة كما يدل عليه الجواب إخراجاً للكلام على مقتضى الظاهر لأنه الأصل ، واختار السكاكي أنه سؤال عن السبب ، لأن الحكمة ظاهرة لا تستحق السؤال عنها ، والجواب من الأسلوب الحكيم . وقد أطال كل فريق في الاحتجاج لما يدعيه ، وانتهى بهم الأمر الى التراشق بقوارص الكلام ، مما لا يتسع له المقام فلله درّ رجال التراث عندنا ، ما أشدّ تقصيهم وأكثر تنقيبهم .

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾

اللغــة :

« ثقفتموهم » : وجدتموهم ، وثقف الشيء : أخذه أو ظفر به أو أدركه ، وثقفتُ العلم والصناعة في أوحى مدة إذا أسرعت أخذه ، وغلام ثقف لقف ، وقد ثقف ثقافة بفتح الثاء ، والثاء والقاف تدلان على معنى الأخذ على وجه الغلبة إذا اجتمعتا في أول الكلمة ، فالثقل

معروف ينوء به صاحبه لأنه يغلبه وينوءه ، وأثقله المرض غلبه ، والثقال بفتح الثاء : المرأة العظيمة الكفل ، الثقيلة التصرف . قال الراعي :

ثقال إذا راد النساء فريدة صناع فقد صادت لدى الغوانيا

وثقب الشيء بالمثقب، وثقب اللآل الدرة وثقبن البراقع لعيونهن . قال المثقب العبدي :

أرين محاسناً وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

الاعراب :

(وقاتلوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أحكام القتال ، وهي أول آية نزلت في المقاتلة في المدينة لإعلاء كلمة الله . وقاتلوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بقاتلوا (الذين يقاتلونكم) اسم الموصول مفعول به ، وجملة يقاتلونكم صلة (ولا تعتدوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتعتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل (إن الله) إن واسمها (لا يحب المعتدين) لا نافية ، ويحب فعل مضارع مرفوع ، والفاعل مستتر يعود على الله ، والمعتدين مفعول به ، وجملة لا يحب المعتدين خبر إن ، وجملة إن وماتلاها تعليلية(واقتلوهم) عطف أيضاً ، وكرر الأمر بقتلهم للتأكيد (حيث) ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم (ثقفتموهم) فعل وفاعل ومفعول به ، والميم علامة جمع الذكور وقد أشبعت بالواو الزائدة،والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة (وأخرجوهم) عطف على اقتلوهم (من حيث) أدخل

حرف الجر على حيث ، ولا يجر إلا بها وبالباء ، والجار والمجرور متعلقان بأخرجوهم (أخرجوكم) فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل جر بالإضافة (والفتنة) الواو اعتراضية والفتنة مبتدأ(أشد)خبر (من القتل) الجار والمجرور متعلقان بأشدّ،والجملة اعتراضية لامحل لها جارية مجرى المثل كما سيأتي(فإن) الفاء استئنافية،وإن شرطية(قاتلوكم) فعل ماض مبني على الضم ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، والفعل في محل جزم فعل الشرط (فاقتلوهم) الفاء رابطة لجواب الشرط ، واقتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وجملة فاقتلوهم في محل جزم جواب الشرط (كذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (جزاء الكافرين) مبتدأ مؤخر والجملة استئنافية (فإن) الفاء استئنافية ، وان شرطية (انتهوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (فإنّ) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وانّ حرف مشبه بالفعل (الله) اسم إن (غفور رحيم) خبران لإن .

البلاغة :

في قوله تعالى : « والفتنة أشد من القتل » فن ارسال المثل ، فهي جملة مسوقة مساق المثل ، لأن الإخراج من الوطن هو الفتنة التي ما بعدها فتنة ، وقيل لبعضهم : ما أشدّ من الموت ؟ قال : الذي يُتمنّى معه الموت ، والإخراج من الوطن بمثابة إخراج الروح من الجسم . قال ابن الرومي :

فقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

ولعل زعيم الشعراء المبدعين فيه أبو الطيب المتنبي .

ولو أردنا الاقتباس لضاق بنا المجـال وحسبك أن ترجـع الى ديوانه لتجد ما يستهويك .

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

الاعراب :

(وقاتلوهم) الواو حرف عطف ، وقاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به . أمرهم بالقتال تفادياً لطروء الفتنة ، وهي الإخراج من الوطن (حتى) حرف غاية وجر ، والمراد به هنا التعليل (لا) نافية (تكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، وهي هنا تامة ، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم ، و (فتنة) فاعل تكون (ويكون) عطف على تكون وهي هنا ناقصة (الدين) اسمها (لله) الجار والمجـرور متعلقان بمحذوف خبرها ، ولا يبعد أن تكون تامة أيضاً ، فيكون الدين فاعلاً والجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال ، أي خالصاً لله (فإن) الفاء استئنافية ، وإن شرطية (انتهوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا نافية للجنس (عدوان) اسمها المبنى على الفتح (إلا) أداة حصر (على الظالمين)

الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة في محل جزم جواب الشرط (الشهر الحرام) الشهر مبتدأ ، والحرام صفة (بالشهر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا بد من حذف مضاف ، أي هتك حرمة الشهر الحرام ، وهو ذو القعدة من السنة السابعة للهجرة وبهتك حرمة الشهر الحرام وهو ذو القعدة من السنة السادسة فقد قاتلوكم عام الحديبية ، فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة من السنة السابعة وكراهيتهم القتال فيه : هذا الشهر متقابل بهذا الشهر وهتكه بهتكه وجزاء كل شرّ شرّ مثله (الحرام) صفة والجملة استئنافية (والحرمات قصاص) الواو عاطفة ، والحرمات مبتدأ ، وقصاص خبر (فمن) الفاء الفصيحة ، ومن شرطية مبتدأ (اعتدى) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (عليكم) الجار والمجرور متعلقان باعتدى (فاعتدوا) الفاء رابطة لجواب الشرط واعتدوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، والجملة الواقعة بعد الفاء الفصيحة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (عليه) الجار والمجرور متعلقان بقوله فاعتدوا (بمثل) الجار والمجرور متعلقان باعتدوا أو بمحذوف حال (ما) مصدرية (اعتدى) فعل ماض ، والمصدر المنسبك من ما واعتدى مضاف إليه أي بمثل اعتدائه (عليكم) الجار والمجرور متعلقان باعتدى (واتقوا الله) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتحذير من المبالغة في الانتقام ، لأن النفس مفطورة على حب المبالغة في الانتقام ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (ان الله) ان واسمها (مع المتقين) مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ،

والمتقين مضاف إليه ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥)

اللغـة :

(التهلكة) : من نوادر المصادر وليس فيما يجري على القياس ، وفي القاموس : إنه مثلث اللام .

واقتصر الجوهري في صحاحه والرازي في مختاره على تثليث لام مهلك ، وأما التهلكة فهي بضم اللام .

الاعراب :

(وأنفقوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للأمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالنفس ، وأنفقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا (ولا تلقوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتلقوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (بأيديكم) الباء مزيدة ، مثلها في أعطى بيده للمُنقاد ، لأن ألقى فعل يتعدّى بنفسه ، وقيل ضُمّن تلقوا معنى فعل يتعدّى بالباء ، أي لا تفضوا بأيديكم ، وقيل : المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم (إلى التهلكة) الجار والمجرور متعلقان بتلقوا (وأحسنوا) الواو عاطفة ، وأحسنوا فعل أمر وفاعل (إن الله) إن واسمها (يحب المحسنين) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ،

وجملة يحب المحسنين خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

البلاغة :

المجاز المرسل في الأيدي ، والمراد بها الأنفس ، لأن البطش والحركة يكون بها ، فهي مجاز مرسل علاقته الجزئية ، من إطلاق الجزء وإرادة الكل ، أو السببية ، لأن اليد سبب الحركة كما تقدم .

لمحة تاريخية :

اختلف المفسرون في معنى إلقاء الأيدي الى التهلكة ، وأقرب ما يقال فيها : إن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدوّ فصاح به الناس: ألقى بيده الى التهلكة. فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية،إنما أنزلت فينا،صحبنا رسول اللهصلى الله عليهوسلمفنصرناه، وشهدنا معه المشاهد،وآثرناه على أهلينا وأموالنا وأولادنا،فلما وضعت الحرب أوزارها رجعنا الى أهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها ، فكانت التهلكة، الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد . وقال آخرون في تفسير هذه الآية : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، بالإسراف وتضييع وجه المعاش ، أو بالكفّ عن الغزو والإنفاق فيه ، فإن ذلك مما يقوي العدوّ ويسلطهم عليكم . وعن أسلم أبي عمران قال : غزونا المدينة ــ يريد القسطنطينية ــ وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال : فصففنا صفّين لم أرَ صفّين قط أعرض ولا أطول منهما ، والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة ،

قال : فحمل رجل منا على العدوّ فقال الناس : مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بيده الى التهلكة • قال أبو أيوب الأنصاري : إنما تتأولون هذه الآية هكذا ، إن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة ، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، إنّا لما نصر الله نبيه وأظهر الاسلام قلنا بيننا : إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها ، فأنزل الله الخبر من السماء ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى استشهد ودفن بالقسطنطينية ، قلت : وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التي مات فيها أبو أيوب ، وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة تسع وأربعين للهجرة ، ومعه جماعة من سادات الصحابة • ثمّ غزاها يزيد سنة اثنين وخمسين ، وهي التي مات فيها أبو أيوب ، وقبره هناك الى الآن وقد شيد عليه مسجد شهير • وإنما أطلنا في هذا الصدد لأنه يناسب حالتنا الراهنة ، وحالة كل أمة تتخلف عن الجهاد ، وتهمل تعبئة الإمكانيات ، وحشد الطاقات •

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ

ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

اللغــة :

(العمرة) في الحج معروفة ، وقد اعتمر ، وأصله من الزيارة . قال الزجاج : معنى العمرة في العمل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمَرْوَة فقط ، والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تكون للانسان في السنة كلها ، والحج وقت واحد في السنة ، وأحكامها في علم الفقه ، والجمع : عمر وعُمُرات .

(أحصرتم) منعتم ، يقال : أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز . قال ابن ميادة :

وما هجر ليـلى أن تكون تباعـدت
عليك ولا أن أحصـرتك شغـول

(استيسر) تيسّر ، يقال : يسر الأمر واستيسر .

(الهدي) : يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاجّ أو المعتمر هدية لأهل الحرم . وفي المختار : قرىء « حتى يبلغ الهدي محلّه » مخفّفاً ومشدّداً . والواحدة هَدْيَة وهَدِيّة ، ويقال : ما أحسن هِدْيته أي سيرته ، وكانوا يقسمون بها في أيمانهم . قال العلاء ابن حذيفة الغنوي :

يقولون من هـذا الغريب بأرْضنا

أما والهـدايا إنني لغـريب

(محله) : اسم مكان من حل يحل ، أي صار ذبحه حلالاً . وكسرت الحاء لأن عين مضارعه مكسورة .

الاعراب :

(وأتموا) الواو عاطفة ، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الحج) مفعول به (والعمرة) معطوف على الحج (لله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي خالصاً لوجهه ، ولك أن تعلقهما بأتموا فتكون اللام هي لام المفعول لأجله ، وقد اقتبس الشعراء هـذا التعبير الجميل وصرفوه الى مناحي التغزل ، فقال ذو الرمّة وأبدع :

تمام الحـجّ أن تقف المطايا عـلى خرقـاء واضعة اللثـام

جعل الوقوف على خرقاء ، وهي محبوبته من بني عامر ، كبعض مناسك الحج التي لا ندحة عن إتمامها (فإن) الفاء الفصيحة ، وإن شرطية (أحصرتم) فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط (فما) الفاء رابطـة ، وما اسم موصول في محل رفـع مبتدأ خبره محـذوف ، أي فعليكم ما استيسر والجملة جـزم جواب الشرط (استيسر) فعل ماض ، وفاعله مستتر ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (من الهدي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي كائناً من الهدي (ولا) الواو حرفِ عطف ، ولا ناهية (تحلقوا) فعل

مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (رءوسكم) مفعول به (حتى يبلغ) حتى حرف غاية وجر والجار والمجرور متعلقان بتحلقوا ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة (الهدي) فاعل (محله) مفعول به (فمن) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسمها ضمير مستتر يعود على من (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (مريضاً) خبر كان (أو) حرف عطف (به) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (أذى) مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين (من رأسه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لأذى (ففدية) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وفدية مبتدأ محذوف الخبر أي فعليه فدية والجملة جواب الشرط (من صيام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفدية (أو) حرف عطف (صدقة) عطف على صيام (أو) حرف عطف (نسك) معطوف على صيام وفعل الشرط وجوابه خبر من (فإذا) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن (أمنتم) الجملة الفعلية في محل جر بالإضافة . (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) الفاء جواب إذا ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتمتع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبالعمرة متعلقان بتمتع ، والى الحج متعلقان بمحذوف ، أي واستمر تمتعه وانتفاعه بالمحظورات الى الحج (فما) الفاء رابطة لجواب الشرط وما اسم موصول مبتدأ خبره محذوف ، أي فعليه ما (استيسر) فعل ماض ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة فما استيسر في محل جزم جواب الشرط (من الهدي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (فمن) الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ (لم يجد) لم حرف نفي وقلب وجزم ، ويجد فعل مضارع مجزوم بلم ، والفعل

المجزوم هو فعل الشرط ، وفاعله ضمير مستتر يعود على من ، ومفعوله محذوف لظهور المعنى ، والتقدير فمن لم يجد ما استيسر من الهدي (فصيام) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وصيام مبتدأ محذوف الخبر ، أي فعليه فصيام ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (ثلاثة أيام) مضاف إليه (في الحج) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وسبعة) عطف على ثلاثة (إذا رجعتم) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن ، وجملة رجعتم في محل جر بالإضافة (تلك) اسم الإشارة مبتدأ (عشرة) خبر (كاملة) صفة (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ (لمن) اللام حرف جر ، ومن اسم موصول في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (لم يكن) لم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم (أهله) اسمها ، وجملة لم يكن لا محل لها لأنها صلة اسم الموصول (حاضري) خبر يكن (المسجد) مضاف إليه (الحرام) صفة (واتقوا الله) الواو استئنافية ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (ان الله) ان واسمها (شديد العقاب) خبر أنّ ، وأنّ وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

البلاغـة :

في هذه الآية فنٌّ بياني رفيع دقيق المأخذ ، ويسميه علماء البلاغة التكرير،وحدّه هو أن يدل اللفظ على المعنى مردداً، وهو في الآية بقوله تعالى:«تلك عشرة كاملة» بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين،ثم قال كاملة،وذلك توكيد ثالث،والأمر إذا صدر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير ولم يكن موقتاً بوقت معيّن كان في ذلك إهابة الى المبادرة لامتثال الأمر والانصياع للحكم على الفور من غير ريث

ولا إبطاء ، ومن ثم وجب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فوراً ، فتفطّن لها فإنها من الأسرار . وسترد للتكرير أمثلة في القرآن الكريم توضحه تمام الإيضاح وقد رمق الشعراء سماء القرآن فقال أبو تمام مادحاً :

نهوض بثقل العبء مُضطلع به
وإن عظمت فيه الخطوب وجلّت

والثقل هو العبء ، وإنما كره للمبالغة . وقال البحتري متغزلاً :

ويوم تثنّت للوداع وسلّمت … بعينين موصول بلحظهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى … كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

فقد أراد تشبيه طرفها لفتوره بالنائم ، فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف إليه ، وهو قوله « كرى النوم » تأكيداً له وزيادة في بيانه ، أو ليزيل كل وهم قد يساور السامع .

قال المبرّد وأحسن : « ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهّم أنه قد بقي بعد ذكر السبعة شيء آخر » .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟

فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

اللغــة :

(الفسوق) : يقــال فَسَقَ عن أمر الله أي خرج ، وفسقت الرّطبة عن قشرها ، والفأرة عن جحرها ، ومن غريب الفاء والسين أن اجتماعهما فاءً وعيناً للكلمة يدلّ على استكراه في معنى الكلمــة ، وهذا أمر عجيب تميّزت به لغتنا على سائر اللغات . فمن ذلك فسأ الثّوب أي شقّه ، وأنت تكره أن يفسأ لك أحــد ثوبك ، وفسىء بكسر السين خرج صدره ودخل ظهره ، وتلك صورة مستكرهــة منبوّة ، وفسخ العقد نقضه ، وما أحسب أحداً يرضى أن يفسخ له عقد ، والفسل المسترذل المستوخم ، قال الفرزدق :

فلا تقبلوا منهم أباعر تشترى بوكس ولا سوداً تصحّ فسولها

الاعراب :

(الحج أشهر معلومات) مبتدأ وخبر ، ومعلومات صفة لأشهر ، والأشهر المعلومات : شوّال وذو القعــدة وعشر ذي الحجــة عند أبي حنيفة ، وعند الشافعي : تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر ، وعند مالك : ذو الحجة كله في أحد أقواله ، نزّل بعض الشهر منزلة الشهر كله ، تقول : رأيتك سنة كذا وإنما وقعت الرؤية في ساعة من السنة لا كلها ، والجملة مستأنفة لا محــل لها (فمن) الفاء الفصيحة لأنها جاءت بمثابة إجابة بالتفصيل لمن استوضح عن المجمــل ، ومن اسم

شرط جازم مبتدأ (فرض) فعل الشرط ، وفاعله هو (فيهن) الجار والمجرور متعلقان بفرض (الحج) مفعول به ، أي على نفسه (فلا رفث) الفاء رابطة لجواب ، ولا نافية للجنس ، ورفث اسمها ، وقد تقدم معنى الرفث (ولا فسوق) عطف على قوله فلا رفث (ولا جدال في الحجّ) عطف أيضاً ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (وما) الواو استئنافية ، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتفعلوا (تفعلوا) فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون (من خير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يعلمه الله) جواب الشرط ، والهاء مفعول به ، والله فاعل (وتزودوا) الواو استئنافية ، وتزودوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (فإن) الفاء تعليلية ، وإن حرف مشبه بالفعل (خير الزاد) اسم ان ومضاف إليه (التقوى) خبرها ، والجملة لا محل لها (واتقون) الواو عاطفة ، واتقون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية ، وياء المتكلم المحذوفة والمدلول عليها بالكسرة مفعول به (يا أولي الألباب) يا أداة نداء ، وأولي الألباب منادى مضاف وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف إليه ، والجملة معطوفة على جملة تزودوا .

البلاغة :

١ ــ في هذه الآية ضرب من النهي عجيب ، وذلك أن المنهيّ عنه يتوقف مقياسه على حسب موقعه ، بحيث يعتبر غير مستحقّ للنهي فيما لو وقع في غير ذلك الموقع ، وتخصيص الحجّ بالنهي عن

الرفث والفسوق والجدال فيه يشعر بأن هذه الاعمال في غير الحجّ ، وإن كانت منهياً عنها وقبيحة ، إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة لوقوعها في الحجّ ، فاجتنابها متحتّم على كل حال ، ولكن اجتنابها في الحجّ أمر فوق الاجتناب . وللنهي في لغتنا العربيّة فروع وشعاب لا يكاد يسبر لها غور ، ومن ذلك أن تنهى عن أمر هو في الحقيقة ممدوح ومحمود ، ولكنه يوبق صاحبه إذا بلغه ، وقد فطن شاعر الخلود المتنبي الى هذه الأسرار عندما نهى صاحبيه أن يبلغا سيف الدولة مديحه فيه فيزداد اندفاعاً ويرمي بنفسه في المخاطر الموبقة ، قال وقد سما ما شاء :

فلا تبْلغـاه ما أقول فإنّـه شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

فهو لم يقصد من التماسه من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما سمعاه من صفات أعماله ، وطعان فرسانه ، رفقاً به وحذراً أن يدفعه الشوق الى التطويح بنفسه في المخاطر . ويشبهه الى حدّ ما قول كثيّر صاحب عزة :

فلا تذكـراه الحاجبيّة إنّـه متى تذكـراه الحاجبيّة يحزن

٢ ـ التشبيه البليغ ، فقد شبه التقوى بالزاد بجامع التقوية وشدّ الأسر والامتناع .

٣ ـ الإطناب في قوله : « يا أولي الألباب » فإن الأمر بالتقوى ليس خاصاً بأولي الألباب وحدهم ، ولا يتوجّه الكلام اليهم دون غيرهم بصدد الحث عليها ، لأن كل إنسان مأمور بالتقوى ، ويسمى

هذا ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص على العام وأرجحيته ، وإنما يتفاضل الناس بالألباب التي هي العقول ، وقد رمق المتنبي سماء هذا المعنى فقال :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

٤ ــ استعمل القرآن الألباب مجموعة فلم يأت بها مفردة لأنها من الألفاظ التي يسمج مفردها ويعذوذب جمعها ، وهذا خاصة كامنة في لغتنا .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾

اللغــة :

(أفضتم) : دفعتم أنفسكم وسرتم للخروج منها ، والإفاضة دفع بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة ، وفي المصباح : « وأفاض الناس من عرفات دفعوا منها ، وكل دفعة إفاضة . وأفاضوا من منى الى مكة يوم النحر رجعوا إليهــا ، ومنه طواف الإفاضة أي طواف الرجوع من منى الى مكة » .

(عرفات) : علم للموقف واستدل سيبويه على علميته بقوله : « هذه عرفات مباركاً فيها » بنصب « مباركاً » على الحال ولو كان نكرة لجرى عليه صفة ، وبأنه لو كان نكرة لدخلت عليه الألف واللام ، وهي لا تدخل . وسيأتي حكم إعرابه في الفوائد .

(المشعر) : جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وسمي مشعراً من الشعار وهو العلامة .

الاعراب :

(ليس عليكم جناح) ليس فعل ماض ناقص وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم وجناح اسم ليس المؤخر (أن) حرف مصدري ونصب (تبتغوا) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل وان وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي : في أن تبتغوا ، والجار والمجرور صفة لجناح (فضلاً) مفعول به (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بتبتغوا أو بمحذوف صفة لفضلاً (فإذا) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب (أفضتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (من عرفات) الجار والمجرور متعلقان بأفضتم (فاذكروا) الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا فعل أمر وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (الله) مفعول به (عند المشعر) الظرف متعلق باذكروا (الحرام) صفة للمشعر ، ولك أن تعلق الظرف بمحذوف حال أي : كائنين عند المشعر الحرام (واذكروه) الواو عاطفة وكررها للتوكيد . واذكروه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (كما هداكم) الكاف

حرف جر وما مصدرية ، وهي مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أو حال ، أي : اذكروه ذكراً حسناً ، أو اذكروه مثل هدايته إياكم وجملة هداكم لا محل لها لأنها واقعة بعد موصول حرفي (وإن) الواو حالية وإن مخففة من الثقيلة وقد تقدم حكمها إذا خففت ، وإن الأكثر إهمالها (كنتم) كان الناقصة واسمها (من قبله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (لمن الضالين) اللام هي الفارقة ، ومن الضالين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم . (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (أفيضوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (من حيث) الجار والمجرور متعلقان بأفيضوا وقد تقدم القول في حيث (أفاض الناس) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (واستغفروا الله) الواو عاطفة واستغفروا الله فعل وفاعل ومفعول به (إن الله غفور رحيم) ان واسمها وخبراها ، والجملة تعليلية لا محل لها .

الفوائد :

يعرب عرفات إعراب الجمع المؤنث السالم ، ومثله جميع ما سمّي به كأذرعات ، وهذا هو الفصيح فيها . وأجاز بعضهم أن تعرب إعراب مالا ينصرف ، وقيل : يعرب إعراب الجمع المؤنث السالم غير أنه لا ينون . وقد روي قول امرىء القيس بالأوجه الثلاثة :

تنوّرتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارِها نظرٌ عالِ

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

اللغــة :

(المناسك) : جمع منسك ، بفتح السين وكسرها ، وهو مصدر ميمي أو اسم مكان ، والأول أرجح ، أي عبادات حجكم .

الاعراب :

(فإذا) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (قضيتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (مناسككم) مفعول به والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة (فاذكروا الله) الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا الله : فعل أمر وفاعل ومفعول ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (كذكركم) الكاف مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أي : اذكروا الله ذكراً مماثلاً لذكركم آباءكم ، أو حال (آباءكم) مفعول به للمصدر المضاف لفاعله (أو أشد ذكراً) هذا العطف مما يُشْكِلُ على المعرب ، وفيه أقوال يضيع الطالب في متاهاتها . ولما كانت الأقوال التي أوردها النحاة والمفسرون متساوية الرجحان رأينا تلخيصها على وجه مبسط قريب :

١ ــ « أشدّ » معطوفة على الكاف ، أي كذكركم أو ذكر قوم أشد منهم ذكراً .

٢ ــ أشدّ معطوفة على آبائكم فهي منصوبة بمعنى أو أشد من ذكر آبائكم .

٣ ــ أشدّ معطوفة على نفس الذكر ، ولا بد من حمل الكلام عندئذ على المجاز العقلي من باب قولهم : شعر شاعر ، وجن جنونه ، ونحوهما . ويبقى على هذه الأوجه أمر أكثر إشكالاً ، وهو أن اسم التفضيل يضاف الى ما بعده إذا كان من جنس ما قبله ، كقولك : ذكرك أشدّ ذكر ووجهك أحسن وجه ، وإذا نصب ما بعده على التمييز كان ما بعده غير الذي قبله ، كقولك : عليٌّ أجمل وجهاً ، فالجمال للوجه لا لعلي ولو قلت : زيد أكرم أباً لكان زيد من الأبناء ، ولو قلت: زيد أكرم أبٍ لكان زيد من الآباء .

٤ ــ وأخيراً وجه لجأ إليه أبو البقاء العكبري بعد أن أعيته الحيل فقال : وعندي أن الكلام محمول على المعنى ، والتقدير : أو كونوا أشد ذكراً لله منكم لآبائكم . ودل على هذا المعنى قوله تعالى : « فاذكروا الله » . أي كونوا ذاكريه .

وبعد أن أورد أبو حيّان هذه الوجوه وصفها كلها بالضعف وقال : « وقد ساغ لنا حمل الآية على معنى أنهم أمروا بأن يذكروا الله ذكراً يماثل ذكر آبائهم أو أشد ، وذلك بتوضيح واضح ذهلوا عنه ، وهو أن يكون « أشدّ » منصوباً على الحال وهو نعت لقوله : «ذكراً» لو تأخر ، فلما تقدم انتصب على الحال ، كقولهم :

لميــة موحشاً طلــل يلوح كأنــه خلــل

فلو تأخر لكان : لميّة طلل موحش" ، وكذلك لو تأخر هــذا لكان « أو ذكراً أشد » يعني من ذكركم آباءكم ، ويكون إذ ذاك « أو ذكراً أشد » معطوفاً على محل الكاف من كذكركم » .

قلنا : ولعله أقرب الى المنطق وأدناه الى الفهــم ، وقد اكتفى به بعض المفسرين المتأخرين في حواشيهم المطوّلة . (فمن الناس) الفاء استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول مبتدأ مؤخّر (يقول) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على من ، وقد روعي لفظ « من » وهو مفرد ، ولو روعي معنــاه لقال : يقولون ، والجملة المستأنفة لا محــل لها وهي مسوقة لبيان حال الكافرين وحال المؤمنين والفرق بين المطلبين وجملة « يقول » صلة من . (ربنا) منادى مضاف منصوب وقد حذف حرف النداء (آتنا) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، والفاعل مستتر تقديره أنت ، وضمير المتكلم المجموع مفعول آت الأول والمفعول الثاني محذوف أي نصيبنا و (في الدنيا) جار ومجرور متعلقان بآتنا (وما) الواو حالية وما نافية (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقــدّم (في الآخــرة) جار ومجرور متعلقان بمحــذوف حال (من خلاق) من حرف جر زائد وخلاق مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتــدأ مؤخر (ومنهــم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) عطف على الجملة السابقة ، وقد تقدم إعرابها ، وصرح هنا بالمفعول الثاني ترغيباً وتعليماً (وقنا) الواو عاطفة و « قِ » فعل أمر مبني على حــذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقــديره أنت

وضمير الجمع مفعول « قِ » الأول (عذاب النار) مفعول « قِ » الثاني (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (نصيب) مبتدأ مؤخر والجملة خبر اسم الإشارة ، والجملة مستأنفة لبيان حال الفريق الثاني ، لأن حال الفريق الأول تقدم ذكره بقوله « وما له في الآخرة من خلاق » (مما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب (كسبوا) فعل ماض وفاعل والجملة صلة الموصول « ما » (والله) الواو مستأنفة والله مبتدأ (سريع الحساب) خبره . والجملة المستأنفة مسوقة لبيان قدرته تعالى على محاسبة جميع الخلائق في أقل من لمح البصر .

البلاغة :

وردت في أحد الأعاريب لقوله : « أشد ذكراً » إشارة الى المجاز العقلي ، وقد سبق بحثه ، ونزيد هذا المجاز بسطاً فنقول : إسناد الذكر الى الذكر مستحيل ولكنه ملابسة له أصبح كأنه شخص عاقل أجنبيّ عنه يقوم به ، وجميل قول أبي تمام :

تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يعوّذها بنغمة طالب

فقد أسند الجنون الى مصدره ، والسرّ فيه ما أوضحناه من الملابسة الشديدة التي تجعل غير العاقل عاقلاً لشدة وقوعه منه، ويكاد الطلاب يلتبس عليهم الفرق بينه وبين الاستعارة المكنية مع أنه ليس فيه مشابهة مقصودة . وقال أبو فراس :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولأبي الطيب مقطوعة وردت على نمط المجاز العقلي ، وهي من جيد الشعر :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منه وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه ولكن تكدّر الإحسانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

الفوائد :

تزاد « من » الجارة في الفاعل والمفعول به والمبتدأ بشرط أن تسبق بنفي أو نهي أو استفهام وأن يكون مجرورها نكرة وعندئذ تطرد الزيادة ، وسيأتي المزيد من أمثلتها .

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

اللغــة :

(تحشرون) : تجمعون ، والحاء والشين إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة دلّتنا على معنى الجمع والامتلاء والحشد ، وهذا ما تقصيناه وحشدنا له كل ما وصلت إليه أيدينا من مظانّ اللغة ومراجعها المطولة ، ومنه الحشّاش أي جامع الحشيش أو شاري الحشيشة ، وهي نبات تستخرج منه مادة مسكرة ، والحشمة : الحياء ، وهي تدل على أن المرء جمـع نفسه كيلا تبدر منــه بادرة . ومنه الحشم أي الخدم المجتمعون .

الاعراب :

(واذكروا الله) الواو عاطفة واذكروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعــل ومفعول به (في أيام) الجار والمجرور متعلقان باذكروا (معدودات) صفة لأيام ، وهي أيام التشريق الثلاثة ، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهو مذهب الشافعي ، أو يوم النحر ويومان بعده وهو مذهب أبي حنيفة (فمن) الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ (تعجل) فعل ماض في محــل جزم فعل الشرط (في يومــين) الجار والمجرور متعلقان بتعجل (فلا إثم) الفاء رابطــة ولا نافية للجنس وإثم اسمها المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن تأخر فلا إثم عليه) تقــدم إعرابها والجملة معطوفــة (لمن اتقى) الــلام حرف جر ومن اسم موصول في محـــل جرّ باللام والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي ذلك التّخيــير . ونفي الإثم عن المتعجّــل والمتأخر كائن لمن اتقى

(واتقوا الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (أنكم) ان واسمها (إليه) الجار والمجرور متعلقان بتحشرون (تحشرون) فعل مضارع وفاعل والجملة الفعلية خبر أن ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

اللغــة :

(ألدّ الخصام) الألدّ : صفة مشبّهة ، والتّلدّد : شدة الجدال ، وتركت فلاناً يتلدّد أي يتلفّت يميناً وشمالاً من حيرته فما يستقرّ عـلى حال ، فهي كللمــة متحرّكة تمثّل صورة مركّبة ، والخصام : مصدر خاصم ، قاله الخليل ، وقال الزجاج : الخصام : جمع خصم كصعب وصعاب ، وضخم وضخام .

الاعراب :

(ومن الناس) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم والجملة منسوقة على جملة فمن الناس الخ (من) اسم موصول مبتدأ مؤخر (يعجبك قوله) فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (في الحياة) الجار والمجرور متعلقان « بقوله » أو يعجبك ، فعلى الأول يكون القول صادراً في الحياة ، وعلى الثاني يكون الإعجاب صادراً فيها (الدنيا) صفة للحياة (ويشهد) الواو استئنافية أو عاطفة ويشهد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو (الله) لفظ الجلالة مفعول به (على ما) الجار والمجرور متعلقان بيشهد (في قلبه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول أي من مدلول القول (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (ألد الخصام) خبر (وإذا) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب (تولى) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة في محل جر بالإضافة (سعى) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بسعى (ليفسد فيها) اللام للتعليل ويفسد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيفسد (ويهلك الحرث والنسل) عطف على ليفسد (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (لا) نافية (يحب الفساد) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو أي الله تعالى والفساد مفعول به ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر الله (وإذا قيل) الواو عاطفة على قوله يعجبك ، ولك أن تجعلها استئنافية ، وإذا ظرف لما يستقبل من

الزمن وجملة قيل في محل جر بالإضافة (له) الجار والمجرور متعلقان بقيل (اتق الله) اتق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ولفظ الجلالة مفعول به ، والجملة مقول القول (أخذته العزة) فعل ماض وتاء التأنيث الساكنة والهاء مفعول به والعزة فاعله والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (بالإثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسة ، وتكون الباء للمصاحبة. ويجوز أن يتعلقان بأخذته ، فتكون الباء لمجرد التعدية (فحسبه جهنم) الفاء الفصيحة كأنه أجاب عن مصيره وحسبه خبر مقدم وجهنم مبتدأ مؤخر (ولبئس المهاد) الواو واو القسم واللام واقعة في جواب القسم أي والله ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعله والمخصوص بالذم محذوف أي هي ، والجملة جواب قسم لا محل لها .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

اللغــة :

(يشري) : يبيع .

(السلم) : الاستسلام وهو بكسر السين وفتحها •

(كافّة) : من الكفّ كأنهم كفّوا عن أن يشذ واحد منهم •

الاعراب :

(ومن الناس) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على قوله : « فمن الناس » لاستيفاء أقسامهم (يشري نفسه) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة صلة الموصول (ابتغاء مرضاة الله) مفعول لأجله وما بعده مضاف اليه (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (رءوف) خبر (بالعباد) الجار والمجرور متعلقان برءوف (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعراب نظائرها (ادخلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (في السلم) الجار والمجرور متعلقان بادخلوا والجملة استئنافية (كافة) حال من الواو في ادخلوا ومن السلم لأنه يذكر ويؤنث (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تتبعوا) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل (خطوات الشيطان) مفعول به ومضاف إليه (إنه) ان واسمها (لكم) جار ومجرور متعلقان بعدو (عدو) خبر (مبين) صفة والجملة تعليلية لا محل لها • (فإن زللتم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وزللتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط (من بعد ما جاءتكم البينات) الجار والمجرور متعلقان بزللتم وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة وجاءتكم البينات فعل ومفعول به وفاعل (فاعلموا) الفاء رابطة لجواب الشرط واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو

فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (أن الله عزيز حكيم) أن واسمها وخبراها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٢١٠) سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢١١)﴾

اللغة :

(الظلل) : جمع ظلّة بضم الظاء ، وهي كل ما أظلّك ، مثل ظلال جمع ظل .

(الغمام) : السحاب الأبيض الرقيق ، وهو مظنّة الرحمة ، ويغطي السماء ويغيّر لونها . ومن عجيب أمر الغين والميم أنهما إذا وقعتا فاءً وعيناً للكلمة دلتا على معنى التغطية وحجب الشيء وإخفائه ، ومنه غمد السيف أي قرابه الذي يخفيه ، وتغمّد الله فلاناً برحمته ستره ، وغمره الماء غطاه ، وأرض غمقة تغمرها الأنداء ، وعن عمر بن الخطاب : « إن الأردنّ أرض غمقة وإن الجابية أرض نزهة » ، وغم الهلال اختفى . وهذا من الأعاجيب .

الاعراب :

(هل) حرف استفهام معناه الإنكار والتوبيخ (ينظرون) فعل

مضارع مرفوع والواو فاعل ومعناه ينتظرون ، أو ينظرون من النظر (إلا) أداة حصر (أن يأتيهم) أن حرف مصدري ونصب وهي ومافي حيزها في تأويل مصدر مفعول ينظرون ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخ المحجمين عن الإسلام أو الزّالون المخطئون (الله) فاعل يأتيهم (في ظلل) الجار والمجرور متعلقان بيأتيهم (من الغمام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لظلل (والملائكة) الواو عاطفة والملائكة عطف على الله (وقضي الأمر) عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار ، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة (والى الله) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بترجع (ترجع) فعل مضارع مبني للمجهول (الأمور) نائب فاعل (سل بني إسرائيل) سل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبني مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم واسرائيل مضاف إليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف والجملة استئنافية (كم آتيناهم) كم اسم استفهام في محل نصب مفعول به ثان لآتيناهم وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وجملة آتيناهم في موضع المفعول الثاني لسل لأنها معلقة عن العمل عاملة في المعنى . وإنما علقت « سل » وليست من أفعال القلوب لأن السؤال سبب العلم فأجري السبب مجرى المسبب في ذلك . وأجاز بعضهم أن تكون كم خبرية وفي ذلك اقتطاع للجملة التي هي فيها (من آية) تمييز كم الاستفهامية وإذا فصل بينها وبين مميزها فالأحسن أن يؤتى بـ « مِن » . واختلف في « من » فقيل : هي زائدة ، واختاروا في حواشي المغنى أن تكون بيانية والتمييز محذوف . ومن آية : متعلقان بالفعل . وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد (بينة) صفة

وجملة « سل بني إسرائيل » مستأنفة مسوقة للتنديد ببني إسرائيل الذين يكفرون بنعمة الله ويبدلونها (ومن) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لزيادة التقريع وإقامة الحجة عليهم ، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ (يبدل) فعل الشرط (نعمة الله) مفعول به (من بعد ما جاءته) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالاضافة ، وجاءته فعل ماض ومفعول به ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هي (فإن الله) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها (شديد العقاب) خبرها وجملة ان وما بعدها في محل جزم جواب الشرط الجازم •

البلاغـة :

في قوله تعالى « في ظلل من الغمام » مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن الغمام مظنّة الرحمة أو العذاب وسببهما ، فمنه تهطل الأمطار ، وقد تنشأ السيول المتلفة الجارفة ، وتنزل الصواعق المهلكة •

الفوائـد :

أورد ابن هشام فصلاً في إعراب هذه الآية نلخصه فيما يلي لأهميته:

« قوله تعـالى : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية » إن قدرت « من » زائدة فـ « كم » مبتدأ أو مفعول لـ « آتينا » مقدراً بعده ، وإن قدرتها بياناً لـ « كم » كما هي بيان لـ « ما » في « ما ننسخ من آ ية » لم يجز واحد من الوجهين لعدم الراجع حينئذ الى كم ، وإنما هي مفعول ثان مقدم مثل : « أعشرين درهماً أعطيتك » وجوز

الزمخشري في : كم أن تكون خبرية ، أي أن ما سبق كله بناء على أن « كم » اسم استفهام . وهذا مقابله ثم قال : « ولم يذكر النحويون أن كم الخبرية تعلق العامل عن العمل ، وجوز بعضهم زيادة « من » وإنما تزاد بعد الاستفهام بـ « هل » خاصة ، وقد يكون تجويزه ذلك على قول من لا يشترط كون الكلام غير موجب مطلقاً ، أو على قول من يشترطه في غير باب التمييز ، ويرى أنها في : « رطل من زيت » و « خاتم من حديد » زائدة لا مثبتة « اهـ » .

هذا وتأتي كم على قسمين : استفهامية وخبرية ، وسيرد الكثير من أبحاثهما في هذا الكتاب .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾

الاعراب :

(زين) فعل ماض مبني للمجهول (للذين كفروا) الجار والمجرور متعلقان بزين ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (الحياة) نائب فاعل (الدنيا) صفة للحياة والجملة مستأنفة مسوقة للتنديد بمن جعلوا الدنيا وما فيها من متع خلوب هدفهم فيها (ويسخرون) معطوفة على جملة زين ، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي وهم يسخرون فيكون من عطف الاسمية على الفعلية ، للإشعار

بأنه أتى بالأولى فعلية دلالة على التجدد والحدوث (من الذين) الجار والمجرور متعلقان بيسخرون (آمنوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الذين (والذين) الواو عاطفة والذين مبتدأ (اتقوا) الجملة صلة الموصول (فوقهم) ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر الذين (يوم القيامة) متعلق بما تعلق به الظرف (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يرزق) فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على الله لفظ الجلالة والجملة خبر لفظ الجلالة الله (من) اسم موصول مفعول به (يشاء) فعل مضارع والجملة صلة من (بغير حساب) الجار والمجرور متعلقان بيرزق .

البلاغـة :

في هذه الآية مفارقة في الجمل ، فقد عبر عن زينة الحياة الدنيا في نظر الذين كفروا وعن سخريتهم من المؤمنين بالفعلية إشارة الى الحدوث ، وإن ذلك أمر طارىء لا يلبث أن يزول بصوارف متعددة . أما استعلاء الذين اتقوا عليهم فهو أمر ثابت الدّيمومة لا يطرأ عليه أي تبديل .

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ

بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

الاعراب :

(كان الناس أمة) كان واسمها وخبرها (واحدة) صفة (فبعث) الفاء عاطفة على جملة مقدرة اختصاراً وإيجازاً ، أي كان الناس متفقين على الحق فاختلفوا فبعث . والكلام مستأنف مسوق للدلالة على كيفية الاختلاف السائد بين الناس والزيغ المؤدي الى التفريق بينهم ، وذلك بدلالة ما بعده وبعث فعل ماض (الله) فاعل (النبيين) مفعول به (مبشرين ومنذرين) حالان والثاني معطوف على الأول (وأنزل) عطف على فبعث (معهم) ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من « الكتاب » أي وأنزل الكتاب مصاحباً لهم وقت الإنزال (الكتاب) مفعول به (بالحق) جار ومجرور متعلقان بأنزل والباء للملابسة ، أي أي أنزله إنزالاً ملتبساً بالحق (ليحكم) اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل ومجرورها المؤول متعلقان بأنزل أيضاً (بين الناس) الظرف المكاني متعلق بيحكم، والناس مضاف إليه (فيما) الجار والمجرور متعلقان بيحكم (اختلفوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (وما) الواو عاطفة وما نافية (اختلف) فعل ماض (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلف (إلا) أداة حصر (الذين) فاعل اختلف (أوتوه) فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل هو المفعول الاول والهاء مفعول به ثان(من بعد)الجار

والمجرور متعلقان باختلف (ما) مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف إليه ، أي من بعد مجيء البينات (جاءتهم البينات) فعل ومفعول به مقدم والبينات فاعل مؤخر (بغياً) مفعول لأجله ، أي حسداً منهم ، وقيل : حال مؤولة ، وليس ببعيد (بينهم) الظرف المكاني متعلق بمحذوف صفة لبغياً (فهدى الله الذين آمنوا) الفاء عاطفة وهدى فعل ماض والله فاعل والذين وصلتها مفعول به (لما) الجار والمجرور متعلقان بهدى وما موصولية (اختلفوا) فعل وفاعل والجملة صلة ما (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (من الحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من «ما» (بإذنه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين آمنوا ، أي : مأذوناً لهم فهو حال من المفعول به (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يهدي) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى ، والجملة في محل رفع خبر الله (من) اسم موصول مفعول به (يشاء) الجملة صلة الموصول لا محل لها (إلى صراط مستقيم) الجار والمجرور متعلقان بيهدي ومستقيم صفة .

البلاغة :

في هذه الآية الكريمة فن القلب ، وهو شائع في كلامهم ، ومثل له السكاكي والزمخشري والجوهري بقوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » والأصل فيه : ويوم تعرض النار على الذين كفروا . كما مثلوا في الشعر بقول عروة بن الورد :

فديت بنفسه نفسي وما لي   وما آلوك إلا ما أطيق

والاصل فديت نفسه بنفسي ،فالمفدي نفس المحبوب ، والمفدي به نفس الشاعر ، لا العكس كما هو ظاهر البيت ، ويقول المتنبي :

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأن أصله كيف لا يموت من يعشق ، والصواب خلافه . وأن المراد أنه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق . وفي الآية التي نحن بصددها قال أبو جعفر الطبري : « وإنما معنى ذلك : فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطق العرب ، ومثل له أبو جعفر بقول النابغة الجعدي :

كانت فريضة ماتقول كما كان الزناء فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزنا .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾

اللغة :

(زلزلوا) أزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم

من الهول والفزع . وتكرير الزاي واللام إشعار بتكرير الإزعاج مرّة بعد مرة . وقد ألمع ابن جنّي في كتاب الخصائص الى هذا الباب وسماه قوة اللفظ لقوة المعنى، كما ذكره ابن الأثير في كتاب المثل السائر. وخلاصة ماقرراه أن اللفظ إذا كان على وزن ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر من الذي تضمنه ، فاخشوشن تدل على زيادة الخشونة أكثر من خشن ، واعذوذب الماء تدل على زيادة العذوبة أكثر من عذب ، وسيأتي الكثير من الأمثلة في هذا الكتاب .

(حسبتم) حسبت زيداً قائماً أحسبه من باب تعب ، أي بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع ، في لغة جميع العرب ، إلا بني كنانة ، فانهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضاً على غير قياس ، حسباناً بالكسر ، بمعنى ظننته . وحسبت المال حسباً من باب قتل ، أي بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع ، أحصيته عدداً وفي المصدر أيضاً ، وحُسباناً بالضم .

الاعراب :

(أم) عاطفة منقطعة مقدرة ببل ، وهمزة الاستفهام محذوفة ، والمعنى : بل أحسبتم ، والاستفهام للتوبيخ والإنكار (حسبتم) فعل وفاعل (أن تدخلوا) أن حرف مصدري ونصب وتدخلوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (الجنة) مفعول به على السعة ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي حسبتم (ولما) الواو حالية ولما حرف نفي جازم (يأتكم) فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف حرف العلة والكاف مفعول

يأتكم (مثل) فاعل يأتكم (الذين) مضاف إليه (خلوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (من قبلكم) الجار والمجرور متعلقان بخلوا (مستهم) مسَّ فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والهاء مفعول به (البأساء) فاعل (والضراء) عطف على البأساء ، والجملة مستأنفة لا محل لها ، كأن قائلاً قال : كيف كان ذلك المثل وما هي ما هيته ؟ فقيل : مستهم البأساء ، ولك أن تجعلها تفسيرية ، وعلى كل حال لا محل لها من الاعراب (وزلزلوا) الواو عاطفة وزلزلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة معطوفة على مستهم (حتى يقول الرسول) حتى حرف غاية وجر ويقول فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والرسول فاعل (والذين) عطف على الرسول (آمنوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (معه) الظرف المكاني متعلق بآمنوا (متى نصر الله) متى اسم استفهام في محل نصب ظرف على الظرفية الزمانية والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ونصر الله مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مقول القول (ألا) أداة استفتاح وتنبيه (إن نصر الله قريب) ان واسمها وخبرها والجملة مستأنفة .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ
وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ
عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾

الاعراب :

(يسألونك) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به (ماذا) تقدّم القول في ماذا فيجوز أن نعربها اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لينفقون ، ويجوز إعراب ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وذا اسم موصول في محل رفع خبر والجملة في محل نصب مفعول مقدم لينفقون ، وجملة يسألونك مستأنفة مسوقة للاستفهام عن المال المنفق ومصرفه . قالوا : والسائل عمرو بن الجموح ، وكان شيخاً ذا مال ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ينفق ؟ وعلى من ينفق ؟ وهذا كله في صدقة التطوع (ينفقون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مفعول ثان ليسألونك (قل) فعل أمر وفاعله والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الجواب عن السؤال ، (ما أنفقتم) ما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لأنفقتم وأنفقتم فعل في محل جزم فعل الشرط وفاعل ، والجملة مقول القول (من خير) الجار والمجرور في محل نصب حال (فللوالدين) الفاء رابطة لجواب الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فهو للوالدين ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) كلها معطوفة على الوالدين (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) تقدم إعرابها في الآية السابقة .

الفوائد :

قاعدة عامة لإعراب أدوات الشرط :

« من ، ما ، مهما » : إن كان فعل الشرط يطلب مفعولاً به فهي منصوبة محلاً على المفعولية ، وإن كان لازماً أو متعدياً استوفى مفعوله فهي مرفوعة محلاً على الابتداء .

« حيثما » في محل نصب ظرف زمان .

« متى ، أيان ، أين ، أنى » في محل نصب ظرف زمان .

« كيفما » في محل نصب حال من فاعل الشرط .

« أي » بحسب ما تضاف إليه .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

الاعراب :

(كتب عليكم القتال) كتب فعل مبني للمجهول وعليكم متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية القتال . ومعنى كتب فرض ، والفرض إما عين إذا دخل العدو البلاد ، وإما فرض كفاية إذا كان العدو ببلاده (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (كره) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بكره ، والجملة الاسمية بعد واو الحال في محل نصب على الحال (وعسى) الواو

استئنافية وعسى فعل ماض جامد لانشاء الترجّي وهي هنا تامة ، وذلك مطرد في عسى واخلولق وأوشك إذا وليتها أن (أن تكرهوا) أن وما في حيزها في تأويـل مصدر فاعـل عسى (شيئاً) مفعول به (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (خير) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بخير والجملة الاسمية بعد الواو في محل نصب حال • وهنا مشكلة نعرض لها في باب الفوائد (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم) تقدم إعرابها (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يعلم) فعل مضارع وفاعل مستتر والجملة خبر المبتدأ (وأنتم) الواو عاطفة وأنتم مبتدأ (لا تعلمون) لا نافية وتعلمون فعـل مضارع والواو فاعـل والجملة خبر أنتم •

البلاغـة :

في الآية الطباق بين الحب والكره وبين كرهٌ وشرٌ ، ويسمى حينئذ مقابلة وقد تقدم بحثها •

الفوائـد :

يتشكل في الآية مجيء الحال من النكرة بغير شرط من شروطها المعروفة ، ولذلك جنح بعض المعربين الى إعراب الجملة وهي « وهو خير لكم » صفة لشيئاً ، وإنما دخلت الواو على الجملة الواقعة صفة لأن صورتها صورة الحال ، فكما تدخل الواو عليها حالية تدخل عليها صفة ، وذلك ما أجازه الزمخشري في قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » وسترد في مكانها •

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ
وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ
إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢١٨) ﴾

اعراب :

(يسألونك عن الشهر الحرام) جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان حكم القتال في الشهر الحرام ، وهو رجب ، ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به ، والجار والمجرور متعلقان بيسألونك ، والحرام صفة (قتالٍ) بدل اشتمال من الشهر (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لقتال ، ووجهه أن السؤال عن الشهر لم يكن إلا باعتبار ما وقع فيه من القتال ، والمعنى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام . وأنشد سيبويه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما

(قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت يا محمد والجملة مستأنفة (قتال) مبتدأ ، وساغ الابتداء به وهو نكرة لأنه وصف (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (كبير) صفة للقتال (وصد) عطف على قتال فهو مبتدأ وساغ الابتداء به لأنه مندرج لما عطف عليه من معارف (عن سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بصد (وكفر به) عطف على صد ، والجار والمجرور متعلقان بكفر (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أي وعن المسجد الحرام (وإخراج أهله) عطف على صد (أكبر) خبر ما تقدم جميعه وجملتها أربعة وأخبر عنها بأكبر لأنه اسم تفضيل يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من الألف واللام ومن الإضافة (عند الله) الظرف المكاني متعلق بأكبر (والفتنة) الواو استئنافية والفتنة مبتدأ (أكبر من القتل) خبر والجملة لا محل لها ، ويمكن إعراب الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال ، ومن القتل الجار والمجرور متعلقان بأكبر (ولا يزالون) الواو عاطفة ولا يزالون فعل مضارع ناقص من أخوات كان والواو اسمها (يقاتلونكم) فعل مضارع وفاعل ومفعول به والجملة خبر يزالون (حتى يردوكم) حتى حرف غاية وجر أو للتعليل ، ويردوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى (عن دينكم) الجار والمجرور متعلقان بيردوكم (إن) شرطية (استطاعوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله ، أي يردّوكم (ومن) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يرتدد) فعل الشرط (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (عن دينه) الجار والمجرور متعلقان بيرتدد (فيمت) الفاء عاطفة ويمت فعل مضارع مجزوم عطفاً

على يرتدد (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (كافر) خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال (فأولئك) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ (حبطت أعمالهم) فعل وفاعل والجملة خبر أولئك ، وجملة الاشارة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (في الدنيا) الجار والمجرور متعلقان بحبطت (والآخرة) عطف على الدنيا (وأولئك) الواو عاطفة وأولئك مبتدأ (أصحاب النار) خبر (هم) ضمير منفصل مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بقوله خالدون (خالدون) خبر وجملة هم فيها خالدون في محل نصب حال (إن الذين) ان واسمها (آمنوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) عطف على ما تقدم (أولئك) اسم الاشارة مبتدأ (يرجون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر أولئك (رحمة الله) مفعول به ، وجملة الاشارة جملة اسمية في محل رفع خبر إن (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (غفور رحيم) خبران لله .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ
لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

اللغــة :

(الخمر) : سمّيت الخمر بالمصدر من خمره خَمْراً إذا ستره للمبالغة في تضييعها للعقول وسترها وإخفائها • وقيل : إنما سميت الخمر خمراً لأنها تركت حتى أدركت ، يقال : اختمر العجين أي بلغ إدراكه ، وقيل : إنما سميت الخمر خمراً لأنها تخالط العقـل ، من المخامرة وهي المخالطة، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة موجودة في الخمر، وهذا موجز لبعض أسماء الخمر التي هي صفات :

الشمول : لأنها تشمل القوم بريحها •

المشمولة : التي أبرزت للشمال •

الرحيق : صفوة الخمر التي ليس فيها غش •

الخندريس : القديمة منها •

الحمّيا : الشديدة منها •

العُقار : بضم العين لأنها عاقرت الدّنّ •

الراح : لأن شاربها يرتاح لها أو التي يستطيب ريحها ، ويقال : بل التي يجد بها روحاً • وقد جمع ابن الرومي معاني الراح بقوله :

والله ما أدري لأيـــة علّـــة ... يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أمروحها تحت الحشا ... أم لارتياح نديمهـا المرتاح

المدامة : التي أديمت في مكانها حتى سكنت حركتها •

المعتّقة : التي أديمت في مكانها حتى عتقت •

القهوة : هي التي تقهي صاحبها ، أي تذهب بشهوة طعامه •

السلاف : التي تحلب عصيرها من غير عصر •

الصهباء : لأنها تترجح بين الحمرة والشقرة •

الكميت : بضم الكاف لما فيها من سواد وحمرة •

القرقف : لبرودتها • وغير ذلك •

(الميسر) : مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع ، يقال : يسرته : إذا قمرته ، وقمره : غلبه بالقمار • قال الشاعر :

قالت : أنا قمرته قلت : اسكتي فهو قمر

واشتقاق الميسر إما من اليسر لأن فيه أخذ المال بيسر من غير كدّ وتعب ، وإما من اليسار أي الغنى لأنه سبب له • وقد تفنّن البشر ، الى اليوم ، في ألعاب الميسر المحرمة عقلاً وشرعاً لأنها مفسدة ما بعدها مفسدة • قال أديب إسحق من شعراء العصر الحديث :

لكل نقيصة في الناس عار وشرّ معايب المرء القمار

(العفو) : الزيادة عن الحاجة •

الاعراب :

(يسألونك عن الخمر والميسر) فعل وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بيسألونك والميسر معطوف على الخمر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان تحريم الخمر والميسر لما فيهما من مفاسد اجتماعية

ضارة (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة أيضا (فيهما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (إثم) مبتدأ مؤخر (كبير) صفة لإثم ، والجملة الاسمية مقول القول (ومنافع للناس) عطف على إثم ، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (وإثمهما) الواو عاطفة وإثم مبتدأ والهاء مضاف إليه ، والميم والألف حرفان دالاّن على التثنية (أكبر) خبر (من نفعهما) الجار والمجرور متعلقان بأكبر (ويسألونك) عطف على يسألونك (ماذا ينفقون) تكرّر إعرابها فجدّد به عهداً (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (العفو) مفعول به لفعل محذوف تقديره أنفقوا والجملة مقول القول (كذلك يبين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، ويبين فعل مضارع مرفوع (الله) فاعل يبين (لكم) الجار والمجرور متعلقان يبين (الآيات) مفعول به (لعلكم) لعل واسمها (تتفكرون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر لعل وجملة الرجاء حالية وجملة كذلك يبين الخ مستأنفة (في الدنيا والآخرة) الجار والمجرور متعلقان بتتفكرون أو بيبين فالمعنى على الأول: فيما هو صلاحكم في الدارين وعلى الثاني يبين لكم الآيات فيما ينفعكم في الدارين (ويسألونك عن اليتامى) تقدم إعرابها (قل) فعل أمر وفاعل مستتر والجملة مستأنفة (إصلاح) مبتدأ وسوغ الابتداء به وصفه بالجار والمجرور (لهم) الجار والمجرور صفة لإصلاح (خير) خبر إصلاح والجملة الاسمية مقول القول (وإن) الواو استئنافية وإن شرطية (تخالطوهم) فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به أي تحسنوا معاشرتهم بالمخالطة والمعاشرة الطيبة (فإخوانكم) الفاء رابطة لجواب الشرط وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف أي فهم إخوانكم ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب

الشرط . ولا بد من تقدير محذوف أي فلكم ذلك ثم علل ذلك بقوله : فهم إخوانكم (والله) الواو استئنافية والواو مبتدأ (يعلم) الجملة خبر المبتدأ وفاعل يعلم ضمير مستتر يعود على الله تعالى (المفسد) مفعول به (من المصلح) الجار والمجرور متعلقان بيعلم لتضمنه معنى يميز (ولو) الواو استئنافية ولو شرطية (شاء الله) فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف تقديره إعناتكم (لأعنتكم) اللام واقعة في جواب لو وأعنتكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة لأعنتكم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (إن الله) إن واسمها (عزيز حكيم) خبر إن ، والجملة لا محل لها لأنها بمثابة التعليل .

الفوائد :

لمحة تاريخية أدبية : نزلت في الخمر أربع آيات :

١ ــ الأولى نزلت في مكة وهي : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً » فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم .

٢ ــ والثانية نزلت في المدينة فقد أتى عمر بن الخطاب ومعاذ ابن جبل وجماعة من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال ؟ فتركها قوم لقوله : « قل فيهما إثم كبير » .

٣ ــ والثالثة أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً ودعا إليه ناساً فشربوا وسكروا ، وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا أحدهم ليصلي بهم ، فقرأ : « قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون » بحذف « لا »

النافية ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فقلّ من يشربها .

٤ ــ والرابعة أن عتبان بن مالك دعا قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص الى طعام وشراب ، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار ، حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار ، فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري ، فقال عمر : اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تعالى : « إنما الخمر والميسر » الى قوله « فهل أنتم منتهون » فقال عمر : انتهينا يا رب .

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) ﴾

الاعراب :

(ولا) الواو استئنافية ولا ناهية (تنكحوا) بفتح التاء مضارع نكح مجزوم بلا والواو فاعل (المشركات) مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (حتى يؤمنّ) حتى حرف غاية وجر

ويؤمن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهو في محل نصب بأن مضمرة بعد حتى ونون النسوة فاعل والجار والمجرور من حتى والمصدر المؤول متعلقان بتنكحوا (ولأمة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الفرق بين المؤمنة والمشركة واللام للابتداء وأمة مبتدأ ، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها (مؤمنة) صفة لأمة (خير) خبر (من مشركة) الجار والمجرور متعلقان بخير (ولو) الواو للحال ولو شرطية بمعنى إن (أعجبتكم) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هي يعود على الأمة والكاف مفعول به ، وجملة أعجبتكم خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو ، وجملة لو أعجبتكم حالية والمعنى ولأمة مؤمنة خير من مشركة حال كونها قد أعجبتكم لجمالها ومالها ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب الفوائد (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تنكحوا) بضم التاء مضارع أنكح مجزوم بلا والواو فاعل (المشركين) مفعول به (حتى يؤمنوا) حتى حرف غاية وجر ويؤمنوا فعل مضارع مجزوم بأن مضمرة بعد حتى (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) تقدم إعراب مثيلتها (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (يدعون الى النار) الجملة خبر اسم الاشارة والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في ذلك ، ولك أن تجعلها مفسرة . وعلى كل حال لا محل لها (والله يدعو الى الجنة) عطف على ما تقدم (والمغفرة) عطف على الجنة (بإذنه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي آذناً بذلك (ويبين آياته) عطف على يدعو وآياته مفعول به وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة (للناس) الجار والمجرور متعلقان بيبين (لعلهم) لعل واسمها (يتذكرون) الجملة الفعلية خبر لعل ، وجملة الرجاء حالية .

الفوائـد :

يطرد حذف كان واسمها وبقاء خبرها بعد إن ولو الشرطيتين ، وسيرد تفصيل ذلك في مواضعه .

لمحة تاريخية : في هذه الآية تهذيب رفيع وتعاليم إنسانية رائعة وشجب للتمييز العنصري واللوني ، قيل : نزلت هذه الآية في عبد الله ابن رواحة ، وقد كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوماً فلطمها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له النبي : وما هي يا عبد الله ؟ قال : هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلّي قال : هذه مؤمنة قال عبد الله : فوالذي بعثك بالحقّ لأعتقنّها ولأتزوّجنّها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا : أتنكح أمة وعرضوا عليه حرّة مشركة فنزلت .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾

اللغــة :

(المحيض) مصدر ميمي أو اسم زمان ، والحيض : سيلان الدم. والتفصيل فيه مبسوط في كتب الفقه .

الاعراب :

(ويسألونك عن المحيض) كلام معطوف على الأحكام المتقدمة ويلاحظ أنه صدر السؤال بالواو ثلاث مرات وجاء مجرداً منها أربع مرات ، لأن ما جاء مقترناً بالواو حدث السؤال عنه في وقت واحـد فحسن عطفه بالواو ، أما حيث تختلف الأزمنة في السؤال فقد جاء الكلام مجرداً من الواو تنبيهاً على انقطاع المدد وتفاوتها . وهذا من أسرار القرآن ومعاجزة البديعــة . وعن المحيض متعلقان بيسألونك (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (هو) مبتدأ (أذى) خبر والجملة الاسمية مقول القول (فاعتزلوا) الفاء الفصيحة أي إذا شئتم معرفة حكمه فاعتزلوا ، والجملة بعدها لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غــير جازم (النساء) مفعول به (في المحيض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبّسات بالمحيض (فإذا) الفاء عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (تطهرن) فعل ماض مبني عــلى السكون لاتصاله بنون النسوة والنون ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة تطهــرن في محل جر بالإضافــة (فأتوهن) الفاء رابطة لجواب إذا وأتوهن فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من حيث) من حرف

جر وحيث ظرف مكان مبني علـى الضم في محـل جر بمن والجار والمجرور متعلقان بأتوهن (أمركم الله) فعل ماض ومفعول به وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (إن الله) إن واسمها (يحب) فعـل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والجملة في محل رفع خبر إن (التوابين) مفعول به وجملة إن وما تلاها تعليلية لا محل لها (ويحب المتطهرين) عطف عـلى جملة يحب التوابـين (نساؤكم) مبتدأ (حرث) خبر (لكم) الجار والمجرور صفة لحرث (فأتوا) الفاء استئنافية وأتوا : فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (حرثكم) مفعول به • والجملتان الاسمية والفعلية مستأنفتان مسوقتان لبيان الحكم في هذه المسألة الاجتماعية، فقد اعتزل المسلمون نساءهم عملاً بظاهر آية المحيض ، فأخرجوهن من البيوت ، فقـال ناس من الأعراب: يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت ، وإن استأثرنا بها هلكت الحيَّض ! فقال : إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهنّ ، ولم تؤمروا بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم • ثم إن اليهود جرياً على عادتهم في المكابرة واللجاج وإحداث التفرقة والبلبلة أخذوا يروّجون أقوالاً لا حقيقة لها . منها قولهم : من أتى امرأتـه في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول ، فنزلت الآية الثانية والثالثة تسهيلاً على العباد وتوفيراً للذتهم ، كما سيأتي في باب البلاغة (أنى شئتم) مفعول فيه ظرف مكان متعلق بأتوا ، وجملة شئتم في محل جر بالإضافة (وقدموا لأنفسكم) عطف على ما تقدم (واتقوا الله) عطف أيضاً (واعلموا أنكم ملاقوه) عطف آخر ، وأن وما في حيزها سدّت مسد مفعولي اعلموا ، وملاقوه خبر أن وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم (وبشر المؤمنين) عطف آخر على ما تقدم •

البلاغـة :

١ ـ التشبيه البليغ : فقد شبّه النساء بالحرث أولاً لما بين ما يلقى في أرحامهن من النّطف وبين البذور من المشابهة ، ووجه الشبه أن كلاً منهما مادة ما يحصل منه .

٢ ـ الكناية ، فقد كنّى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية التي يشاؤها المرء من غير حظر ولا حرج ما دام المأتى واحداً وهو موضع الحرث .

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

اللغـة :

(عرضة) العرضة بالضم : الشيء الذي ينصب ويعرض ، ويقال : هو عرضة لكذا ، أي قوي عليه ، وهو عرضة للناس ، أي : لا يزالون يقعون فيه ، وجعلته عرضة كذا ، أي نصبته . أي لا تجعلوا الله كالغرض المنصوب للرماة ، فكلما أردتم الامتناع من شيء ـ ولو كان خيراً ـ تتوصلون الى ذلك بالحلف (اللّغو) الساقط الذي لا يؤبه له ولا يعتدّ به من كلام وغيره ، والمراد به هنا ما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف .

الاعراب :

(ولا تجعلوا) الواو استئنافية مسوقة لمعالجة مشكلة اجتماعية خطيرة ، وهي جعل اسم الله معرضاً لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به . أو لا تجعلوه برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا به ، فذلك لأن العرضة إما بمعنى فاعل وإما بمعنى مفعول ، ولا ناهية وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بها (الله) مفعول به أول لتجعلوا (عرضة) مفعول به ثان (لأيمانكم) الجار والمجرور متعلقان بعرضة (أن تبروا) أن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول لأجله أو بدل (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف على أن تبروا وبين ظرف متعلق بتصلحوا (والله سميع عليم) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (لا) نافية (يؤاخذكم) فعل مضارع ومفعول به (الله) فاعله والجملة مستأنفة (باللغو) الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم (في أيمانكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال(ولكن)الواو عاطفةولكن مهملة للاستدراك (يؤاخذكم) فعل مضارع ومفعول به (بما كسبت قلوبكم) الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم وما مصدرية أو اسم موصول وقلوبكم فاعل (والله غفور حليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور حليم خبراه .

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ

أن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ
ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

اللغـة :

(يؤلون) : يقسمون ، والإيــلاء من المــرأة أن يقول : والله لأقربنّك أربعة أشهر فصاعداً وفي هذا الفعل مباحث تتعلق بعلم الفقه يرجع إليها في مظانّها •

(فاءوا) رجعوا •

(التربص) الانتظار والتأنّي ، قال :

تربّصْ بها ريب المنون لعلها تطلّق يوماً أو يمــوت حليلها

(قروء) جمع قرء ، وهو الطهر ، كما ذهب إليه الشافعي • أو الحيض كما ذهب إليه أبو حنيفة • وخـلاف الفقهاء عند الاحتمال اللغوي جميل جداً • فمن إطلاقه على الطهر قول الأعشى :

أفي كل عام أنت جاشم غزوة تشدّ لأقصاها عظيم عزائكا

مورثة مالاً وفي الحي رفعـة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أي أطهارهن . ومن إطلاقه على الحيض قول النبي صلى الله عليه وسلم : « دعي الصلاة أيام اقرائك » .

الاعراب :

(للذين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم (يؤلون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (من نسائهم) الجار والمجرور متعلقان بيؤلون، وحق تعدية فعل الإيلاء بـ«على»ولكنه ضمنه معنى البعد لأن المقسمين يبعدون عن نسائهم (تربص) مبتدأ مؤخر و (أربعة أشهر) أربعة أشهر مضاف إليه ، والكلام مستأنف لإتمام التشريع (فإن فاءوا) الفاء استئنافية وإن شرطية وفاءوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط (فإن الله غفور رحيم) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها وخبراها وجملة إنّ وما تلاها في محل جزم جواب الشرط (وإن عزموا الطلاق) الواو عاطفة وإن شرطية وعزموا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط والطلاق منصوب بنزع الخافض لأن عزم يتعدى بـ « على » وجواب الشرط محذوف تقديره فليوقعوه (فإن الله سميع عليم) الفاء عاطفة على الجواب المحذوف بمثابة التعليل ، وان واسمها وخبراها (والمطلقات) الواو استئنافية والمطلقات مبتدأ (يتربصن) فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل ، وجملة يتربصن خبر المطلقات ، والجملة المستأنفة لا محل لها مسوقة لبيان أحكام الطلاق (بأنفسهن) الجار والمجرور متعلقان بيتربصن ، ومعنى الباء السببية أي من أجل أنفسهن ، لأن نفوس النساء طوامح الى الرجال فهن أدرى بقمع شرّتها (ثلاثة قروء)قال المعربون مفعول به ليتربصن،وأرى أن النصب على الظرفية الزمانية أرجح

ويتعلق الظرف بيتربصن أي : مدة ثلاثة قروء (ولا يحل لهن) الواو عاطفه ولا نافية ويحل فعل مضارع معطوف على يتربصن (أن يكتمن) أن حرف مصدري ونصب ويكتمن فعل مضارع مبني على السكون في محل نصب بأن ونون النسوة فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يحل (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (خلق الله) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (في أرحامهن) الجار والمجرور متعلقان بخلق (إن) شرطية (كن) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ونون النسوة ضمير متصل في محل رفع اسم كان (يؤمن) خبر كن وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله أي فلا يجرؤن على ذلك (بالله) الجار والمجرور متعلقان بيؤمن (واليوم الآخر) عطف على الله لفظ الجلالة (وبعولتهن) الواو عاطفة وبعولتهن مبتدأ (أحق) خبر (بردهن) الجار والمجرور متعلقان بأحق (في ذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة كون الردّ في مدة ذلك التربّص (ان أرادوا اصلاحاً) ان حرف شرط جازم ، أرادوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف تقديره : فبعولتهن أحق بردهن ، والواو فاعل ، اصلاحاً مفعول به (ولهن) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مثل الذي عليهن بالمعروف) مثل مبتدأ مؤخر واسم الموصول مضاف اليه وعليهن صلة الموصول وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً في الوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة . وتفصيل هذه الأحكام في كتب الفقه (وللرجال) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عليهن) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه تقدم على موصوفه (درجة) مبتدأ مؤخر (والله عزيز حكيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه .

الفوائـد :

لوحظ أنه أضاف الثلاثة الى قروء ، وهي من جموع الكثرة ، لأنه لما جمع المطلقات وكان الواجب على كل منهن ثلاثة أقراء جمع القروء جمع كثرة ليتناسق الكلام ، أو أنه من باب الاتساع ، ووضع أحد الجمعين في موضع الآخر ، للنكتة المشار إليها آنفاً .

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾

الاعراب :

(الطلاق مرتان) مبتدأ وخبر والجملة مستأنفة لبيان عدد الطلاق الجائز (فإمساك) الفاء الفصيحة كأنه قيل : إذا علمتم كيفية التطليق فعليكم أحد الأمرين . وإمساك مبتدأ خبره محذوف أي فعليكم إمساكهن . وإنما قدرنا الخبر قبله لتسويغ الابتداء بالنكرة (بمعروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لإمساك (أو تسريح بإحسان) أو حرف عطف وتسريح عطف على إمساك والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لتسريح . والمراد بالإحسان

استمرار إيصال المعروف أو تأدية جميع حقوقها المالية لرأب الصدع الذي أحدثه الطـلاق (ولا) الواو استئنافية أو عاطفـة ولا نافية (يحل) فعل مضارع مرفوع (لكم) الجار والمجرور متعلقان بيحل (أن تأخذوا) أن وما بعدها في تأويل مصدر فاعل يحل (مما) الجار والمجرور متعلقان بتأخذوا أو بمحذوف حال (آتيتموهن) الجملة صلة الموصولة والواو بعد الميم التي هي لجمع الذكور لإشباع ضمة الميم (شيئاً) مفعول به (إلا أن يخافا) إلا أداة حصر لتقدم النفي أو استثناء ، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر ، وقد اختلف في إعراب هذا المصدر اختلافاً شديداً ، فالظاهر أنه نصب على الحال ، أي إلا خائفين ، ويشكل عليه أن سيبويه منع في كتابه وقوع أن والفعل حالاً، نصّ على ذلك في آخر باب « هذا باب ما يختار فيه الرفع » . وعلى هذا لا مندوحة عن الرجوع الى الوجه الثاني من أوجه الاستثناء وهو أن يكون الكلام تاماً منفياً فننصبه على الاستثناء من المفعول به ، وهو « شيئاً » . كأنه قيـل : ولا يحل لكم أن تأخـذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله ، فذلك هو الذي يبيح لكم الأخذ . ويكون حرف العلة قد حذف مع « أن » وهو جائز في العربية ، فتأمل وتدبّر (أن لا يقيما حدود الله) أن وما في حيزها في موضع نصب مفعول يخافا ، وحدود الله مفعول به ولا نافية (فإن خفتم) الفاء استئنافية وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل (أن لا يقيما حدود الله) أن وما بعدها في موضع نصب مفعول به لخفتم (فلا جناح عليهما) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (فيما افتدت به) الجار والمجرور موضع نصب على الحال وجملة افتدت صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بافتدت

وجملة فلا جناح في محل جزم جواب الشرط (تلك حدود الله) تلك اسم الاشارة مبتدأ وحدود الله خبره (فلا تعتدوها) الفاء الفصيحة أي إذا عرفتم هذه الأحكام فلا تتجاوزوها ، والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب . وجملة « تلك حدود الله » مستأنفة ولا ناهية وتعتدوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به (ومن يتعد حدود الله) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر الوعيد بعد النهي عن تعديها ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويتعد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وحدود الله مفعول به (فأولئك هم الظالمون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثانٍ والظالمون خبره ، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول أو هم ضمير فصل لا محل لها والظالمون خبر أولئك . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

اللغـة :

(ضراراً) مصدر بمعنى الاضرار ، كان الرجـل يطلق المـرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطوّل عليها العدة فنهي عنه والتفاصيل في كتب الفقه .

الاعراب :

(فإن طلقها فلا تحلّ له) الفاء استئنافية أو عاطفة وإن شرطية وطلقها فعل ماض في محل جزم فعـل الشرط والهاء مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية وتحل فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هي أي المطلقة والجار والمجرور متعلقان بتحل والجملة في محل جزم جواب الشرط (من بعد) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنة بعد الطلقتين الاثنتين (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى حرف غاية وجر وتنكح فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بتحل وزوجاً مفعول به وغيره صفة (فإن طلقها) الجملة مستأنفة وقد تقدمت والفاعل مستتر يعود على الزوج الثاني (فلا جناح عليهما أن يتراجعا) الفاء رابطة ولا نافية للجنس وجناح اسمها المبني على الفتح وعليهما الجار والمجرور متعلقان بمحـذوف خبرها وجملة فلا جناح جواب شرط وأن وما في حيزها مصدر منصوب

بنزع الخافض أي في التراجع والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، والضمير يعود على الزوجة والزوج الأول (إن ظنا) إن شرطية وظنا فعل ماض مبني على الفتح والألف فاعل وهو فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه ما قبله (أن يقيما) أن وما في حيزها مصدر منصوب مفعولي ظنّا والألف فاعل (حدود الله) مفعول به (وتلك) الواو استئنافية وتلك مبتدأ (حدود الله) خبر (نبينها) فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والهاء مفعول به والجملة في محل رفع خبر ثان أو حال (لقوم) الجار والمجرور متعلقان بنبينها (يعلمون) الجملة صفة لقوم (وإذا طلقتم النساء) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتتمة بيان أحكام الطلاق • وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة طلقتم النساء في محل جر بالاضافة والنساء مفعول طلقتم (فبلغن أجلهن) الفاء عاطفة وبلغن فعل ماض مبني على السكون ونون النسوة فاعل وأجلهن مفعول به (فأمسكوهن بمعروف) الفاء رابطة لجواب الشرط وأمسكوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بأمسكوهن (أو سرحوهن بمعروف) الجملة معطوفة على سابقتها (ولا تمسكوهن ضرارا) الواو عاطفة ولا ناهية وتمسكوهن فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به والنون علامة التأنيث ، وضراراً مفعول لأجله أو مفعول مطلق أو مصدر في موضع الحال ، والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان (لتعتدوا) اللام للتعليل وتعتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بـ « ضراراً » فيكون بمثابة علة للعلة كما تقول : « ضربت ابني تأديباً لينتفع » ولا يسوغ جعله علة ثانية لئلا يتعدد المفعول لأجله ، ومعنى الاعتداء الظلم بمجاوزة الحدود

المبينة (ومن يفعل ذلك) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويفعل فعل الشرط والفاعل هو وذلك مفعول به (فقد ظلم نفسه) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق وظلم فعل ماض وفاعله هو ونفسه مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط . وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) الواو حرف عطف أو استئناف ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وآيات الله مفعول به أول وهزواً مفعول به ثان لتتخذوا أي مهزوءاً بها (واذكروا نعمة الله عليكم) الواو حرف عطف واذكروا فعل أمر وفاعل ونعمة الله مفعول به وعليكم متعلقان بنعمة (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف على نعمة وجملة أنزل صلة « ما » وعليكم متعلقان بأنزل ، ومن الكتاب الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، والحكمة عطف على الكتاب (يعظكم به) فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به والجملة حال ، والجار والمجرور متعلقان بيعظكم (واتقوا الله) الواو حرف عطف ، اتقوا عطف على اذكروا (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) عطف على ما تقدم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ﴾

اللغـة :

(تعضلوهن) العضل هو الحبس والتضييق ، ومنـه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج . وقد رمق ابن هرمة سماء القرآن فأخذ اللفظة أخذاً رشيقاً بقوله :

وإن قصائدي لك فاصطنعني عقائـل قد عضلن عن النكاح

شبه القصائد بالنساء ورشح ذلك بالعضل وهو المنع من النكاح. وللعين مع الضاد إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة سر غريب ، فهما تفيدان عندئذ معنى الحبس والشدة ، ومنه سيف عضب : أي شديد قاطع ، والعضد معـروف وهو أشد عضو في الانسان . وهـذا من أغرب ما تميزت به لغتنا العربية .

الاعراب :

(وإذا طلقتم النساء) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة طلقتم النساء : في محل جر بإضافة الظرف إليها . والنساء مفعول به (فبلغن أجلهن) الفاء عاطفة وبلغن فعل ماض مبني على السكون والنون فاعل وأجلهن أي عدتهن مفعول به والجملة عطف عـلى جملة طلقتم (فلا تعضلوهن) الفـاء رابطـة ولا ناهية وتعضلوهن فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محـل لها لأنها جواب إذا (أن ينكحن أزواجهـن) أن وما بعدها مصدر منصوب بنزع الخافض أي من النكاح . وارتأى أبو حيان أن يكون المصدر في موضع نصب على البدل من الضمير ، بدل اشتمال ، ولا بأس بما ارتآه . وأزواجهن مفعول به (إذا تراضوا بينهم بالمعـروف) إذا ظرف مستقبل متضمن معـنى الشرط متعلق

بتعضلوهن أو يينكحن . وجملة تراضوا في محل جر بالإضافة ، وبينهم ظرف متعلق بتراضوا وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال من فاعل تراضوا أو صفة لمصدر محذوف ، أي تراضيا كائناً بالمعروف ، ولا مانع من تعليقهما بتراضوا أي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة (ذلك)اسم الاشارة مبتدأ والإشارة لجميع ما فصله من الأحكام (يوعظ به) فعل مضارع مبني للمجهول والجار والمجرور متعلقان بيوعظ وجملة يوعظ به خبر لاسم الاشارة وجملة الاشارة مستأنفة (من كان) من اسم موصول في محل رفع نائب فاعل يوعظ وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو والجملة صلة (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يؤمن بالله واليوم الآخر) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كان (ذلكم أزكى لكم وأطهر) ذلكم : مبتدأ وأزكى خبره ولكم جار ومجرور متعلقان بأزكى أو أطهر والجملة استئنافية (والله يعلم) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر (وأنتم لا تعلمون) الواو حرف عطف وأنتم مبتدأ ولا نافية وجملة لا تعلمون خبر أنتم .

البلاغة :

في الآية مجاز مرسل طريف وهو قوله تعالى : (أن ينكحن أزواجهن) فتسمية المطلقين لهن بالأزواج مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ

نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

اللغة :

(الحول) السنة لأنها تحول أي تمضي والجمع حئول بضم الحاء وأحوال ، وهذه امرأة لا تضع إلا تحاويل ولا تلد إلا تحاويل ، أي تلد سنة وسنة لا تلد ، وحوليات زهير أي قصائده المطوّلة التي يستغرق في نظمها حولاً كاملا .

(تضار) مضارع ضارّ بتشديد الراء ولذلك فتح آخره كما سيأتي .

(الفصال) بكسر الفاء : الفطام قبل الحولين ، وفصلت الأم رضيعها فطمته ، وهذا زمن فصاله كما يقال زمن فطامه .

الاعراب :

(والوالدات) الواو عاطفة أو استئنافية والجملة معطوفة أو

مستأنفة مسوقة لإتمام هذه الأحكام والوالدات مبتدأ (يرضعن) فعل مضارع مبني على السكون والنون فاعل (أولادهن) مفعول به والجملة خبر للوالدات (حولين) ظرف زمان متعلق بيرضعن (كاملين) صفة لأنه مما يتسامح به ، تقول : أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره ذلك الحكم لمن والجملة مستأنفة (أراد أن يتم الرضاعة) جملة أراد لا محل لها لأنها صلة من ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به فتكون « مَنْ » واقعة على الأم ، كأنه قيل : لمن أراد أن يتم الرضاعة من الوالدات • ويجوز أن يعلق الجار والمجرور بيرضعن ، فتكون واقعة على الأب ، كأنه قيل : لأجل من أراد أن يتم الرضاعة من الآباء (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) الواو عاطفة وعلى المولود متعلقان بمحذوف خبر مقدم وله جار ومجرور في محل رفع على أنه نائب فاعل للمولود لأنه اسم مفعول • ورزقهن مبتدأ مؤخر وكسوتهن عطف عليه • وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال (لا تكلف نفس إلا وسعها) الجملة تفسيرية لا محل لها ولا نافية وتكلف فعل مضارع مبني للمجهول ونفس نائب فاعل وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان • وكلّف بتشديد اللام فعل يتعدى لاثنين ، قال عروة :

يكلفني عمي ثلاثين ناقة … ومالي يا عفراء غير ثمان

فالياء مفعول أول وثلاثين مفعول ثان (لا تضار والدة بولدها) لا ناهية وتضار فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون ، وثابت الفتحة لخفتها في المضعف ، والفعل مبني للمجهول ، وقرىء في السبع برفع تضارُّ ، على أن « لا » نافية • ووالدة نائب فاعل

والجار والمجرور متعلقان بتضار والجملة حالية (ولا مولود له بولده) عطف على ما تقدم والباء فيهما للسببية ، أي وأضيف الولد إليها تارة وإليه تارة أخرى ، بمثابة استعطاف لكل من الوالدين ومناشدتما بأن يتعهداه ويعملا على استصلاحه ، فلا يكون سبباً لإلحاق الضر بهما ، ولذلك جعلها بعض الحذاق من معربي القرآن زائدة ولا داعي لدعوى الزيادة . (وعلى الوارث مثل ذلك) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومثل ذلك مبتدأ مؤخر (فإن أرادا فصالاً) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاستقصاء الحكم في هذه المسألة الاجتماعية . وإن شرطية وأرادا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والألف فاعل وفصالاً مفعول به (عن تراض منهما وتشاور) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفصالاً ومنهما صفة لتراض وتشاور عطف على تراض (فلا جناح عليهما) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليهما خبرها والجملة جواب الشرط (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) الواو عاطفة وإن شرطية وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به لأردتم وأولادكم مفعول به ثان لتسترضعوا والمفعول الأول محذوف والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم ، نصّ على هذا الاعراب سيبويه وعلق الشهاب على البيضاوي بأن أرضع يتعدى الى مفعول واحد ، فإن زيدت فيه السين والتاء صار متعدياً لاثنين ، وجرى الزمخشري أيضاً على ذلك . وقيل إنما يتعدى للثاني بحرف جر ، فيكون أولادكم منصوباً بنزع الخافض، ويكون الجار والمجرور موضع المفعول الثاني ، قال الزجاج والتقدير : أن تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة . (فلا جناح عليكم) تقدم إعرابها (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن

خافض لشرطه منصوب بجوابه المحذوف وجملة سلمتم في محل جر بالإضافة ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة آتيتم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (واتقوا الله) الواو استئنافية . وجملة « اتقوا الله » من الفعل والفاعل والمفعول به مستأنفة مسوقة للمبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع وعدم التفريط بحقوقهم (واعلموا) عطف على واتقوا (أن الله بما تعملون بصير) أن وما بعدها سدت مسد مفعولي اعلموا وجملة تعملون صلة ما ، وبصير خبر أن .

الفوائد :

الفعل المضعف إذا جزم أو بني على السكون جاز فيه ثلاث لغات:

١ ــ الفتح مطلقاً ، وعندنا أنه الأولى لخفته على اللسان .

٢ ــ الكسر مطلقاً ، كأنهم شبهوه بالتقاء الساكنين .

٣ ــ الاتباع لحركة الفاء وروي قول جرير باللغات الثلاث :

فغضّ الطرفَ إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

اللغة :

(يتوفون) بالبناء للمجهول أي تقبض أرواحهم بالموت ، وهو مأخوذ من توفّيت الدّين إذا قبضته . والمتوفّي هو الله ، والمتوفّى

بالفتح هو العبد . ويحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل : من المتوفي ؟ بكسر الفاء . فقال : الله تعالى . وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي بن أبي طالب على وضع النحو .

(المقتر) الضيّق الرزق .

الاعراب :

(والذين يتوفّون منكم) اضطرب كلام المفسرين والمعربين وأئمة اللغة في إعراب هذا التركيب البليغ ، وأدلى كل واحد منهم بحجة ، وحشد كل ما لديه ، لإثبات ما ارتآه . ولهذا تعذّر على المعرب المفاضلة والترجيح ، وسنلخص ما رأيناه أقرب الى الصواب منها :

رأي سيبويه : وهو إعراب « الذين » مبتدأ خبره محذوف ، أي فيما يتلى عليكم حكمهم . وسيرد مثله في القرآن الكريم ، ومنه « والسارق والسارقة » . وجملة « يتربصن » تفسيرية للحكم المتلوّ لا محل لها .

رأي الزمخشري : وهو « الذين » مبتدأ على تقدير حذف المضاف ، أراد : وأزواج الذين يتوفون منكم ، وخبره جملة يتربصن .

رأي المبرّد : وهو جعل جملة « يتربصن » خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير : أزواجهم يتربصن، والجملة الاسمية خبر «الذين»، والرابط هو الضمير ، أي النون في « يتربصن » ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم آخر .

منكم : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (ويذرون)

عطف على يتوفون (أزواجاً) مفعول به (يتربصن بأنفسهن) فعل مضارع مبني على السكون وقد مر إعراب الجملة فيما تقدم (أربعة أشهر) ظرف زمان متعلق بيتربصن (وعشراً) عطف على أربعة . وذكر العدد لأنه أراد عشر ليال ، والأيام داخلة معها ، ولا تراهم أبداً يستعملون التذكير تقول : صمت عشراً وسرت عشراً ، قال :

أشوقاً ولمّا يمض لي غير ليلة فكيف إذا جدّ المطيّ بنا عشرا

(فإذا بلغن أجلهن) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب ، وبلغن فعل وفاعل ، وأجلهن مفعول به ، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة (فلا جناح عليكم) الفاء رابطة للجواب ، ولا نافية للجنس وجناح اسمها ، وعليكم متعلقان بمحذوف خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فعلن صلة الموصول ، وفي أنفسهن جار ومجرور متعلقان بفعلن وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبسات بالمعروف (والله بما تعملون خبير) الواو استئنافية والله مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة الموصول وخبير خبر لفظ الجلالة (ولاجناح عليكم فيما عرّضتم به)تقدم إعرابها والواو عاطفة (من خطبة النساء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (أو أكننتم في أنفسكم) أو حرف عطف وجملة أكننتم عطف على عرّضتم وفي أنفسكم متعلقان بأكننتم (علم الله أنكم ستذكرونهن) الجملة بمثابة التعليل لا محل لها وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي علم ، وجملة ستذكرونهن خبر أن (ولكن لا تواعدوهن سراً) الواو عاطفة على محذوف وقع عليه

الاستدراك ، أي فاذكروهن . و « لكنْ » مخففة مهملة ولا ناهية وتواعدوهن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والهاء مفعول أول وسراً مفعوله الثاني ، لأن السر معناه هنا النكاح . ويجوز أن يعرب حالاً مؤولة أي مستخفين عن الناس، أو منصوباً بنزع الخافض أي في السر، ويجوز أيضاً أن يعرب مفعولاً مطلقاً أي مواعدة سراً . والوجه هو الأول ، وإنما ألمعنا الى هذه الوجوه لأن بعضهم قال : إن فعل المواعدة لا يتعدى الى مفعولين ، والعرب كثيراً ما يستعملون السر بمعنى النكاح قال الأعشى :

ولا تقربن من جارة إنّ سرها … عليك حرام فانكحن أو تأبـدا

وتأبدا فعل أمر وألفـه منقلبة عن نون التوكيد أي : انفر من الأنيس أيها المخاطب (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) إلا أداة استثناء وأن مصدرية وتقولوا فعل مضارع منصوب بأن وأن وما بعـدها مصدر في محل نصب على الاستثناء من « سراً » وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (ولا تعزموا عقدة النكاح) الواو حرف عطف ولا ناهية وتعزموا فعل مضارع مجزوم بلا وعقدة النكاح منصوب بنزع الخافض أي : على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حرف غاية وجر ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والكتاب فاعـل وأجله مفعول به والجار والمجرور متعلقان بتعزموا (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) الواو عاطفة واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأن واسمها وجملة يعلم خبر أن ، وأن وما دخلت عليه سدت مسد مفعولي اعلموا ، وما اسم موصول مفعول به ، وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة ما أي استقر في أنفسكم (فاحذروه) الفاء الفصيحة أي إذا علمتم ذلك فاحذروه (واعلموا

أن الله غفور حليم) الواو عاطفة واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا (لا جناح عليكم) الجملة استئنافية (إن طلقتم النساء) إن شرطية وطلقتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف أي فلا تعطوهن المهر والجملة استئنافية (ما لم تمسوهن) ما مصدرية ظرفية زمانية أو شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتمسوهن فعل مضارع مجزوم بلم (أو تفرضوا لهن فريضة) الظاهر أنها عاطفة وتفرضوا عطف على تمسوهن ، ولكن يشكل على ذلك أمران ، أولهما أن المعنى يصير : لاجناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهن في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين ، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسيس لزم مهر المثل ، وإذا انتفى المسيس دون الفرض لزم نصف المسمّى ، فكيف يصح نفي الجناح عند انتفاء أحد الأمرين ؟ وثانيهما أن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله تعالى:« وإن طلقتموهن» الآية ، وترك ذكر الممسوسات لما تقدّم من المفهوم ، ولو كان تفرضوا مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهن مستويات في الذكر ، وقد تولى ابن الحاجب الجواب على الإشكال الأول بمنع كون المعنى مدة انتفاء أحدهما ، بل مدة لم يكن واحد منهما وذلك بنفيهما جميعاً ، لأنه نكرة في سياق النفي الصريح بخلاف الأول فإنه لا ينفي إلا أحدهما . وأجاب بعضهم عن الثاني بأنّ ذكر المفروض لهن إنما كان لتعيين النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة . وعلى كل حال فالأولى جعل أو بمعنى إلى وتفرضوا منصوب بأن التي بمعنى إلاّ أو إلى فتأمل هذا الفصل ، وحاصل ما تقدم أن الجزم عطفاً على تمسّوهن يؤدي لاختلاف الآيتين نسقاً ، وعدم التخالف أولى ، والجملة معطوفة على جواب أن المحذوف . والمعنى إن طلقتم النساء زمان عدم المس

وفرض الفريضة فـلا تعطوهن المهر (ومتعوهن) عطف عـلى فلا تعطوهن المهر أي أعطوهن ما يتمتعن به (على الموسع قدره) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وقدره مبتدأ مؤخر والجملة حالية (وعلى المقتر قدره) عطف على ما تقدم (متاعاً بالمعروف) متاعاً : مفعول مطلق ومتاعاً اسم مصدر بمعنى المصدر أي تمتيعاً وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (حقاً على المحسنين) مفعول مطلق لفعل محذوف ، وعلى المحسنين الجار والمجرور متعلقان بالمصدر (وإن طلقتموهن) عطف على ما تقدم وقد مر إعرابه (من قبل أن تمسوهن) الجار والمجرور متعلقان بطلقتموهم وأن وما في حيزها في تأويـــل مصدر مجـرور بالإضافة أي من قبـل المسيس (وقـد فرضتم لهن فريضة) الواو حالية وقد حرف تحقيق وفرضتم فعـل وفاعل ولهن الجار والمجرور متعلقان بفرضتم وفريضة إما مفعول به وهي بمعنى المفعول أي شيئاً مفروضاً وإما مفعول مطلق بمعنى فرضاً (فنصف) الفاء رابطة لجواب الشرط ونصف مبتدأ والخبر محذوف أي فعليكـم نصف ، أو خبر لمبتدأ محـذوف أي فالواجب نصف (ما فرضتم) ما اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة فرضتم صلة الموصول والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط (إلا أن يعفون) إلا أداة استثناء وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن عفوهن عن النصف وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن ، وفي هذا الحكم مباحث فقهية طريفة تؤخذ من مظانها . ويعفون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ولا أثر للعامل في لفظه وهو في محـل نصب فالنون ضمير وليست علامة إعراب كما في قولك : الرجال يعفون (أو يعفوَ) عطف على يعفون وعلامة نصبه الفتحة (الذي) فاعل يعفو (بيده عقـدة

النكاح) بيده الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعقدة النكاح مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة الموصول (وأن تعفوا أقرب للتقوى) الواو استئنافية وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مؤوّل في محل رفع مبتدأ وأقرب خبر وللتقوى متعلقان بأقرب (ولا تنسوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتنسوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (الفضل) مفعول به (بينكم) الظرف متعلق بمحذوف حال (إن الله بما تعملون بصير) إن واسمها ، والجار والمجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون صلة ما ، وبصير خبر إن ، والجملة تعليل لما تقدم .

البلاغة :

١ ــ في هذه الآية فن طريف وهو فن التعريض ، وبعضهم يدخله في باب الكناية ، ونرى أنه فنّ قائم بنفسه ، وهو هنا في قوله تعالى : « فيما عرضتم به من خطبة النساء » كأنه يقول لمن يريد خطبتها : إنك جميلة ، أو من يجد مثلك ؟ أو نحو ذلك . ومن بديع التعريض في الشعر قول أبي الطيب المتنبي معرضاً بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا ... دِ أنكر أظلافه والغبب

يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغببه أي اللحم المتدلي تحت حنك الثور ، وأما من كان مثل كافور سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك منه إن ركبه بعد الجواد . وله أيضاً فيه يستزيده من الجوائز :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب

يقول مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم
مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾

اللغــة :

(الوسطى) : الفضلى من قولهم للأفضل : الأوسط ، وليست من الوسط الذي معناه التوسط بين شيئين، لأن فُعلى معناها التفضيل، ولا يبنى للتفضيل إلا ما يقبل التفاوت أي الزيادة والنقص ، والوسط بمعنى الخيار يقبلهما بخلاف التوسط بين الشيئين فإنه لا يقبلهما ، ولذلك لا يجوز أن يبنى منه أفعل التفضيل .

(قانتين) : طائعين أو ساكتين .

(رجالاً) : جمع راجل أي مشاة .

الاعراب :

(حافظوا على الصلوات) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام صلاة الخوف . وحافظوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وعلى الصلاة جار ومجرور متعلقان بحافظوا (والصلاة) عطف على الصلوات (الوسطى) صفة (وقوموا لله قانتين) الواو حرف عطف وقوموا عطف على حافظوا ولله جار ومجرور متعلقان بقانتين وقانتين حال من فاعل قوموا (فإن خفتم) الفاء استئنافية وإن شرطية وخفتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط (فرجالاً) الفاء رابطة لجواب الشرط ورجالاً حال والعامل محذوف تقديره فصلوا أو فحافظوا عليها رجالاً والجملة في محل جزم جواب الشرط(أو ركباناً) عطف على «رجالاً»(فإذا أمنتم) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة أمنتم في محل جر بالإضافة(فاذكروا الله)الفاء رابطة لجواب إذا واذكروا الله فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (كما علمكم) الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة أو على الحال وما مصدرية وجملة علمكم لا محل لها لأنها جواب موصول حرفي (ما لم تكونوا تعلمون) ما اسم موصول مفعول ثان لعلمكم وجملة لم تكونوا صلة وجملة تعلمون خبر تكونوا، والمراد ما لم تكونوا تعلمونه من صلاة الخوف وهي مبسوطة في كتب الفقه (والذين يتوفون منكم) الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة يتوفون صلة والواو نائب فاعل ومنكم متعلقان بمحذوف حال (ويذرون أزواجاً) عطف على يتوفون وأزواجاً مفعول به (وصية لأزواجهم) وصية مفعول مطلق لفعل محذوف أي يوصون وصية

وهذه الجملة الفعلية خبر الذين والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لوصية (متاعاً الى الحول) يجوز أن تنصب متاعاً علـى المفعولية المطلقة لفعل محذوف ، أي يمتعوهن متاعاً أو على أنها بدل من وصية أو على الحال . وقيل منصوب بوصية ، وقيل بفعل محذوف ، أي متعوهن متاعاً . والى الحول جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاعاً أي ممتداً الى الحول (غير إخراج) غير حال ، أي حالة كونهن غير مخرجات من مسكنهن . وقال الأخفش هي صفة لقوله متاعاً ، كأنه قال : لا إخراجاً . واختاره ابن جرير الطبري ، ولا مانع منه . وقيل : منصوب بنزع الخافض . وإنما أوردنا هذه الأوجه لأنها متساوية الرجحان (فإن خرجن) الفاء استئنافية وإن شرطية وخرجن فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط (فلا جناح عليكم) الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محـل جزم جواب الشرط (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فعلن صلة الموصول وفي أنفسهن متعلقان بقوله فعلن ، ومن معروف جار ومجرور متعلقـان بمحذوف حـال (والله عزيز حكيم) الجملة استئنافية والله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه .

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وللمطلقات متاع بالمعروف) الواو استئنافية والجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومتاع مبتدأ مؤخر وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع (حقاً على المتقين) حقاً مفعول مطلق لفعل محذوف وعلى المتقين جار ومجرور متعلقان بـ « حقاً » (كذلك يبين الله لكم آياته) كذلك في محل نصب مفعول مطلق أو حال ، والله فاعل يبين ، ولكم متعلقان بيبين ، وآياته مفعول به (لعلكم تعقلون) لعل واسمها وجملة تعقلون خبرها وجملة الرجاء حالية .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) ﴾

الاعراب :

(ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) الهمزة للاستفهام التقريري ، ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت والجار والمجرور متعلقان بـ « تر » وجملة خرجوا صلة الموصول ، والرؤية هنا قلبية ولكنها تضمنت معنى الانتهاء فعدّيت بإلى ، والمعنى ألم ينته الى علمك ، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال أولئك القوم . ومن ديارهم متعلقان بخرجوا (وهم ألوف) الواو حالية وهم مبتدأ ألوف خبر والجملة في محل

نصب على الحال (حذر الموت) مفعول لأجله وهم قوم من بني إسرائيل هربوا من الطاعون الذي اجتاح أرضهم (فقال لهم الله موتوا) الفاء عاطفة وقال فعل ماض ولهم متعلقان بقال والله فاعل وجملة موتوا في محل نصب مقول القول (ثم أحياهم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأحياهم معطوف على محذوف أي فماتوا ثم أحياهم وعطف بثم لإفادة معنى تراخي المدّة بين الإماتة والإحياء (إن الله لذو فضل على الناس) الجملة مستأنفة مسوقة للمفارقة بين فضل الله تعالى على الناس وجحودهم لهذا الفضل بعدم الشكر وإن واسمها واللام المزحلقة وذو فضل خبر إن وعلى الناس متعلقان بمحذوف صفة لفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الواو حالية ولكن حرف استدراك ونصب وأكثر الناس اسمها وجملة لا يشكرون خبرها (وقاتلوا في سبيل الله) الواو عاطفة على مقدر يفهم من سياق الكلام أي لا تفروا أيها المؤمنون كما فر بنو إسرائيل وقاتلوا أعداءكم وفي سبيل الله متعلقان بقاتلوا (واعلموا أن الله سميع عليم) عطف أيضاً وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وسميع عليم خبران لأن •

البلاغـة :

١ ـ المراد بالاستفهام التقرير مشوباً بالعجب والتشويق الى معرفة فحوى القصة واكتناه مغزاها •

٢ ـ المجاز المرسل في قوله : « حـذر الموت » والمراد مرض الطاعون الذي اجتاحهم ، والعلاقة هي اعتبار ما يئول اليه هذا المرض•

٣ ـ الطباق بين الإماتة والإحياء .

٤ ـ الإيجاز بالحذف في قوله : « موتوا » وقوله « ثم أحياهم » فقد حذف فماتوا للاستغناء عن ذكره للتنبيه على أن كل شيء لا يتخلف عن إرادته تعالى .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾

اللغة :

(القرض) : اسم مصدر ، لأن المصدر إقراض ، والقرض هنا بمعنى الشيء المقرض ، ويظهر أثر ذلك في الإعراب ، كما سيأتي .

(الأضعاف) : جمع ضعف ، ويجوز أن يكون الضعف اسم مصدر ، ويظهر أثر ذلك في الإعراب أيضاً .

الاعراب :

(من ذا الذي) من استفهامية مبتدأ وذا اسم إشارة خبر والذي بدل من اسم الإشارة أو نعت له والجملة استئنافية (يقرض الله) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (قرضاً حسناً) مفعول مطلق ، ويجوز أن يكون بمعنى الشيء المقرض فيكون مفعولاً به ثانياً ، وحسناً صفة (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) الفاء للسببية ويضاعفه فعل

مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للاستفهام، والجار والمجرور متعلقان بيضاعفه ، وأضعافاً حال مبينة من الهاء ، وأجاز أبو البقاء إعرابها مفعولاً به ثانياً ، وإذا اعتبرناه اسم مصدر فيجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً • ومن أمثلة أسماء المصدر : العطاء بمعنى الإعطاء ، قال القطامي :

أكفراً بعد ردّ الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

وكثيرة : صفة لأضعاف ، ووجود هذه الصفة يرجح إعرابه حالاً (والله يقبض ويبسط) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يقبض خبر ، ويبسط عطف على يقبض (وإليه ترجعون) الواو عاطفة وإليه جار ومجرور متعلقان بترجعون ، والجملة عطف على سابقتها •

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التصريحية في يقرض ، فقد حذف المشبّه وهو العمل الصالح وأبقى المشبه به وهو ما يقترض من مال وغيره ، ورشح للاستعارة بمضاعفتها ، كما يحصل في القروض والفوائد المترتبة عليها•

٢ ـ الطباق بين يقبض ويبسط •

الفوائد :

رجح ابن جرير قراءة الرفع في « فيضاعفه » باثبات الألف ورفع

يضاعفه . وعلل ترجيحه بأن الجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) ﴾

(الملأ) : من القوم : وجوههم وأشرافهم ، وهو اسم للجماعة ، لا واحد له من لفظه . سموا بذلك لأنهم يملئون القلوب والعيون حسناً وبهاء ، والجمع أملاء ، مثل سبب وأسباب ، قال :

وقال لها الأملاء من كل معشر وخير أقاويل الرّجال سديدها

ويقال : هو مليء وملي ّ : أي غني ّ مقتدر .

الاعراب :

(ألم تر الى الملأ من بني إسرائيل) الهمزة للاستفهام التقريري ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير قصة حافلة بالعبر كما سيأتي ، ولم

حرف نفي وقلب وجزم ، و « تر » فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية مضمنة معنى العلم والانتهاء لتصح التعدية بإلى ، وقد تقدم نظيرها . والفاعل مستتر تقديره أنت والى الملأ متعلقان بـ « تر » . ومن بني إسرائيل متعلقان بمحذوف حال والجملة الفعلية استئنافية (من بعد موسى) متعلقان بمحذوف حال أي من بعد موته أيضاً (إذ قالوا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالقصة المقدرة ، أي الى قصة ملأ بني إسرائيل . ولما كانت الذوات لا يتعجب منها صار المعنى : الم تر الى ما جرى للملأ من بني إسرائيل من بعد موت موسى ، وجملة قالوا في محل جر بالإضافة (لنبي) الجار والمجرور متعلقان بقالوا (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة . وهو يوشع صاحب قصة وقوف الشمس التي كانت مصدراً رائعاً لافتنان الشعراء وسنوردها قريباً (ابعث لنا ملكاً) الجملة مؤلفة من فعل الأمر والفاعل في محل نصب مقول القول ، ولنا متعلقان بابعث ، وملكاً مفعول به أي قائداً (نقاتل في سبيل الله) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، وفي سبيل الله متعلقان بنقاتل وجملة نقاتل عطف على ابعث (قال) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة مستأنفة (هل عسيتم) هل حرف استفهام للتقرير وعسيتم فعل ماض من أفعال الرجاء والتاء اسمها (إن كتب عليكم القتال) إن شرطية وكتب فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط وعليكم متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل . وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا تبادرون الى القتال ، وفعل الشرط وجوابه جملة اعتراضية بين اسم عسى وخبرها وهو قوله (أن لا تقاتلوا) وأن حرف مصدري ونصب ولا نافية وتقاتلوا فعل مضارع منصوب بأن وجملة هل عسيتم مقول

القول (قالوا) الجملة مستأنفة وقالوا فعل وفاعل (وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله) الواو عاطفة لمجرد ربط الكلام بما قبله ، وما اسم استفهام مبتدأ ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وأن لا نقاتل في سبيل الله : المصدر المنسبك من أن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض والتقدير : وما لنا في ترك القتال ؟ (وقد أخرجنا من ديارنا) الواو حالية وقد حرف تحقيق وأخرجنا فعل ماض مبني للمجهول والضمير نائب فاعل ومن ديارنا متعلقان بأخرجنا (وأبنائنا) عطف على « ديارنا » ، ولا بد من تضمين فعل الإخراج معنى البعد ليصح العطف . والجملة في موضع نصب على الحال (فلما كتب عليهم القتال) الفاء استئنافية و « لما » حينية أو رابطة ، وكتب فعل ماض مبني للمجهول وعليهم جار ومجرور متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل (تولوا إلا قليلا منهم) جملة تولوا لا محل لها لأنها جواب «لما» وهي شرطية غير جازمة ، وتولوا فعل وفاعل وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى متصل لأنهم من جنس القوم ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » . (والله عليم بالظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وعليم خبر وبالظالمين الجار والمجرور متعلقان بعليم .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

اللغــة :

(طالوت) ومثله جالوت ، اسمان أعجميان ولذلك امتنعا من الصرف للعلمية والعجمة فلا عبرة بمن يقول : إنهما اسمان عربيان .

(التابوت) : من التوب وهو الرجوع والإنابة لأنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه ، وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت وجبروت، وقد نسجت حوله أساطير يلعب فيها الخيال دوره .

الاعراب :

(وقال لهم نبيّهم) الواو عاطفة وقال فعل ماض ولهم متعلقان بـ « قال » ونبيهم فاعل (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) إن واسمها وجملة قد بعث خبرها وطالوت مفعول به وملكاً حال من طالوت وإن وما بعدها جملة اسمية في محل نصب مقول القول ، (قالوا : أنى يكون له الملك علينا) الجملة مستأنفة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال ، ويكون : فعل

مضارع ناقص ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « يكون » المقدم . والملك اسم يكون المؤخر وعلينا جار ومجرور متعلقان بالملك، لأن مادة « ملك » تتعدى بـ « على » . تقول ملك على القوم أمرهم وجملة الاستفهام وما في حيزه في محل نصب مقول قالوا . أي كيف يكون وهو ليس من سبط المملكة ! فقد كان أبوه عاملاً بسيطاً .

وهكذا تتأصل في اليهود العنصرية والطبقية منذ أبعد الآماد (ونحن أحق بالملك منه) الواو حالية ونحن مبتدأ واحق خبره وبالملك جار ومجرور متعلقان بأحق ، ومنه متعلقان بأحق أيضاً ، والجملة التالية للواو في محل نصب على الحال (ولم يؤت سعة من المال) الواو عاطفة فقد أضافوا الى العنصرية والطبقية حبّ المال والتعويل عليه في الأرجحية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويؤت فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو ، وسعة مفعول به ثان . وأصل سعة وسعة ، فحذفت الواو حملاً على المضارع . ومن المال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لسعة (قال : إن الله اصطفاه عليكم) قال : فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على النبي ، وإن واسمها ، واصطفاه فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة خبر إن وجملة إن ومافي حيزها في محل نصب مقول القول وعليكم جار ومجرور متعلقان باصطفاه (وزاده بسطة في العلم والجسم) الواو عاطفة وزاده فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وبسطة مفعول به ثان ويجوز إعراب بسطة تمييزاً إن قلنا إنه يتعدى لواحد . وفي العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبسطة ،

والجسم عطف على العلم (والله يؤتي ملكه من يشاء) الواو عاطفة ، الله مبتدأ ، وجملة يؤتي خبر ، ملكه : مفعول به أول ، من اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان ، وجملة يشاء صفة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع عليم خبراه (وقال لهم نبيهم)الواو عاطفة أو استئنافية مسوقة للتدليل على صحة كلامه، وقال فعل ماض ولهم متعلقان بـ « قال » ونبيهم فاعل (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) إن واسمها وملكه مضاف إليه ، وأن يأتيكم مصدر مؤول في محل رفع خبر إن ؛ وإن ومافي حيزها في محل نصب مقول القول ، والتابوت فاعل يأتيكم والكاف مفعول به مقدم (فيه سكينة) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وسكينة مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب حال من التابوت (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لسكينة (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) بقية معطوف على سكينة وهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبقية وترك آل موسى : الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وآل موسى فاعل ترك وآل هارون عطف على آل موسى (تحمله الملائكة) فعل مضارع والهاء مفعول به والملائكة فاعله والجملة حال ثانية من التابوت (إن في ذلك لآية لكم) إن حرف مشبه بالفعل والجملة بمثابة التعليل لامحل لها ، وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية والجملة تعليلية لامحل لها. (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان ، ومؤمنين خبرها . وجواب الشرط محذوف تقديره فتدبروا الأمر واعتبروا وامتثلوا أمر ربكم وآياته . والجملة الشرطية استئنافية .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم
مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا
دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ
وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾

اللغة :

(فصل) بمعنى انفصل ، فهو لازم ويكون متعدياً ، فيكون

مفعوله محذوفاً . وفصل العسكر عن البلد فصولاً .

(غرفة) بضم الغين بمعنى مفعول ، ويجوز فتح الغين على أنه مصدر مرة ، وقد قرىء بها أيضاً .

الاعراب :

(فلما فصل طالوت بالجنود) الفاء عاطفة على جمل محذوفة تقدر بحسب ما يقتضيه سياق الكلام ، والتقدير فأقروا بملكه وتنادوا إلى الجهاد ، فلما ..... ، ولما ظرفية حينية فهي اسم أو رابطة ، فهي حرف متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وجملة فصل طالوت بالجنود في محل جر بالإضافة إن كانت ظرفاً ، وبالجنود متعلقان بفصل أو بمحذوف حال أي والجنود مصاحبوه (قال إن الله مبتليكم بنهر) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وإن واسمها ومبتليكم خبرها والجار والمجرور متعلقان بمبتليكم والجملة الاسمية مقول القول (فمن شرب منه فليس مني) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وشرب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ، ومنه جار ومجرور متعلقان بشرب والفاء رابطة لجواب االشرط وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو ومني جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن لم يطعمه فانه مني) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ولم حرف نفي وقلب وجزم ويطعمه فعل مضارع مجزوم بلم والفاء رابطة وان واسمها ومني جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (إلا من اغترف غرفة بيده) إلا أداة استثناء ومن اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من قوله : فمن شرب منـــه ، وفصل بينهما بالجملة الثانية للعنايـــة بمحتواها ، وجملة اغترف لا محل لها لأنها صلة وغرفة مفعول به أو مفعول مطلق إذا اعتبرنا غرفة مصدر مرة ، وبيده متعلقان بمحذوف صفة لغرفة (فشربوا منه) الفاء الفصيحة وشربوا فعل وفاعل ومنه متعلقان بشربوا (إلا قليلاً منهم) إلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من قوله : فشربوا منه ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ل « قليلاً » (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) الفاء عاطفة أو استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة حرفية متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وجملة جاوزه في محل جر بالإضافة إذا اعتبرنا « لما » ظرفية أو لا محل لها من الاعراب ، وهو ضمـــير منفصل تأكيد للضمير المستكنّ في « جاوزه » والذين عطف على « هو » وجملة آمنوا صلة الموصول ومعه ظرف مكان متعلق بجاوزه ، والمعنى : فلما جاوزه وجاوز معه الذين آمنوا وهم الذين اقتصروا على الغرفة ، أو الذين لم يذوقوا الماء أصلاً للإشارة الى الحكمة من الابتلاء ، وهي أن يرجع المتزلزل منهم قبل لقاء العدو ، لأن المتزلزلين إذا ظلوا فيهم ثم هربوا لكان ذلك سبباً لتخاذل الجنود ، وما أعجب أساليب القرآن !! (قالوا) فعل وفاعل (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) الجملة في محل نصب مقول القول ، ولا نافية للجنس ، وطاقة اسمها ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، واليوم ظرف متعلق بما تعلق به الخبر ، وهو « لنا » وكذلك

قوله بجالوت . ولا يجوز تعليق واحد من هذه الظروف بـ « طاقة » لئلا يلزم تنوينه ، إذ يصبح شبيهاً بالمضاف ، ولم يقرأ به أحد . على أنه يجوز تفادياً لتعليق الثلاثة بمتعلق واحد أن يعلق واحد منها بمحذوف حال ، فيكون بمثابة التبيين لانتفاء الطاقة (قال الذين) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (يظنون أنهم ملاقوا الله) جملة يظنون لا محل لها لأنها صلة الذين والواو فاعل ، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يظنون ، والله مضاف لقوله « ملاقوا » (كم من فئة قليلة) كم خبرية في محل رفع مبتدأ ومن فئة تمييز كم الخبرية ، وقد تقدم القول فيها وقليلة صفة لفئة وجملة (غلبت فئة كثيرة بإذن الله) خبر لـ « كم » وجملة كم وما في حيزها في محل نصب مقول القول (والله مع الصابرين) الواو استئنافية والله مبتدأ ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والصابرين مضاف إليه (ولما برزوا لجالوت وجنوده) الواو استئنافية ولما حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وقد تقدم إعرابها ، والجار والمجرور متعلقان ببرزوا ، وجنوده عطف على جالوت (قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ربنا أفرغ علينا صبراً) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأفرغ فعل أمر معناه هنا الدعاء ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفرغ وصبراً مفعول به والجملة مقول القول (وثبت أقدامنا) عطف على جملة أفرغ، (وانصرنا على القوم الكافرين) عطف أيضاً (فهزموهم بإذن الله) لك أن تجعل الفاء عاطفة على جمل محذوفة يقتضيها سياق الكلام ،

أي فنشبت المعركـة والتحم الجيشان فهزموهم . ولك أن تجعلهـا فصيحة أي إذا شئت أن تعرف ماذا أسفرت عنه المعركة فقد هزموهم وهزموهم فعل وفاعل ومفعول به (وقتل داود جالوت) الواو عاطفة وفعل وفاعل ومفعول به(وآتاه الله الملك والحكمة)الواو عاطفةوآتاه فعل ماض والهاء مفعول به أول والله فاعل والملك مفعول به ثان والحكمة عطف على الملك(وعلمه مما يشاء)عطف على«آتاه»ومما متعلقان بعلمه وجملةيشاء صلة والمفعول به محذوف، لأن الصناعات التي تعلمها داود كثيرة منها صناعة الحديد ، وقد لان في يده وفهم منطق الطير والبهائم (ولولا دفع الله الناس) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ودفع مبتدأ محذوف الخبر تقديره موجود ولفظ الجلالة مضاف إليه والناس مفعول به للمصدر (بعضهم ببعض) بعضهم بدل من الناس والجار والمجرور متعلقان بدفع (لفسدت الأرض) اللام واقعة في جواب لولا وجملة فسدت الأرض لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والمعنى امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله الناس بعضهم ببعض . وهذا مشاهد معاين (ولكن الله ذو فضل على العالمين) الواو استئنافية ولكن واسمها وذو فضل خبرها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفضل (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر والجملة مفسرة (تتلوها عليك بالحق) والجملة في محل نصب حال ، ولك أن تجعل آيات الله بدلاً من اسم الإشارة ، وجملة تتلوها هي الخبر والأول أمكن . وعليك جـار ومجرور متعلقـان بنتلوها وبالحق متعلقان بمحـذوف حال أي مؤيدة بالحق مدعومة باليقـين الذي

لا يتسرب إليه الشك (وإنك لمن المرسلين) الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إنك .

لمحة تاريخية أدبية : قلنا في مستهل هذه الآيات : إننا سنشير الى حادثة أدبية تاريخية تتعلق بيوشع خليفة موسى عليهما السلام ، وبرأ بالوعد نقول : لما قاتل يوشع الجبارين كان اليوم يوم الجمعة ، فلما جنحت الشمس إلى المغيب خاف أن تغيب عنهم قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم ، فدعا الله تعالى فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد انتهز أبو تمّام الطائي هذه الرواية الشعرية المجنّحة فصاغ منها معنى مبتكراً في الشعر يسمى التلميح ، وهو أن يشير الشاعر في بيته أو الناثر في كتابته الى قصة معلومة على جهة التمثيل ، وأحسنه فقال :

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى
قلوباً عهدنا طيرها وهي وُقّعُ

فَرُدَّتْ علينا الشّمس والليلُ راغمٌ
بشمس لها من جانب الخدر مطلع

نضا ضوءها صِبْغَ الدّجنّة وانطوى
لبهجتها ثوبُ السماء المجزّع

فوالله ما أدري أأحـــلامُ نائـــمٍ
ألمّت بنا أم كان في الرّكـب يوشعُ

وقد رمق شوقي في العصر الحديث هذه السماء العالية ، وقال في مطلع قصيدة رثى بها الزعيم المصري سعد زغلول :

شيّعوا الشمس ومالوا بضحاهــا
وانحـنى الركـب عليهـا فبكاهـا

ليتـني في الرّكــب لمّـا أفلـت
يوشـــع همّت فنـــادى فثناهـا

ولكن التكلف ظاهر في مقام الرثاء ، وذلك لا يتلاءم مع حرارة العاطفة المحتدمة .

لمحة تاريخية ثانية :

كانت هذه القصة مصدراً خصباً للإنتاج والتصوير ، فقد طلب جالوت زعيـم الجبارين قوم يوشع للمبارزة فهابوه وامتنعوا ، لأنه كان جباراً عظيماً كبير الجسم جداً ، ولكن داود وكان صغيراً لم يبلغ الحلم يرعى الغنم برز له بمقلاعه الشهير فرماه بحجر ، في قصة شائقة ، فقتله ثم استقل بالملك . وهكذا تبرز العنصرية في بني إسرائيل منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) جملة اسمية مستأنفة مسوقة لتقرير حال جماعة الرسل المذكورة قصصها في السورة واسم الاشارة مبتدأ والرسل خبر، فضلنا فعل ماض مبني على السكون، و « نا » فاعل وجملة فضلنا حالية ، ويجوز إعراب الرسل بدلاً من اسم الاشارة وجملة فضلنا خبر وبعضهم مفعول به وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضلنا (منهم من كلم الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وكلم الله فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول والعائد محذوف هو المفعول به والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها . ويجوز إعرابها بدلاً من جملة فضلنا على الحالين المتقدمين أو خبراً ثانياً لاسم الإشارة (ورفع بعضهم درجات) الواو حرف عطف ورفع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وبعضهم مفعول به ودرجات منصوب بنزع الخافض أي في درجات ، وأعربها أبو البقاء حالاً مؤولة من « بعضهم » أي : ذا درجات وكلاهما صحيح (وآتينا عيسى بن

مريم البينات) الواو عاطفة وآتينا فعل وفاعل وعيسى مفعول به وابن بدل من « عيسى » أو صفة له ومريم مضاف اليه والبينات مفعول به ثان وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (وأيدناه بروح القدس) الواو حرف عطف وأيدناه فعل وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بأيدناه والقدس مضاف اليه (ولو شاء الله) الواو استئنافية ولو شرطية ، شاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف تقديره : عدم اقتتالهم (ما اقتتل الذين من بعدهم) ما نافية واقتتل الذين فعل وفاعل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من بعد ما جاءتهم البينات) الجار والمجرور متعلقان باقتتل أو بدل من قوله : « من بعدهم » بإعادة الجارّ وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة ، أي : من بعد مجيء البينات (ولكن اختلفوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لاستدراك ما قبلها ، ولكن حرف استدراك مهمل ، واختلفوا فعل وفاعل (فمنهم من آمن) الفاء تفريعية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وآمن فعل ماض وفاعله هو والجملة صلة (ومنهم من كفر) عطف على الجملة السابقة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) تقدم إعرابها وتكررت لتأكيد الكلام (ولكن الله يفعل ما يريد) الواو استئنافية ولكن حرف مشبه بالفعل ، واسمها الله ، وجملة يفعل خبرها وما اسم موصول مفعول به ، وجملة يريد صلة الموصول .

البلاغـة :

في قوله : « ورفع بعضهم درجات » فن الإبهام وفيه من التفخيم والتنويه بالمنزلة ما لو نطق به لم يعدل إبهامه لما ينطوي عليه من شهادة

بأنه العلم الذي لا يشتبه به ، والمتميز على غيره ، فهو يريد محمداً صلى الله عليه وسلم ، وحسبه القرآن الذي أنزل عليه ، فهو المعجزة الباقية على وجه الدهر ، فعدم الذكر أبلغ من الذكر ، والإبهام أبلغ من الإيضاح . سئل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ فذكر زهيراً والنابغة ، ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث ، أراد نفسه . ولو صرح بذلك لم يكن بهذه المثابة من الفخامة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾

اللغة :

(الخلة) بضم الخاء : المودة والصداقة ، سمّيت بذلك لأنها تتخلل الأعضاء ، أي تدخل خلالها . والخليل : الصديق لمداخلته إياك ، وتخلّل مودته جوانحك . ويحتمل أن يكون الخليل بمعنى فاعل أو مفعول .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) يا : حرف نداء ، أي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب ، والهاء للتنبيه ، الذين بدل من أيها ، آمنوا : فعل وفاعل وجملة آمنوا صلة (أنفقوا مما رزقناكم) فعل أمر والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بأنفقوا ، ورزقناكم فعل

وفاعل ومفعول ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ، والجملة كلها مستأنفة (من قبل أن يأتي يوم) الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا أيضاً ، ولا مانع من تعليق حرفين بلفظ واحد لاختلافهما معنى ، فـ « من » الأولى للتبعيض والثانية للابتداء ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة ، أي : من قبل إتيان ، ويوم فاعل يأتي (لا بيع فيه ولا خلة) لا النافية للجنس أهملت لتكررها ، وستأتي أحكامها في مكان آخر . وبيع مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه . وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره ولا خلة عطف على « لا بيع » (ولا شفاعة) عطف أيضاً (والكافرون هم الظالمون) الواو استئنافية والكافرون مبتدأ وهم مبتدأ ثان والظالمون خبره والجملة الاسمية خبر « الكافرون » أو « هم » ضمير فصل أو عماد ، و « الظالمون » خبر « الكافرون » .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

اللغة :

(القيّوم) فيعول : من قام بالأمر إذا دبّره أحسن تدبير ،

وأصله « قيووم » اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها فصار « قيوماً » . قال أميّة ابن أبي الصلت :

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمرٌ يعوم
قدّره المهيمن القيوم والحشر والجنة والجحيم
إلاّ لأمر شأنه عظيم

(السِنة) بكسر السين : ما يتقدم النوم من الفتور والاسترخاء مع بقاء الشعور . وهو المسمى بالنعاس ، قال عدي بن الرقاع وأبدع :

وسنان أقصده النعاس فرنّقت في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

فلذلك نفى النوم لأنه سلب للحواس وأثبت السِّنة في البيت .

(الكرسي) معروف . والياء ليست للنسبة ولو كانت للنسبة لخرج إلى حيز الصفة وأصله من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكرّاسة . سميت بذلك لتركب بعض أوراقها على بعض . وفي العرف الدارج ما يجلس عليه . وتكرس فلان الحطب وغيره إذا جمعه . وكرّس البناء إذا أسسه .

(يئوده) يثقله ويشق عليه .

الاعراب :

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) كلام مستأنف فخم مسوقٌ لجمع أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية والسلبية . والله مبتدأ

ولا نافية للجنس وإله اسمها المبني على الفتح وإلا أداة حصر و « هو » بدل من محل لا واسمها • وقد تقدم إعراب الشهادة مفصلاً • والجملة الاسمية « لا إله إلا هو » خبر الله والحي خبر ثان والقيوم خبر ثالث • ولك أن تعربهما صفتين لله (لا تأخذه سنة ولا نوم) الجملة خبر رابع للمبتدأ ولا نافية وتأخذه فعل مضارع ومفعول به وسنة فاعل تأخذه ولا نوم عطف على سنة (له مافي السموات ومافي الأرض) الجملة خبر خامس وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر وفي السموات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ، وما في الأرض : معطوف على ما في السموات (من ذا الذي يشفع) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على المشركين الذين زعموا أن الأصنام تشفع لهم• ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ وذا اسم إشارة في محل رفع خبر « من » • والذي اسم موصول بدل أو « من ذا » كلها اسم استفهام مبتدأ « والذي » هو الخبر • واعلم أن « ذا » الواقعة بعد « ما » الاستفهامية يجوز جعلها اسم موصول اتفاقاً ، وأما الواقعة بعد « من » فالأكثر أنها اسم إشارة • ويشفع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عنده إلا بإذنه) الظرف متعلق بيشفع أو بمحذوف حال من الضمير في يشفع، وإلا أداة حصر وبإذنه الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الجملة خبر سادس ويعلم فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على الله تعالى وما اسم موصول مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، وأيديهم مضاف إليه والواو حرف عطف وما عطف على « ما » الأولى والظرف متعلق بالصلة المحذوفة (ولا يحيطون بشيء من علمه) الجملة معطوفة على ما تقدم

ولا نافية ويحيطون فعل مضارع والواو فاعل وبشيء جار ومجرور متعلقان بيحيطون ، من علمه : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء (إلا بما شاء) إلا أداة حصر ، بما : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل من شيء بإعادة الجار ، وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة ما ومفعول المشيئة محذوف تقديره : أن يعلمهم به (وسع كرسيه السموات والأرض) الجملة خبر سابع ولك أن تنصبها على الحال ووسع كرسيه فعل ماض وفاعل والسموات مفعول به ، والأرض عطف على السموات (ولا يئوده حفظهما) الواو عاطفة ولا نافية ويئوده فعل مضارع ومفعول به حفظهما : فاعل والهاء مضاف إليه ، والميم والألف حرفان دالان على التثنية (وهو العلي العظيم) الواو عاطفة وهو مبتدأ والعلي خبره والعظيم خبر ثان .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على أهم المسائل المتعلقة بالذات الإلهية . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة . وفيها آية هي سيدة آي القرآن وهي آية الكرسي .

وتلخص فيما يلي فنون البلاغة المنطوية فيها :

١ ــ الاستعارة التصريحية في قوله : « وسع كرسيه السموات والأرض » فالكلمة مجاز عن علمه تعالى أو ملكه وتصوير صحيح لعظمته ، حذف المشبه وهو العلم والقدرة والعظمة وما يترتب على الجلوس فوق كرسي الملك من معاني الأبهة والإحاطة الجامعة .

ملاحظة ابن قتيبة :

على أن ابن قتيبة لاحظ في كتابه « مشكل القرآن » أن هذا يخالف نصوص اللغة . ورد على المعتزلة في آرائهم ، قال ما نصه :

« وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردّوه الى مذاهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم ، فقال فريق منهم في « وسع كرسيه السموات والأرض » أي علمه . وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر : « ولا يكرسىء علم الله مخلوق » كأنه عندهم : ولا يعلم علم الله مخلوق . والكرسي غير مهموز ، ويكرسىء مهموز ، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسياً » ولكننا لا نوافق ابن قتيبة على رأيه فإن كثيرين من أهل السنة ذهبوا الى ذلك .

رأي التفتازانيّ :

قال التفتازاني : إنه من باب إطلاق المركّب الحسّيّ المتوهم على المعنى العقلي المحقق .

رأي القرطبيّ :

وفي تفسير القرطبي : « وقال ابن عباس : كرسيّه : علمه ، ورجحه الطبري . وقيل كرسيه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض ، كما تقول : اجعل لهذا الحائط كرسياً ، أي ما يعمده » .

وهذا قريب من قول ابن عباس . وهذا بحث طويل يتشعب فيه الجدال ، بين أهل السنة والاعتزال ، فليرجع فيه الى المطولات .

٢ ــ الايجاز : فقد تضمنت آية الكرسي من الإيجاز مالا مطمح فيه لتقليد أو محاكاة ويمكن القول : إن البيان اتحد بالمبين في تصوير الملك الحقيقي الذي لا ينازع فيه بأرشق عبارة وأدق وصف ، وفيها ما يسمى بالفصل في علم المعاني ، وهو حذف العاطف للدلالة على أن كل صفة من صفات هذا الملك العظيم مستقلة بنفسها ، وذلك على النحو التالي :

آ ــ الجملة الأولى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » وقد بيّن فيها قيامه سبحانه بتدبير الخلق وتنسيق شئونهم ، وإحكام معايشتهم وهمينته عليه دون أن يكون ساهياً عنه طرفة عين .

ب ــ الجملة الثانية : « له ما في السموات ومافي الأرض » وقد بيّن فيها أنه مالك لما يدبره غير منازع في ملكه .

جـ ــ الجملة الثالثة : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقد بين فيها كبرياء شأنه وتضاؤل الجميع أمام قدرته التي لا تحدّ .

د ــ الجملة الرابعة : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » وقد صور فيها إحاطته بأمور الخلق وأحوالهم بحيث لا يغرب عنه شيء .

هـ ــ الجملة الخامسة : « وسع كرسيه السموات والأرض » الى آخر الآية ، وقد نوّه فيها بتعلقه بالمعلومات كلها وكل شيء عنده بمقدار .

٣ ــ إيجاز الإيجاز : فقد اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل

عليه آية من آيات الله سبحانه ، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعضها الآخر ، وذلك على الترتيب التالي :

١ ــ الله ، ٢ ــ هو ، ٣ ــ الحي ، ٤ ــ القيوم ، ٥ ــ ضمير لا تأخذه ، ٦ ــ ضمير له ، ٧ ــ ضمير عنده ، ٨ ــ ضمير بإذنه ، ٩ ــ ضمير يعلم ، ١٠ ــ ضمير علمه ، ١١ ــ ضمير شاء ، ١٢ ــ ضمير كرسيه ، ١٣ ــ ضمير يئوده ، ١٤ ــ وهو ، ١٥ ــ العلي ، ١٦ ــ العظيم ، ١٧ ــ الضمير المستكنّ الذي اشتمل عليه المصدر وهو « حفظهما » فإنه مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل وهو الله ، ويظهر ذلك عند فكّ المصدر فيقول : ولا يئوده أن يحفظهما هو . وقد حاول أحد الأعلام أن يوصلها الى واحد وعشرين موضعاً ، ويعتبر الأسماء المشتقة الواردة فيها تحتاج الى ضمير كالحي والقيوم والعلي والعظيم ، فيكون كل واحد باثنين وبذلك تضاف أربعة مواضع الى المواضع السبعة عشر، فيكون المجموع واحداً وعشرين موضعاً . وقد نازعه علم آخر فقال : هذا لطيفٌ جداً ولكن المشتق لا يقع على موصوفه إلا باعتباره محتملاً لضمير ، فلا يمكن أن يتميز بحكم الانفراد عن الضمير ، ولهذا فالاسم المشتق لا يحتمّل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم فإن « كريم » لم يقع على زيد إلا لأنه يتحمل ضميره ، حتى إذا جرّدت النظر اليه لم تجده مختصاً بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس . وهذا من أدق مباحث علم المعاني ، فتدبره والله يعصمك .

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ

بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ ۗ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

اللغـة :

(الطاغوت) : كل معبود من دون الله ، والجمع طواغٍ وطواغيت والخلاف حول هذا اللفظ كثير ، وهو يكون واحداً وجمعاً ، ومذكراً ومؤنثاً، قال تعالى في الزمر: « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ». وسيأتي مزيد من البحث عنه .

(العروة الوثقى) العروة في الأصل : موضع شد اليد ، وأصل المادة تدل على التعلق . والعروة من الدلو والكوز : المقبض ، ومن الثوب : أخت زرّه ، واعتراه الهمّ : تعلق به ، قال :

وإني لتعروني لذكراك هـزّة   كما انتفض العصفور بلّله القطر

(الوثقى) : فُعْلَى للتفضيل ، مؤنث الأوثق ، كفضلى تأنيث الأفضل . وجمعها على وُثَق ، وهي ما يوثق به ويستعصم .

(انفصام) انقطاع ، وأصل الفصم الكسر .

الاعراب :

(لا إكراه في الدين) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن العاقل لا يحتاج للإكراه على الدين ، بل يختار تلقائياً الدين الحق . ولا نافية للجنس وإكراه اسمها . في الدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (قد تبين الرشد من الغي) الجملة تعليلية لا محل لها وقد حرف تحقيق وتبين فعل ماض والرشد فاعله ومن الغي جار ومجرور متعلقان بتبين (فمن يكفر بالطاغوت) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكفر فعل الشرط المجزوم وفاعله ضمير مستتر يعود على «من» وبالطاغوت جار ومجرور متعلقان بيكفر (ويؤمن بالله) الواو عاطفة ويؤمن عطف على يكفر والجار والمجرور متعلقان بيؤمن (فقد استمسك بالعروة الوثقى) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه مقترن بقد، واستمسك فعل ماض وفاعله مستتر يعود على من ، وبالعروة متعلقان باستمسك والوثقى صفة للعروة . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ، وجملة من يكفر لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (لا انفصام لها) الجملة في محل نصب حال من العروة ولا نافية للجنس وانفصام اسمها المبني على الفتح ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (والله سميع عليم) الجملة إما أن تكون مستأنفة مسوقة لحمل الناس على الإيمان والردع عن الكفر ، وإما أن تكون اعتراضاً تذييلياً للغاية نفسها والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (الله ولي الذين آمنوا) الجملة مستأنفة لبيان مافي الإخراج من فضل ، والله مبتدأ وولي خبر والذين مضاف اليه وجملة آمنوا صلة الموصول (يخرجهم من الظلمات الى النور) الجملة إما حال من الضمير المستكن في « ولي » أو خبر ثان للمبتدأ « الله » ومن الظلمات

متعلقان بيخرجهم والى النور متعلقان بيخرجهم لاختلاف المعتيين ، أي بدءاً من الظلمات وانتهـاء الى النور أو حال من الموصول (والذين كفروا) الواو عاطفة والذين مبتـدأ وجملة كفـروا صلة الموصول (أولياؤهم الطاغوت) مبتـدأ وخبر والجملة الاسمية خبر الـذين والرابط الضمير (يخرجونهم من النور الى الظلمات) تقدم إعراب شبيهها (أولئك أصحاب النار) مبتدأ وخبر والنار مضاف اليه والجملة حالية (هم فيها خالدون) مبتـدأ وخبر وفيهـا متعلقان بخالدون والجملة حال ثانية .

البلاغـة :

١ ــ العروة الوثقى : استعارة تصريحية تمثيلية ، فقد شبّه من يسلك سبيل الله بمن أخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع ، فهو آمن من الانزلاق ، والتردّي في مهاوي الخطل والضلال .

٢ ــ الاستعارة التصريحية في استعارة الظلمات والنور للضلال والهدى .

٣ ــ في قوله تعالى : « يخرجونهم من النور الى الظلمات » فن نفي الشيء بايجابه وهو فن عجيب فحواه أن المتكلم يثبت شيئاً في كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته . وحاصل ما ذكرناه أن الذين كفروا لم يسبق لهم نور حتى يخرجوا منه ، فقد يوهم ظاهر الكلام أنه كان لهم نور في الأصل ، ثم أخرجوا منه ، والمراد نفي النور عنهم أصلاً . ومثله قول مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

ومثله قول أبي الطيب المتنبي :

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام ماثلة أوراكهنّ صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الحالة ، والمراد في باطنه عدم الحمام مطلقاً ، وسيأتي المزيد من بحثه في هذا الكتاب . وقد يجوز أن يكون من باب المشاكلة ، وقد تقدمت . وحاصلها أن ذكر الإخراج الثاني مشاكله للأول على حد قوله : « قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً » مع التسليم بأن المراد بالذين كفروا الذين لم يسبق لهم إيمان أصلاً ، فتأمل .

٤ ـ جمع الظلمات وأفرد النور لسر بلاغيّ عجيب ، وهو ينطوي على الإشارة إلى وحدة الحق وتعدد أنواع الظلمات التي هي الضلالات وما أكثرها ، ولأن طريق الحق واضحة المعالم لا لبس فيها ، ولا تشعّب في مسالكها أما طريق الضلال فهي ملتبسة على من يسلكها .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ

عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

اللغـة :

(حاجّ) غالب خصمه بالحجة ومن أقوالهم : كانت بينهما محاجّة وملاجّة .

(خاوية) : ساقطة أو خالية من أهلها .

(يتسنه) : الهاء أصلية أو للسكت . أي لم تمرّ السنة عليها ، والشيء عادة يتغير بمرور الزمان . فلام السنة واو أو هاء . وقيل : أصلها يتسنّن ، من الحمأ المسنون . وسيرد في الإعراب تفصيل واف عن هذه اللفظة .

(ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب .

الاعراب :

(ألم تر الى الذي حاجّ إبراهيم في ربه) كلام مستأنف مسوق للتعجب من قصة أحد الطواغيت ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد العموم . فالهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى الذي جار ومجرور متعلقان بـ « تر » ولا بد من حذف مضاف ، أي الى قصة الذي حاجّ ، وحاجّ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وابراهيم مفعول به وفي ربه جار ومجرور متعلقان بحاجّ (أن آتاه الله الملك) أن حرف مصدري ونصب ، آتاه فعل ماض في محل نصب بأن والهاء مفعول به والمصدر المنسبك من أن والفعل بعدها في محل نصب معمول لأجله بتقدير اللام، لأن شرطاً من شروط المفعول لأجله قد فقد وهو اتحاد الفاعل وحذف اللام قياسي قبل أنْ وأنّ . والمراد أقدم على محاجّة إبراهيم وملاحاته لبطره وصلفه ، وكان الأجدر به أن يشكر على النعمة ، ويتواضع عند الرفعة . وهذا أولى من جعله ظرفاً بمعنى وقت إيتاء النعمة . والمصادر قد تقع ظروفاً مثل خفوق النجم ومقدم الحاجّ (إذ قال إبراهيم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بحاج وأجاز الزمخشري والجلال أن يكون بدلاً من « أن آتاه » إذا جعل بمعنى الوقت ، ولكن النحاة نصّوا على أنه لا يقوم مقام ظرف الزمان إلا المصدر المصرح بلفظه ، فلا يجوز : أجيء أن يصيح الديك ، ولا : جئت أن صاح الديك ، وقال ابراهيم فعل وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (ربي الذي يحيي ويميت) ربي مبتدأ والذي خبره وجملة يحيي صلة الموصول لا محل لها ويميت عطف على يحيي وجملة ربي الخ مقول القول

(قال أنا أحيي وأميت) الجملة مستأنفة وقال فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وأنا مبتدأ وأحيي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والجملة خبر أنا وجملة أنا أحيي جملة اسمية في محل نصب مقول القول ، وأميت عطف على أحيي (قال إبراهيم) فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة للانتقال من حجة الى حجة أظهر (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق)الفاء الفصيحة وهي الواقعة في جواب شرط مقدر . أي إذا كنت قادراً كما تدعي كذباً وافتئاتاً . فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ... ، وإن واسمها ، وجملة يأتي خبرها والجملة بعد الفاء لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم والجار والمجرور « بالشمس » متعلقان بيأتي ومن المشرق جار ومجرور متعلقان بيأتي أيضاً (فأت بها من المغرب) كرر الفاء الفصيحة للتأكيد وارهاصاً بالحجة وآت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل أنت ، بها متعلقان بأت ، من المغرب متعلقان به أيضاً (فبهت الذي كفر) الفاء عاطفة وبهت من الأفعال التي أتت مبنية للمجهول والذي نائب فاعل أي على اللفظ ويجوز أن يكون فاعلاً باعتبار المعنى ، ولعله أولى . وكفر فعل ماض وفاعل مستتر والجملة صلة الذي (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية ، الله مبتدأ وجملة لا يهدي خبره والقوم مفعول به الظالمين صفة (أو كالذي مرّ على قرية) تقدير الكلام : أو أرأيت مثل الذي ، فأو حرف عطف والكاف اسم بمعنى مثل ، فحذف لدلالة « ألم تر » عليه ، ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيراً ، والغرض من ذلك التعجب ، فيقال : ألم تر الى الذي صنع كذا ، بمعنى انظر اليه . وعلى كل حال فالكاف الاسمية معطوفة على « الذي حاج ابراهيم » والذي مضاف اليه وجملة « مر على قرية » صلة الموصول ، والقرية قيل :

أراد بها بيت المقدس حين خربها بختنصّر (وهي خاوية على عروشها) الواو للحال وهي مبتدأ وخاوية خبر وعلى عروشها جار ومجرور متعلقان بخاوية . والمعنى سقطت السقوف أولاً ثم تلتها الأبنية . وهذا التصوير تجسيد شعري لفناء المُحدثات ، يبدأ الفناء بالعوالم والكائنات الحية ثم تتلوها الجمادات ، وقد رمق من طرف خفي أبو الطيب المتنبي سماء هذا المعنى البديع فنقله نقلاً دقيقاً أسرع من تنقّل الطيوف في الأجفان فقال يرثي :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ماقومه ؟ مايومه ؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

والبيت الثاني هو المقصود ، ومعناه أن الآثار وهي المباني تبقى بعد أربابها لتدلّ على تمكنهم وقوتهم ، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء ، وسيدركها الخراب فتسقط متداعية ثم تسقط فوقها العروش ، والسقوف المشيدة ، فتذهب الآثار ، وقد ذهب المفسرون في قصة هذا المارّ مذاهب طريفة يحلو الرجوع اليها في المطولات ، وهل قال ما قال بمعرض الإنكار للبعث ؟ وهل كان كافراً ؟ هذه كلها حدوس تتألف منها قصة مجنحة ، فمن لنا بالكاتب المبدع ؟ (قال : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها) قال : فعل وفاعله هو ، وأنى فيها وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى متى فتكون ظرفاً متعلقاً بيحيي . وثانيهما أن تكون بمعنى كيف فتكون حالاً من هذه ، والعامل فيها يحيي . وجملة يحيي في محل جر بالاضافة إذا كانت « أنى » ظرفاً . أو مقولا للقول إذا كانت بمعنى كيف . ويحيي فعل مضارع وهذه مفعول مقدم والله فاعل مؤخر وبعد موتها ظرف زمان متعلق بيحيي أيضاً . وجملة قال مستأنفة مسوقة للتلهّف عليها ، والتشوق الى عمارتها مع استشعار اليأس منها

(فأماته الله مائة عام) الفاء عاطفة وأماته الله فعل ومفعول به وفاعل ومائة ظرف زمان متعلق بأماته وعام مضاف اليه (ثم بعثه) عطف على أماته ، وعطف بثم للإشعار بالتراخي وطول المدة (قال : كم لبثتَ) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال قد يساور الخاطر كأنه قيل : فماذا قال الله تعالى له حين بعثه بعد الموت ؟ وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بلبثت ومميزها محذوف كأنه قيل : كم وقتاً لبثت ؟ ولبثت فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (قال : لبثتُ يوماً أو بعض يوم) جملة القول مستأنفة لتكون بمثابة الرد على السؤال وجملة لبثت في محل نصب مقول القول ويوماً ظرف زمان متعلق بلبثت وأو حرف عطف وبعض يوم عطف على يوماً ، منتظم في سلك الظرف الزمني (قال : بل لبثت مائة عام) جملة قال استئنافية، بل حرف عطف عاطفة على جملة محذوفة ، لا بد من تقديرها ، والتقدير: ما لبثت ؟ يوماً أو بعض يوم ؟ بل لبثت مائة عام ومائة عام ظرف . والجملة مقول القول (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه) الفاء الفصيحة ، وهي هنا جواب لشرط مقدر تقديره : إذا حصل لك ارتياب وعدم طمأنينة في أمر البعث فانظر . وانظر فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى طعامك جار ومجرور متعلقان بانظر وشرابك عطف على طعامك ولم حرف نفي وقلب وجزم ويتسنه فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون إذا كانت الهاء أصلية ، وإذا كانت الهاء للسكت كان الفعل مجزوماً بحذف حرف العلة ، وعندئذ تثبت هاء السكت في الوقف لا في الوصل وسيأتي حكمها . وإذا كان الفعل من التسنّن الذي هو التغير كان مجزوماً بالسكون المقدر على حرف العلة المحذوف الذي أبدلت النون الثانية منه وجملة لم يتسنه حال . (وانظر الى حمارك) عطف على ما تقدم ، وإنما خصه بالذكر لأن المارّ

كان يركبه ، ولأن العبرة بالكائنات الحية أشد تأثيراً وقد تقدم إعراب مثلها (ولنجعلك آية للناس) الواو عاطفة واللام للتعليل ونجعلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، واللام والمصدر المجرور بها متعلقان بفعل محذوف ، أي : فعلنا ذلك كله لنجعلك آية والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به أول ، وآية مفعول به ثان وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية (وانظر الى العظام كيف ننشزها) الواو عاطفة وانظر فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والى العظام جار ومجرور متعلقان بانظر، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وصاحب الحال الضمير المنصوب في ننشزها والجملة بدل من العظام وهي في محل جر أو نصب لأن نظر البصرية تتعدى بإلى وهي معلقة عن العمل بسبب الاستفهام فتكون في محل نصب، أي الى حال العظام وننشزها فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به والفاعل مستتر تقديره نحن (ثم نكسوها لحماً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ونكسوها فعل مضارع ينصب مفعولين أولهما الهاء ولحماً وهو المفعول الثاني (فلما تبين له) الفاء عاطفة على مقدر يستوجبه السياق كأنه قال : فأنشزها الله وكساها لحماً ، فنظر اليها فتبين له كيف يتم الإحياء والبعث . ولما ظرفية غير جازمة متعلقة بالجواب ، وتبين فعل ماض مبني على الفتح الظاهر ، وفاعل تبين ضمير مستكن يعود على كيفية الإحياء ، وقدّره الزمخشري تقديراً طريفاً ، قال : « فلما تبين له ما أشكل عليه » وقدره الجلال : فلما تبين له ذلك بالمشاهدة . والجار والمجرور متعلقان بتبين وجملة تبين في محل جر بالإضافة (قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير) قال فعل وفاعله مستتر ، وجملة أعلم مقول القول وجملة القول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي أعلم .

الفوائد :

١ ــ ينوب عن الظرف المصدر إذا كان مضافاً اليه وأن يكون معيناً لوقت أو مقدار نحو جئتك صلاة العصر ومقدم الحاج .

٢ ــ هاء السكت : سميت بذلك لأنه يسكت عليها دون آخر الكلمة ، ولها ثلاثة مواضع :

آ ــ الفعل المعتّل بحذف آخره لجزم أو سكون مثل : لم يتسنه ولم يغزه ولم يخشَه ولم يرمِه واغزُه واخشَه وارمِه ومنه قوله تعالى : « فبهداهم اقتده° » وهي في كل هذا جائزة لا واجبة ، إلا في مسألة واحدة ، وهي أن يكون الفعل قد دخله الحذف وبقي على حرف واحد ، كالأمر من وعى يعي ، فإنك تقول : عِه° ، بحذف فائه ولامه .

ب ــ ما الاستفهامية المجرورة بالحرف ، وذلك أنه يجب حذف ألفها إذا جرت ، نحو عمّ ومم وبم وفيم . فإذا وقفت عليها ألحقتها الهاء حفظاً للفتحة الدالة على الألف .

جـ ــ كل مبني على حركة بناء ولم يشبه المعرب ، وذلك كياء المتكلم وهو وهي ، فإنك تقف عليها بهاء السكت محافظة على الفتحة ، وفي القرآن : « ماهيه° » و « ماليه° » و « سلطانيه° » ، وقال حسان :

إذا ما ترعرع منا الغلام فما إن يقال له : ما هوه ؟

وحق هاء السكت أن تكون ساكنة وتحريكها لحن عند البصريين . وكان أبو الطيب المتنبي يراغم النحاة فقال :

واحرّ قلبــاهُ ممن قلبه شبم ومن بجـسمي وحالي عنده سقم

وهو ــ كما تعلم ــ كوفي ، والكوفيون يجيزون ذلك ، والواقع أن علماء النحو اضطربوا كثيراً في هذه المسألة ، ووقفوا حائرين أمام قول عروة في حبيبته عفراء :

يا مرحبــاه بحمــار عفــرا ويا مرحبــاه بحمــار ناجيه

وقد دافع أبو البقاء العكبري عن أبي الطيب المتنبي في شرحه لديوانه في بحث شيق حبذا لو رجعت اليه .

٣ ــ الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الأصلي ، فالأول « ألم تر » معناه التعجب ، أي : أعجب يا محمد من هــذه القصة ؛ والاستفهام الثاني للاستعظام ، وهو « أنى يحيي هذه الله بعد موتها ».

لمحة تاريخية لا بدّ منها :

كان عزيز بن شرخيا من سكان بيت المقدس ، وقد كان في جملة من سباهم بختنصّر ، فلما خلص من السبي وجاء ورآها عــلى تلك الحالة ، وكان راكباً على حمار ، دخلها وطاف فيها ، فلم ير أحداً فيها . وكان أغلب أشجارها حاملاً ، فأكل من الفاكهة ، واعتصر من العنب ، ثم ربط حماره بحبل ، وجعل فضل الفاكهة في سلة ، وفضل العصير في زق أو ركوة ، ثم ألقى الله عليه النوم فنام ، ولما نام نزع الله منه الروح ، وأمات حماره ، وبقي عصيره وتينه عنده ، فلما مضى من وقت موته سبعون سنة سلط الله ملكاً من ملوك فارس ، فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمره ، وصار أحسن مما كان ، وعاد أهلها اليها

وأعمى الله العيون عن عزير هذه المدة . فلما مضت المائة أحياه الله ثم أخذ ينظر الى حماره تدب فيه الروح وتتلملم الأوصال ، الى آخر تلك القصة التي تتمنى أن يعمد اليها كاتب قصصي بارع فيجعل منها قصة فنية . وهي تشجب أقوال اليهـود في عزير أنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك .

ملاحظات هامة :

١ ــ تحدثنا عن قوله تعالى : « ألم تر » في باب الإعراب ، وقد عثرنا على تقرير هام للتفتازاني خلاصته : تقرير هذا أن كلاً من لفظ « ألم تر » و « أرأيت » مستعمل لقصد التعجب ، إلا أن الأول تعلق بالمتعجّب منه فيقال : ألم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه ، فتعجب من حاله . والثاني تعلق بمثل المتعجب منه فيقال : أرأيت مثل الذي صنع كذا ؟ بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل . ولا يصح : ألم تر الى مثله ، إذ يصير التقدير : انظر الى المثل وتعجب من الذي صنع . فلذا لم يستقم عطف « كالذي مرّ » عـلى « الذي حاج » واحتيج الى التأويل في المعطوف بجعله متعلقاً بمحذوف ، أي أرأيت الى ، أو في المعطوف عليه ، نظراً الى أنه في معنى : أرأيت كالذي حاج ، فيصـح العطف عليه حينئـذ .

قلت : وهذه دقة نظر وبعد غور لا حدّ لهما ، واستقصاء علمي منقطع النظير ، ولم نصحح إعرابنا كما ارتآه ، واكتفينا بإثبات هذه الملاحظـة .

٢ ــ قال أبو السعود العماري مفتي التخت العثماني الذي تقلد

الإفتاء الإسلامي مدة ثلاثين سنة ، وصاحب التفسير المسمى « إرشاد السليم الى مزايا الكتاب الكريم » والمتوفى سنة ألف وخمسمائة وأربع وسبعين للميلاد في صدد بحثه عن الكاف في قوله « أو كالذي » : والكاف إما اسمية كما اختاره قوم ، جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر ، كقولك : الفعل الماضي مثل نصر ، وإما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى : أولم تر الى الذي مر على قرية كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود ، أي قد رأيت ذلك وشاهدته .

٣ ــ قال ابن هشام في المغني : « ومن الوهم في هذا الباب قول بعضهم في قوله تعالى « وانظر الى العظام كيف ننشزها » أن جملة الاستفهام حالية ، والصواب أن « كيف » وحدها حال من مفعول ننشزها ، وأن الجملة بدل من العظام » .

وأورد الدسوقي في حاشيته على ابن هشام أن هذه الجملة لاتحلّ محل المبدل منه ، وهو شرط في صحة البدل . وفات الدسوقي أن الالتفات للمعنى أي الى العظام وكيفية نشوزها ، على أن هذه القاعدة أغلبية .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

اللغـة :

(فَصُرهُنّ) : بضم الصاد ويجوز كسرها ، فعل أمر من صار يصُور أو من صار يصير بمعنى ضمّ أو مال ، قال :

وفرع يصير الجيد وحف كأنـه على الليت قنوان الكروم الدّوالح

يصف شعر محبوبته بأنه يميل عنقها لنقله عليه ويشبهه بعناقيد الكروم المثقلات بالحمل . وقال في مختار الصحـاح : « وصارَهُ أمالَهُ، من باب قال وباع ، وقرىء فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها، وصار الشيء أيضاً من البابين قطعه وفصله ، فمن فسره بهذا جعل في الآية تقديماً وتأخيراً ، أي فخذ إليك أربعة من الطير فصرهن » .

الاعراب :

(وإذ قال إبراهيم) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لإيراد دليل آخر على رعاية الله للمؤمنين ، وفيه تنويه بأن الرؤية والعيان لا بد منهما لتدعيم الاعتقاد وترسيخه ، إذ لم يكن إبراهيم شاكاً في إحياء الله للموتى ، وإذ ظرف متعلق بما ذكر مقدراً وقال ابراهيم فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (رب أرني كيف تحيي الموتى) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ، والجملة في محل نصب مقول القول . وأرني فعل أمر من الإراءة البصرية المتعدية لواحد ، وبدخول الهمزة صارت متعدية لاثنين . وأصل أرني أرئيني ، فحذفت الياء الأولى فصار أرئني ، ثم نقلت حركة الهمزة الى الراء وحذفت الهمزة ،

وأرني فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون للوقاية وياء المتكلم مفعول به أول ، وكيف استفهام حال وتحيي فعل مضارع وفاعله مستتر والموتى مفعول به وجملة كيف تحيي الموتى في محل نصب مفعول أرني الثاني (قال أولم تؤمن) قال فعل ماض والفاعل هو والجملة مستأنفة بمثابة التقرير للواقع ، أي : أتسأل ولم تؤمن ، والهمزة للاستفهام التقريري ، لأن الاستفهام إنما هو عن أمر متقرر الوجود عند السائل والمسئول على السواء . والواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتؤمن فعل مضارع مجزوم بلم والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول (قال بلى) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الإيمان ، وأتى بـ « بلى » التي هي حرف جواب لتثبت الإيمان المنفي ، ولو كان الجواب بنعم لكان كفراً (ولكن ليطمئن قلبي) الواو عاطفة على جملة محذوفة تقديرها : « سألتك » ، ولكن حرف استدراك مهمل وليطمئن اللام للتعليل ويطمئن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ولا بد من تقدير محذوف ليصح تعليق اللام ، أي ولكن سألتك كيفية الإحياء ليطمئن قلبي ، وقلبي فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، والياء مضاف اليه (قال فخذ أربعة من الطير) جملة مستأنفة مسوقة للتدليل على ولاية الله تعالى للمؤمنين والسير بهم في آماد الطريق المستقيم ، والفاء هي الفصيحة أي إذا أردت معرفة ذلك عياناً فخذ ، وخذ فعل أمر والفاعل أنت وأربعة مفعول به ومن الطير جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأربعة (فصرهن إليك) الفاء عاطفة وصرهنّ فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والنون علامة النسوة لا محل لها من الاعراب وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي مضمومات إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واجعل فعل أمر والفاعل أنت وعلى كل جار ومجرور متعلقان باجعل على أنه مفعول ثان لـ « اجعل » وجبل مضاف اليه ومنهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « جزءاً » فلما تقدمت على الموصوف أعربت حالاً وجزءاً هو المفعول الأول (ثم ادعهن يأتينك سعياً) عطف أيضاً وادعهن فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل أنت والهاء مفعول به والنون علامة التأنيث لا محل لها ويأتينك فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم جواب الطلب والنون فاعل والكاف مفعول به والجملة جواب الطلب لا محل لها وسعياً مفعول مطلق أي مشياً سريعاً . ولك أن تعربها حالاً ، أي مسرعات (واعلم أن الله عزيز حكيم) الواو عاطفة واعلم فعل أمر والفاعل أنت وان واسمها وخبراها سدت مسد مفعولي اعلم .

البلاغة :

في هذه الآية إيجاز بالحذف وقد حذف تتمة القصة ، إذ حكى سبحانه أوامره ، ولم يتعرض لامتثال إبراهيم عليه السلام لها ، لأن ذلك مدرك بالبداهة .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ

﴿ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾

اللغـة :

(السنبلة) معروفة ، وزنها فُنْعُلَة ، فالنون زائدة ، يقال : أسبل الزرع : أرسل ما فيه . وحكى بعض اللغويين : سنبل الزرع ، فتكون النون أصلية ، ووزنه فعلل . وقد روى الأساس واللسان : « وأسبل الزرع وسنبل : خرج سَبَلُه وسُنْبُلُه » .

(المن) أن يعتدّ على من أحسن اليه بإحسانه .

الاعراب :

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل لإنفاق الأموال في سبيل الله ، ولا بد من حذف مضاف ، أي : مثل نفقتهم . ومثل مبتدأ والذين مضاف اليه وجملة ينفقون لا محل لها لأنها صلة الموصول وأموالهم مفعول به وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بينفقون (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا بـد من حـذف مضـاف أيضاً ، أي كمثل باذر حبة . وأنبتت فعل ماض والفاعل هي وسبع مفعول به وسنابل مضاف اليه وعلامـة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف لأنه عـلى صيغـة منتهى الجموع وجملة أنبتت صفـة لحبة (في كل سنبلة مائة حبة) في كل الجار والمجرور متعلقان بمحذوف

خبر مقدم وسنبلة مضاف اليه ، ومائة حبة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لسنابل فتكون في محل جر ، أو صفة لسبع فتكون في محل نصب (والله يضاعف لمن يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ ويضاعف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وجملة يضاعف في محل رفع خبر للمبتدأ « الله » ولمن الجار والمجرور متعلقان بيضاعف وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة من (والله واسع عليم) الواو عاطفة والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليم خبر ثان (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) لك أن تجعلها تابعة للجمل السابقة على أنها مبدلة منها ، ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لذكر الإنفاق غير المشوب بالمن • والذين مبتدأ أو بدل من الذين الأولى وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة وفي سبيل الله متعلقان بينفقون (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي في الزمان والرتبة ، ولا نافية ويتبعون فعل مضارع معطوف على ينفقون وما اسم موصول مفعول به أول وجملة أنفقوا صلة ما ومناً مفعول به ثان ولا أذى عطف على « مناً » (لهم أجرهم عند ربهم) الجار والمجرور خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف اليه والجملة الاسمية في محل رفع خبر الذين إذا كانت مبتدأ ، أما إذا كانت بدلاً فالجملة استئنافية (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعراب هذه الآية بحروفها •

البلاغة :

١ ــ التشبيه التمثيلي : فقد شبه نفقة المنفقين في سبيل الله بالحبة في مضاعفة الأجر ، فهي عندما يغرسها الغارس تنبت ساقاً

يتشعّب منه سبع شعب ، لكل واحد سنبلة • وفيه تجسيد بديع بعقد المماثلة بين المشبّه والمشبه به • والغرض من التشبيه هنا توضيح المعنى وتقريبه للأذهان أولاً ، ثم تأييده بالدليل المحسوس الذي لا يكابر فيه المكابر ، ولا يتعنّت فيه المتعنّت ثانياً ، ثم تزيين المشبه وتجميله ، وإلهاب الرغبة فيه ، بحيث لا يتردد أحد في الإنفاق بعد أن رأى بعينه سلفاً ما أعد له من جزاء ثالثاً •

٢ ــ « ثم » في أصل وضعها تشير الى أن ثمة تراخياً بين المعطوف بها والمعطوف عليه ، وهذا التراخي قد اختلف فيه ، فبعضهم يقول : إنه تراخي الزمن وبُعد ما بينهما • والزمخشري يرحمه الله يحمله على التفاوت في الرتبة ، فإلى أيهما يعتزي في هذه الآية ؟

لقد أفاض علماء البيان في هذا الباب ، فقال قوم : المراد التراخي في الزمن نظراً للغالب من أن وقوع المنّ والأذى يكون بعد الإنفاق حتماً ، بل هما مترتبان عليه ، ولا يمكن تصورهما قبل وقوعه ، وهذا حسن جميل ، وذهب الزمخشري الى أن التراخي هنا محمول على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما ، حيث لا يمكن حملها على الزمان لسياق يأبى ذلك في الآية • وحاصله أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة ، وهذا من أبدع ما يصل اليه الفكر الراجح والذكاء البعيد الغور ، فإن استخراج هذه الاستعارة على هذا الشكل لا يدركه قصار النظر والابتدائيون ، وعلى هذا يقال : معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ، ومعناها المستعارة اليه دوام وجود الفعل وتراخي زمان بقائه •

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ
٢٦٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ
عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا
كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا
وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ٢٦٥﴾

اللغـة :

(رئاء) مصدر راءى مراءاة ورئاء ، والأصل : ريايا ، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة . والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة . والمفاعلة على بابها من المشاركة ، لأن المرائي يري الناس أعماله حتى يروه الثناء عليه والاحترام له .

(صفوان) : حجر كبير أملس .

(الوابل) : المطر الكثير . قال الأصمعي : أخف المطر وأضعفه الطل ، ثم الرذاذ أقوى منه ، ثم البغش والدث ، ومثله الرك والرهمة . وقال النضر بن شميل : أول المطر رش وطش ، ثم طل ورذاذ ، ثم نضح ونضخ ، ثم هطل وتهتان ، ثم وابل وجود .

(صلد) : صلب أملس أو أجرد نقي من التراب الذي كان عليه.

الاعراب :

(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) قول مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، معروف : صفة لقول ومغفرة عطف على قول ، خير خبر ، من صدقة جار ومجرور متعلقان بخير ، يتبعها فعل مضارع والهاء مفعول به والجملة صفة لصدقة ، أذى فاعل ، (والله غني حليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغني حليم خبراه . (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم هذه المسألة ، وهي إبطال الصدقات بالمن والأذى . ولا ناهية وتبطلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وصدقاتكم مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ، والكاف مضاف اليه وبالمن جار ومجرور متعلقان بتبطلوا والأذى عطف على المن (كالذي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لمصدر محذوف ، فهو مفعول مطلق أي لا تبطلوها إبطالاً كإبطال الذي ... أو حال من ضمير المصدر المقدر ، كما نص عليه سيبويه ، أو من فاعل تبطلوا . أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق ماله رئاء الناس والوجهان

جيدان . (ينفق ماله رئاء الناس) جملة ينفق ماله صلة الموصول لا محل لها ورئاء الناس مفعول لأجله وقد استكمل شروط النصب فلا يعدل عنه الى وجه آخر كما زعم بعض المعربين (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) الواو حرف عطف ، لا نافية ، يؤمن فعل مضارع وفاعله هو ، وبالله متعلقان بيؤمن ، واليوم الآخر معطوف على الله (فمثله كمثل صفوان) الفاء استئنافية جيء بها لمجرد الربط بين الجمل ، ومثله مبتدأ وكمثل الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر وهو مضاف ومثل مضاف اليه وصفوان مضاف الى مثل (عليه تراب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وتراب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جر صفة لصفوان (فأصابه وابل) الفاء عاطفة عطفت أصابه على متعلق عليه ، أي : استقر عليه فأصابه ، والهاء مفعول به ووابل فاعل (فتركه صلداً) الفاء عاطفة وترك فعل ماض ينصب مفعولين أولهما الهاء والثاني صلداً (لا يقدرون على شيء) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال ، كأنه قيل فماذا كان مآلهم ؟ فقيل : لا يقدرون ، ولا نافية ويقدرون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وعلى شيء جار ومجرور متعلقان بيقدرون ، وأعاد الضمير مجموعاً وهو في الظاهر مفرد ، لأن «الذي» يراد به الفريق الذي ينفق والجنس الذي ينفق (مما كسبوا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء وجملة كسبوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ما (والله لا يهدي القوم الكافرين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتعريض بأن المن والأذى من صفات الكفار والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والكافرين صفة للقوم (ومثل الذين ينفقون أموالهم) الواو عاطفة على « فمثله » ومثل مبتدأ ولا بد من تقدير مضاف تقديره نفقات ، والذين مضاف

اليه وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (ابتغاء مرضاة الله) مفعول لأجله وشروط النصب متوفرة فيه ومرضاة الله مضاف اليه (وتثبيتاً من أنفسهم) عطف على ابتغاء ، ومن أنفسهم متعلقان بـ « تثبيتاً » أي منطلقاً من أصل أنفسهم ، وقال ابن عطية : « ولا يصح أن يكون ابتغاء مفعولاً من أجله لعطف « تثبيتاً » عليه ، ولا يصح « تثبيتاً » أنه مفعول من أجله لأن الانفاق ليس من أصل التثبيت » ، ولهذا رجّح أبو حيان أن يكون « ابتغاء » مصدراً في موضع الحال ، أي : مبتغين ، وكذلك « وتثبيتاً » . وفي كلامهما شيء غير قليل من بعد الغور وحسن التقدير . ولكن يمكن القول أن التثبيت من أفعال القلوب ، لأنه صادر عنها ، وهو يحدو صاحب القلب الى التثبيت ، ولهذا نرجح ما أعربناه (كمثل جنة بربوة) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر للمبتدأ « مثل الذين » وبربوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة (أصابها وابل) فعل ومفعول به وفاعل والجملة صفة لجنة أيضاً (فآتت أكلها ضعفين) الفاء عاطفة وآتت فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هي يعود على جنة وأكلها مفعول به والهاء مضاف اليه وضعفين حال (فإن لم يصبها وابل فطلّ) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويصبها فعل مضارع مجزوم بـ « لم » في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وطل خبر لمبتدأ محذوف أي فالذي يصيبها طلّ والجملة في محل جزم جواب الشرط (والله بما تعملون بصير) الواو استئنافية والله مبتدأ والجار والمجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون صلة الموصول وبصير خبر الله .

البلاغـة :

١ ــ التشبيه التمثيلي الأول : فقـد شبه إنفـاق الأموال رئاء الناس ثم إتباع ذلك بالمنّ والتطاول بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس يأتي عليه الوابل من المطـر فيذروه ويذهب به ولا يترك له أثراً .

٢ ــ التشبيه التمثيلي الثاني : فقد شبه إنفاق الأموال الخالص من الرياء في سبيل الله وابتغاء مرضاته بالبستان الوريف الظلال فوق ربوة عالية يكفيها القليل من المطر لتربو وتهتز وتمرع وتخصب .

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾

اللغـة :

(نخيل) النخيل : قيل : هو اسم جمع ، واحدته نخلة . وقيل : هو جمع نخل ، ونخل اسم جنس .

(الأعناب) : جمع عنب ، أو هو اسم جنس ، واحدته عِنَبَة

(إعصار) : ريح شديدة مرتفعة ، وقيل : هو الريح السموم . سميت بذلك لأنها تلتف كما يلتف الثوب المعصور ، وقيل لأنها تعصر السحاب . ويجمع الإعصار على أعاصير .

الاعراب :

(أيود أحدكم) جملة مستأنفة مسوقة لضرب مثل آخر لنفقة المرائين والمانّين • والهمزة للاستفهام ويود فعل مضارع وأحدكم فاعله والكاف مضاف اليه (أن تكون له جنة) أن وما بعدها مصدر في محل نصب مفعول يود وله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجنة اسمها المؤخر • (من نخيل وأعناب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة وأعناب عطف على نخيل (تجري من تحتها الانهار) تجري فعل مضارع ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والهاء مضاف اليه والانهار فاعل والجملة صفة ثانية لجنة (له فيها من كل الثمرات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ومن كل الثمرات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمبتدأ المؤخر والمحذوف أي له رزق كائن من كل الثمرات حالة كونه فيها ، والجملة صفة ثالثة لجنة (وأصابه الكبر) الواو حالية وجملة أصابه الكبر في محل نصب حال ولا بد من تقدير « قد » (وله ذرية ضعفاء) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وذرية مبتدأ مؤخر وضعفاء صفة لذرية والجملة في محل نصب على الحال من الهاء في « أصابه » (فأصابها إعصار) الفاء حرف عطف وأصاب فعل ماض والهاء مفعول به وإعصار فاعل والجملة معطوفة على صفة الجنة (فيه نار) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونار مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لإعصار (فاحترقت) عطف على أصابها (كذلك يبين الله لكم الآيات) الجار والمجرور « كذلك » متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف أو في محل نصب حال ويبين فعل مضارع مرفوع والله فاعل يبين ولكم متعلقان بيبين والآيات مفعول به منصوب

بالكسرة وجملة يبين استئنافية (لعلكم تتفكرون) لعل واسمها وجملة تتفكرون خبرها وجملة الرجاء في محل نصب على الحال .

البلاغـة :

في هذه الآية يسمو البيان القرآني الى أعلى ذروة يتصورها العقل البشري ، وجميع آي القرآن من البيان الرفيع السامي . ولكن هذه هذه الآية وآيات كثيرة وردت وسترد في مواطنها استوفت من الناحية البيانية الغاية ، وأربت على النهاية ، وهي بمثابة المثل لنفقة المرائي الذي ينفق للتبجح وإعـلان حب النفس ، وإيهام الناس بأنه بالـغ أقصى الغايات ، بينما تذهب أعماله سدى . وسنبسط القول فيها بسطاً يتفق مع مراميها البعيدة ، وفيما يلي ما أدركناه منها :

١ ــ الاستفهام في قوله : أيود ؟ للإنكار والنفي . أما مصب النفي فهو في قوله : « فأصابها إعصار » لأنه مناطه ومثابته . وجميل قول ابن عباس فيها : « هو مثـل لرجل عمـل بالطاعات ثم زين له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله وطاح بها » .

٢ ــ وفي هذه الآية فن التتميم وقـد تقدمت الاشارة اليه . ونزيده هنا بسطاً ، فنقول : هو أن يأتي الشاعر أو الكاتب في كلامه بكلمات لو طرحت لنقص معناه أو صوره مع بقاء الكلام سليماً . وإليك الصور التي اندرجت فيها :

آ ــ لما ذكر سبحانه الجنة لم يكتف بذكرها مجردة من كل قيد، لأن الجنة في اللغة لفظ يصدق على كل شجر متكاثف ملتف ، يستر من يتفيأ بظلاله الوريفة . ومن هذا الشجر ما هو محدود النفع كالأثل والخمط وغـيرهما من الاشجار التي لا تصلـح إلا للحطب ، ومنها

ما يتضاعف نفعه فيؤكل ثمره وتستخرج منه مواد أخرى نافعــة ثم يكون حطبه صالحاً للوقود ، فتمم ذلك النقص بقوله : « من نخيل وأعناب » ، وفهم بالبداهة أن هذه الجنة تميزت بأن أشجارها من الصنف الثاني المتضاعف النفع أي أن احتراق تلك الجنة ــ ولو كانت تضم الأثل والخمط ونحوهما مما هو محدود النفع ــ يشجي صاحبها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب ؟ ألا يكون الأسف عليها أشد ؟ والشجا باحتراقها أعظم ؟

ب ــ ثم تمم ذلك بذكر الأنهار الجارية للدلالة عــلى ديمومــة الخصب . إذ ما الفائدة منها إذا نضبت فيها الأمواه ؟ ألا يكون مآلها الى اليبس والذبول ؟

جـ ــ ولدفع الإيهام الذي يخيل الى السامعين أن هــذه الجنة قدتكون مقتصرةعلىهذين الضربين من الثمرات،وهما : النخيل والأعناب تمم بقوله « له فيها من كل الثمرات » ، أي أنها تجمع جميع أفانين الثمر ، فالحسرة إذن على احتراقها أشد ، والأسف على فنائها أعمّ .

د ــ ولما فرغ من وصف الجنة شرع في وصف الحادث المهلك الذي أدى الى فناء الجنة بقوله : « فأصابها إعصار » يجتاح الأخضر واليابس ويهلك الحرث والنسل .

هـ ــ على أن الإعصار مهما يبلغ تأثيره فانه ربما كان مؤجل الإهلاك ، فدفع هذا الإيهام بقوله : « فيه نار » فأحرقها بعد أن أودى بأشجارها . ولم يكتف بذكر النار لأنها قد تأتي عــلى شــيء مما تحرقه ويبقى بعد ذلك شيء آخر منها فدفع هذا الإيهام مرة أخرى بذكر الاحتراق .

البحتريّ والتّتميم :

ومن التتميم في الشعر قول البحتري في وصف الإبل التي براها السير والسّرى :

كالقسيّ المعطّفات بل الأسـ ـهم مبريّة بل الأوتار

فقد شبه الإبل بالقسي المعطفات ، وهو تشبيه جميل لما فيه من تنويه بالنحول ، ولما في خلق الإبل من الحدب والانحناء . ثم جعلها مبرية على طريق الإضراب الذي يلسح الى الغلط ، ثم ترقى في ذلك فجعلها كالأوتار . وهذا كله من أوابد البحتري التي أطلق عليها اسم « سلاسل الذهب » كما كان يسميها النقاد القدامى ، على أني وقفت بعد ذلك على حديث للرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم فعلمت أن البحتري لم يبتكر هذه المعاني العميقة المصوغة في أجمل بيان ، وأنه رمق سماء الحديث النبوي ، وأنه أخذه أخذاً يسبق أسهمه المبرية، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لو صليتم لله حتى تعودوا كالقسيّ ، وصمتم حتى تعودوا كالأوتار » . وهذا مما أخذ بنصه وفصه .

٣ ـ وفي هذه الآية أيضاً فنّ « الطاعة والعصيان » وقد أطلق هذه التسمية شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري عندما نظر في شعر أبي الطيب المتنبي ، وتحدث عنه في كتابه « معجز أحمد » ، يعني أحمد المتنبي فأتى على قوله :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وقال : « أراد المتنبي الطّباق فعصاه وأطاعه الجناس فانه أراد أن يقول : يرد يداً عن ثوبها وهو مستيقظ ، فعصاه ذلك لامتناع

دخوله في الوزن فقال وهو قادر لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها وبين القافية تجانس ، فأطاعه الجناس المقلوب بين قادر وراقد ، وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ » .

أقول : هذا ما ذكره أبو العلاء المعري ، وليس في بيت المتنبي شيء من ذلك ، ولو أراد أن يقول : « يردّ يداً عن ثوبها وهو ساهر » أو « متنبها » بحذف لفظة « وهو » لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن ، وإنما مراده بيان العفاف من القادر لا من غيره ، أي أنه مع قدرته عليها لا يبيح لنفسه مدّ يده الى إزارها ، كما أنه إذا رأى خيالها في المنام امتنع عنه كما يمتنع عنه في اليقظة . يصف نفسه ببعد الهمة عن مغازلة النساء ، إذن ففن الطاعة والعصيان الذي ابتدعه المعري ولم يوفق في التمثيل له أثبته علماء البيان ومثلوا لـه بقول ابن النبيـــه :

بيضاء حجّبهـا الواشون حـين سرت
عني فلـو لمحت صبـغ الدجى لمحت

أراد أن يقول : فلو لمحت سواد الدجى ، ليأتي نوع التدبيـج بقوله بيضاء وسواد ، فعصاه الوزن فقال : « صبغ الدجى » وهو مرادف للسواد ، فصدق عليه أنه عصاه التدبيج وأطاعه فن الإرداف . ومثله قول الأرّجانيّ :

كم رعت هـٰذا الحي إما زائراً فرداً وإما سـائراً في جحفل

أراد أن يقول : وإما محارباً ، لتكون المقابلة بين زائر ومحارب ، ولا شك أن الزائر يكون مسالماً بين قوله « فرداً » وقوله « في جحفل » فعصاه الوزن وأعطاه لجناس اللاحـق بين زائر وسائر . أما في الآية

الكريمة التي نحن بصددها فإنها وقع فيها التتميم ، وقد تحدثنا عنه قبل قليل فيها . ولما كان المتكلم في الأصل يقصد المساواة في كل ما يتكلم به فإذا عصته المساواة للأغراض الآنفة الذكر أطاعه التتميم فتنبه لهذا فإنه من دقائق الفنون .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

اللغة :

(تغمضوا) الإغماض : غضّ البصر ، وأغمضت العين إغماضاً وغمّضتها تغميضاً : أطبقت الأجفان . والمراد به هنا التجاوز والتسامح والمساهلة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها ، وجملة النداء وما يليه مستأنفة مسوقة لبيان ما ينفق منه ، أي أنفقوا من حلال ما كسبتم وجيده (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أنفقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن طيبات الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا وما اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كسبتم صلة الموصول (ومما أخرجنا لكم من الأرض) ومما عطف على من طيبات وجملة أخرجنا لا محل لها لأنها صلة الموصول ولكم جار ومجرور متعلقان بأخرجنا ومن الأرض متعلقان بأخرجنا . ولك أن تعلقهما بمحذوف

حال ، أي : ناجياً من الأرض . ويرحم الله الفقهاء ما أثقب أذهانهم فأبو حنيفة أبقاه على عمومه في الزكاة ، والشافعي خصه بما يزرعه الآدميون وكلاهما صحيح (ولا تيمّموا الخبيث منه) الواو عاطفة ولا ناهية وتيمموا فعل مضارع مجزوم بلا وأصل تيمموا : تتيمّموا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفاً والواو فاعل والخبيث مفعول به ومنه متعلقان بمحذوف حال من الخبيث (تنفقون) الجملة حالية ومفعول تنفقون محذوف أي تنفقونه (ولستم بآخذيه) الواو حالية وليس واسمها والباء حرف جر زائد وآخذيه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف اليه ، والجملة حال من فاعل تنفقون أي الواو (إلا أن تغمضوا فيه) أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن تغمضوا ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، فهو استثناء من أعم الأحوال ، ولك أن تعلقهما بآخذيه ، وهو أسهل (واعلموا أن الله غني حميد) الواو استئنافية واعلموا فعل أمر والواو فاعل وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا .

البلاغة :

في هذه الآية استعارة تصريحية وذلك في قوله : « إلا أن تغمضوا فيه » شبه التجاوز عن الشيء الجدير بالمؤاخذة بغض العين عما يتفادى المرء رؤيته مما يكره .

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا
أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ
﴿٢٧٠﴾

اللغـة :

(الفحشاء) : المراد بها هنا البخل ، والفاحش البخيل . قال طرفة بن العبد :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد

قال الكلبي : « كل فحشاء في القرآن فالمراد بها الزنى ، الا هذا الموضع » .

الاعراب :

(الشيطان يعدكم الفقر) كلام مستأنف مسوق للتحذير من الإصاخة للشيطان ووساوسه . والشيطان مبتدأ وجملة يعدكم خبر والفقر مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض (ويأمركم بالفحشاء) عطف على : « يعدكم الفقر » والجار والمجرور متعلقان بيأمركم (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) عطف على الجملة المستأنفة . ومغفرة مفعول به ثان ومنه : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة ، وفضلاً : عطف على مغفرة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع عليم خبران لله (يؤتي الحكمة من يشاء) الجملة خبر ثالث لله أو جملة مستأنفة ويؤتي فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والحكمة مفعول به أول ومن اسم موصول في محل

نصب مفعول به ثان وجملة يشاء صلة الموصول (ومن يؤتَ الحكمة) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويؤت فعل الشرط مبني للمجهول وعلامة جزمه حذف حرف العلة ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو والحكمة مفعول به ثان (فقد أوتي خيراً كثيراً) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وأوتي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وخيراً مفعول به ثان وكثيراً صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (وما يذكّر إلا أولو الألباب) الواو عاطفة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف اليه (وما أنفقتم من نفقة) الواو عاطفة وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لأنفقتم ومن نفقة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجعلها كثيرون زائدة ، وهو أسهل ، ولكنه غير مقيس (أو نذرتم من نذر) عطف على ما تقدم (فإن الله يعلمه) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها وجملة يعلمه خبرها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وما للظالمين من أنصار) الواو الاستئنافية وما نافية وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وأنصار مبتدأ مؤخر .

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ *
لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ

﴿إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

الإعراب :

(إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي) كلام مستأنف مسوق لتفصيل ما أجمل في الجملة الشرطية السابقة ولذلك ترك العاطف ، وإن حرف شرط جازم وتبدوا فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والصدقات مفعول به . فنعما : الفاء رابطة لأن الجواب فعل جامد قال بعضهم في مواضع ربط الجواب بالفاء :

اسمية طلبية وبجامد ... وبما ولن وبقد وبالتنفيس

ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز وفاعل نعم ضمير مستتر مفسر بـ « ما » هي : ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ خبره جملة نعما لأنه المخصوص بالمدح وجملة نعما هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) الواو عاطفة وإن شرطية وتخفوها فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وتؤتوها عطف عليه والهاء مفعول به أول والفقراء مفعول به ثان (فهو خير لكم) الفاء رابطة للجواب وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وخير خبر ولكم جار ومجرور متعلقان بخير والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (ويكفّر عنكم من سيئاتكم) الواو استئنافية ويكفر فعل مضارع مرفوع والجملة خبر لمبتدأ محذوف أي والله يكفر عنكم وعنكم جار ومجرور متعلقان بيكفر وقرىء بالجزم عطفاً على موضع الفاء في قوله

« فهو خير لكم » لأنه جواب الشرط ومن سيئاتكم متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محـــذوف أي : شيئاً من سيئاتكم ، نص عــلى ذلك سيبويه ، وهو أولى من جعلها زائدة في الكـــلام الموجب ، كما صنع المعربون كأبي البقاء وغيره (والله بما تعملون خبير) الواو استئنافية والله مبتدأ وخبير خبره والجار والمجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة (ليس عليك هداهم) كلام مستأنف مسوق للتشدد في العقيدة والنهي عن التساهل مع أعداء الله وأعداء دينه ، ومعلوم أنه كانت هنا قرابات ومصاهرات في اليهود ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق عليهم لحملهم على الانضواء الى الدين القويم • وليس فعل ماض ناقص وعليك خبرها المقدم وهداهم اسمها المؤخر وهو مصدر مضاف لمفعوله (ولكن الله يهدي من يشاء) الواو اعتراضية لا محل لها والجملة لا محل لها ولكن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن اسم موصول مفعول يهدي وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) الواو عاطفة عــلى ما قبلها وما شرطية جازمـــة في محل نصب مفعول به مقـــدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط ومن خير في محل نصب حال والفاء رابطة لجواب الشرط ولأنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير :فهو لأنفسكم،والجملة في محل جزم جواب الشرط(وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) الولو عاطفة وما نافية وتنفقون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله وإلا أداة حصر وابتغاء مفعول لأجله فالاستثناء من أعم العلل ووجه الله مضاف اليه (وما تنفقوا من خير) تقدم إعرابها (يوف إليكم) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ونائب الفاعل مستتر تقديره هو واليكم جار ومجرور

متعلقان بيوف (وأنتم لا تظلمون) الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة لا تظلمون خبر أنتم ، والجملة الاسمية في محل نصب حال . ولك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

اللغة :

(أُحصروا) أحصرهم الجهاد وأرصدهم للمناضلة في سبيل الله ، وصرف نفوسهم عن الاشتغال بأي شيء سواه . وأرصد الشيء أعدّه لأمر من الأمور ، وفي الحديث : « إلا أن أرصده لدين عليّ » ويستعملونها اليوم خطأ ، فيكتبون : « رصد المبلغ لكذا » والصواب: « أرصد » فتنبّه .

(سيماهم) السيما : بالقصر العلامة ، ويجوز مدها : السيماء . وبعض بني أسد وثقيف يقولون : بسيميائهم . ومن ذلك قول ابن عنقاء الفزاري :

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر

(الإلحاف) شدة الإلحاح في المسألة وفي الحديث : « من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف » .

الاعراب :

(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : صدقاتكم للفقراء ، والذين صفة للفقراء وجملة أحصروا في سبيل الله لا محل لها لأنها صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بأحصروا (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) الجملة في موضع نصب على الحال ، وجملة للفقراء مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال نشأ مما سبق كأنهم سألوا لما أمروا بالصدقات : لمن هي ؟ فقيل : إنها لهؤلاء . ولا نافية ويستطيعون فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وضربا مفعول به وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بضرباً (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) الجملة حال ثانية للفقراء ويحسبهم فعل مضارع والهاء مفعول يحسب الأول ، والجاهل فاعل وأغنياء مفعول به ثان ومن التعفف جار ومجرور في موضع نصب على أنه مفعول لأجله ، وجُرّ بـ « من » لأنه فقد شرطاً من أهم شروطه وهو اتحاد الفاعل ، ففاعل الحسبان هو الجاهل وفاعل التعفف هم الفقراء (تعرفهم بسيماهم) الجملة حال ثالثة للفقراء وبسيماهم جار ومجرور متعلقان بتعرفهم (لا يسألون الناس إلحافاً) الجملة حال رابعة ولا نافية ويسألون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والناس مفعول به وإلحافاً يجوز فيه أن يعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أي : يلحفون إلحافاً ، أو مصدراً مؤولاً في موضع الحال ، أي لا يسألون

حالة كونهم ملحفين ، أو مفعولاً من أجله وقد استوفى شروطه . (وما تنفقوا من خير) تقدم إعرابه قريباً (فإن الله به عليم) الفاء رابطة وان واسمها والجملة خبرها ، والجملة اسمية في محل جزم جواب الشرط . وبه جار ومجرور متعلقان بالخبر « عليم » (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان صفة الصدقة ووقتها . ونزول الآية في أبي بكر أو علي بن أبي طالب لا ينزع عنها صفة شمول الحكم وعمومه . والذين مبتدأ وينفقون فعل مضارع والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول والواو فاعل وأموالهم مفعول به بالليل جار ومجرور متعلقان بتنفقون ، والنهار معطوف على الليل ، وسراً وعلانية مصدران منصوبان على الحالية أو بنزع الخافض (فلهم أجرهم عند ربهم) الفاء رابطة للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها ولما في الموصول من رائحة الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف عند متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف اليه والجملة خبر للموصول « الذين » (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعرابها بحروفها كثيراً .

البلاغة :

في قوله تعالى : « لا يسألون الناس إلحافاً » فن من أبدع الفنون البيانية ويسمونه « نفي الشيء بإيجابه » وحده أن يثبت الشاعر أو الكاتب شيئاً في ظاهر كلامه ثم ينفي ما هو من سببه . وهو كثير في القرآن الكريم . أما في هذه الآية فالمنفي في ظاهر الكلام هو الإلحاف في السؤال ، لا نفس السؤال مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة نفس السؤال ، إلحافاً كان أو غير إلحاف . وهذا الذي يقتضيه المديح ،

وهو ، كما ترى ، من طرائف علـم البيان ومن بارعـة قول علي بن أبي طـالب في وصف رسول الله صلى الله عليــه وسلم في مجلسه : « لا تثنى فلتاته » ، أي : لا تذاع سقطاته . فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثمّ فلتات ، غير أنها لا تذاع . وليس المراد ذلك ، ولكن المراد أنه لم يكن ثم فلتات للنبي فتثنى . وهذا من أغرب ما توسعت فيه لغتنا العربية . وزعم ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » أنه قليل في الشعر ، وأنه لم يســمع منه غير بيت واحد لامرىء القيس ، وهو قوله :

على لاحبٍ لا يهتدي بمناره إذا ساقه العود الدّيافيُّ جرجرا

فقوله : « لا يهتدي بمنارة » يوهم أن له مناراً ، إلا أنه لا يهتدى به . وليس المراد ذلك بل المراد أن لا مناراً له يهتدى به . وقد نسي ابن الأثير قول مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني :

تـــراه في الأمن في درع مضاعفــــةٍ
لا يأمن الـــدهر أن يدعى عـــلى عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيــــه من الكحــــل

فإن ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل . والمراد نفي الطيب والكحل مطلقاً ، لانهماكه في قيــادة الجيوش وحفظ الثغور والحراسة على خطوط القتال .

٢ ــ وفي الآية فن المقابلة ، فقد تكرر الطباق بين الليل والنهار ، وبين السر والعلانية .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ

ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ
ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا
سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

اللغة :

(الربا) الإرباء · الزيادة على الشيء ، يقال منه : أربى فلان على فلان إذا زاد عليه • وإنما قيل للرابية رابية لزيادتها في العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها •

(المس) : الجنون •

الاعراب :

(الذين يأكلون الربا) كلام مستأنف مسوق لذكر حكم الربا وهي الزيادة في المعاملة بالنقود • والذين مبتدأ وجملة يأكلون الربا لا محل لها لأنها صلة الموصول (لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس) لا نافية ويقومون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر الذين وإلا أداة حصر وكما يقوم الكاف حرف جرومامصدرية وهي مع مدخولها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول مطلق أوحال وجملة يقوم لامحل لها

لأنها واقعة بعد موصول حرفي والذي فاعل وجملة يتخبطه الشيطان لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن المس جار ومجرور متعلقان بيقومون أي لا يقومون من جراء المس إلا كما يقوم المصروع، ولك أن تعلقهما بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه . واختار أبو حيّان تعليقهما بيتخبطه على سبيل التأكيد ورفع ما يتحمله « يتخبطه » من المجاز ، وهو وارد ، وما اخترناه أولى (ذلك بأنهم قالوا) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة الى العذاب النازل بهم ، والباء حرف جر وان واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « ذلك » أي : بسبب قولهم وجملة الإشارة استئنافية وقالوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل (إنما البيع مثل الربا) إنما كافة ومكفوفة مهملة والبيع مبتدأ ومثل خبر البيع والربا مضاف إليه علامة جره الكسرة المقدرة والجملة في محل نصب مقول القول (وأحل الله البيع وحرم الربا) الواو حالية بتقدير قد بعدها ، وفيه دلالة على أن القياس يهدمه النص ، لأنه قد يكون فاسداً ، وليس ثمة أفسد من قياسهم لتحليل ما حرم الله . وأحل فعل ماض والله فاعله والبيع مفعول به وحرم الربا عطف والجملة بعد الواو حالية (فمن جاءه موعظة من ربه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وجاءه فعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وموعظة فاعل ومن ربه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لموعظة (فانتهى) الفاء عاطفة ، انتهى عطف على جاءه وفاعله هو (فله ما سلف) الفاء رابطة لجواب الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة سلف صلة الموصول (وأمره الى الله) الواو عاطفة أو حالية وأمره مبتدأ والى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة فله ما سلف في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن عاد فأولئك أصحاب

النار) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وعاد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة واسم الإشارة مبتدأ وأصحاب النار خبر والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (هم فيها خالدون) هم مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بخالدون وخالدون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (يمحق الله الربا) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مصير الربا ويمحق فعل مضارع والله فاعله والربا مفعوله (ويربي الصدقات) عطف على يمحق الله الربا (والله لا يحب كل كفار أثيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب خبر وكل مفعول به وكفار مضاف إليه وأثيم صفة لكفار •

البلاغة :

١ ـ التشبيه التمثيلي في تشبيه آكلي الربا عند خروجهم من أجداثهم بمن أصابه مسّ فاختل طبعه ، وانتكست حاله ، وصار يتهافت في مشيته ويتكاوس في خطوته ، ويترنح ترنح الشارب السكران ثم يهوي مكباً على وجهه من سوء الطالع وقبح المنقلب ، وشناعة المصير ، والجزاء عادة وعقلاً من جنس العمل •

٢ ـ التشبيه المقلوب : في قولهم : « إنما البيع مثل الربا » وهم يريدون القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا الى غرضهم ، وهو تحليل ما حرّمه الله ، فعكسوا الكلام للمبالغة ، وهو في البلاغة مرتبة عليا يصبح المشبّه به قائماً بالمشبّه وتابعاً له • ومنه في الشعر قول البحتري يصف بركة بناها المتوكل على الله :

كأنّها حين لجّت في تدفّقها   يد الخليفة لمّا سال واديها

والأصل تشبيه يد الخليفة بالبركة ، فقلب الكلام للمبالغة .
وقول الآخر :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين العاملين إن واسمها ، وجملة آمنوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) الجمل الثلاث معطوفة على الصلة داخلة في حيزها (لهم أجرهم عند ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف متعلق بمحذوف حال والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعرابها بحروفها (ياأيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها أيضاً (اتقوا الله) فعل أمر وفاعله ومفعوله والجملة مستأنفة (وذروا مابقي من الربا) الواو عاطفة وذروا فعل أمر والواو فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة بقي لا محل لها لأنها صلة

الموصول والجار والمجرور متعلقان ببقي أو بمحذوف حال من فاعل بقي (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف أي فذروا والجملة استئنافية (فإن لم تفعلوا) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الفاء رابطة لجواب الشرط وأذنوا فعل أمر وفاعله والجار والمجرور بحرب متعلقان بأذنوا ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لحرب ورسوله عطف على الله والجملة في محل جزم جواب الشرط (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) الواو عاطفة وإن شرطية وتبتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ورؤوس أموالكم مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط . (لا تَظلمون ولا تُظلمون) جملة لا تَظلمون في محل نصب على الحال وهي بالبناء للفاعل وجملة ولا تظلمون عطف عليها وهي بالبناء للمفعول .

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

اللغــة :

(نظرة) بكسر الظاء : مصدر بمعنى التأخير .

(ميسرة) : مصدر ميمي بمعنى اليسار والسعة ، أو اسم زمان ، أي وقت اليسار .

الاعراب :

(وإن كان ذو عسرة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتقرير وجوب الإنظار والإمهال للمدين المعسر . وفي ذلك صلاح للعباد وتأليف بين القلوب . وإن شرطية وكان فعل ماض تام بمعنى حدث ووجد ، وهي تكتفي بفاعلها كسائر الأفعال . أي وإن حدث ذو عسرة، وذو فاعلها وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وعسرة مضاف إليه (فنظرة الى ميسرة) الفاء رابطة لجواب الشرط ونظرة خبر لمبتدأ محذوف أي فالحكم نظرة والجار والمجرور متعلقان بنظرة أو بمحذوف صفة لها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وأن تصدقوا خير لكم) الواو استئنافية وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ وخير خبر والجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل على غير القياس (إن كنتم تعلمون) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وجملة تعلمون في محل رفع خبرها وجواب الشرط محذوف وجملة الشرط استئنافية (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر والواو فاعل ويوماً مفعول وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب صفة ليوماً وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجعون (ثم توفى كلّ نفس ما كسبت) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة (وهم لا يظلمون) الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون في محل رفع خبر وجملة وهم لا يظلمون في محل نصب حال .

الفوائد :

تختص كان بأمور تشاركها فيها أخواتها ، وبأمور تنفرد بها . وتؤخذ هذه الأمور من كتب النحو . وهي هنا مختصة بالتمام وتشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة أفعال لزمت النقصان ، وهي ما فتيء وما زال وليس . ومن مسائلها الهامة في التمام المثال المشهور : « كائناً ما كان » . ونستعمله في كتاباتنا كثيراً ، ولذلك نرى إعرابه تسهيلاً للطالبين ، وقد اختلف النحاة في إعرابه فقال الفارسي : هما تامان في الموضعين ، وما مصدرية وهي وما بعدها مصدر مؤول في محل رفع فاعل كائناً ، أي كونه . وقيل : هما ناقصان في الموضعين ، وفي « كائناً » ضمير هو اسمها والخبر ما الموصولية وجملة كان صلة ما واسم كان ضمير مستتر فيها وخبرها محذوف تقديره إياه ، واسم « كائناً » المستتر وخبر كان عائدان على الشخص المضروب في قولك : لأضربنه كائناً الذي كان إياه ، وكائناً حال من مفعول لأضربنه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ

ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

اللغـة :

(تداينتم) : دان بعضكم بعضاً ويقال : داينت الرجـل . أي عاملته . قال رؤبة :

داينتُ أرْوَى والـدُّيون تُقْضَى
فَمَطَلَتْ بعضاً وأدَّت بعضا

ويقولون : أبعتَ بدين أم بعين ؟ وهي النقد . ودنت وأدَّنت وتديّنت واستدنت : أي استقرضت ، قال كثيّر :

قضى كلُّ ذي دين فوفّى غريمه
وعزَّةُ ممطولٌ معنّى غريمها

(وليملل) من الاملال والاملاء بمعنى واحد ، هذا وقد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على سبيل الشذوذ ، ولا يقاس عليه . ومن ذلك قولهم : أمليت الكتاب . قال تعالى : « فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » . والأصل : أمللت ، وقال تعالى : « وليملل الذي عليه الحق » . والوجه أنهما لغتان ، لأن تصرفهما واحد ، تقول : أملى الكتاب يمليه إملاء . وأملّه يملّه إملالاً ، فليس جعل أحدهما أصلاً والآخر فرعاً بأولى من العكس . وقالوا : قصّيت أظفاري ، حكاه ابن السكّيت في قصّصت ، أبدلوا من الصاد الثالثة ياء لثقل التضعيف . ويجوز أن يكون المراد تقصّيت أظفاري أي أتيت على أقاصيها ، لأن المأخوذ أطرافها ، وطرف كل شيء أقصاه . وهذا بحث يطول فيه القول ، فنجتزىء بما تقدم ، وستقع على أمثلة صالحة أخرى في هذا الكتاب .

(فرهان) بكسر الراء : مصدر أو جمع رهن . والرهن ما يوضع تأميناً للدين ، وحبس الشيء مطلقاً ، والشيء المرهون . وقرىء فرهن بضمتين : جمع رهن أيضاً .

الإعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها وجملة النداء وما يليها مستأنفة مسوقة للشروع في بيان أحكام الدين والتعامل مع الناس على وجه يكفل المصلحة الاجتماعية العامة (إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة تداينتم في محل جر بالاضافة وبدين متعلقان بتداينتم وإلى أجل متعلقان بمحذوف صفة لدين ومسمى صفة لأجل والفاء رابطة لجواب إذا واكتبوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة

المقترنة بالفاء لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (وليكتب بينكم كاتب بالعـدل) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويكتب فعـل مضارع مجزوم باللام وبينكم ظرف مكان متعلق بيكتب وكاتب فاعل وبالعدل متعلقان بكاتب بمثابة الصفة له أي بكاتب مأمون على مايكتب بالسوية والتحوّط ، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ، ولا ينقص • ولا داعي لما ذكره ابن عطية من أن الباء متعلقة بقوله تعالى « وليكتب » وليست متعلقة بكاتب ، لأنه كان يلتزم أنلا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه ، وقد يكتبها الصبيّ والعبد المتحوط إذا أقاما فقهها (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله) الواو عاطفة ولا ناهية ويأب فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وكاتب فاعل وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض ، لأن أبى بمعنى امتنع ، وكما علمه الله : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو نصب على الحال وجملة علمه لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي (فليكتب) الفاء الفصيحة أي اذا علمتم هذا الحكم فليكتب واللام لام الأمر ، يكتب فعل مضارع مجزوم باللام والفاعل هو (وليملل الذي عليه الحق) الواو عاطفـة والذي فاعـل يكتب وعليه متعلقان بمحذوف خبر مقدم والحق مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة الموصول (وليتق الله ربه) الواو عاطفة واللام لام لأمر ويتق فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ولفظ الجلالة مفعول به وربه بدل (ولا يبخس منه شيئاً) الواو عاطفة ولا ناهية ويبخسْ فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل هو ، منه جار ومجرور متعلقان بيبخس أو بمحذوف حال لأنه كان صفة لقوله « شيئاً » وتقـدمت عليه • وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول بـه أي

لا ينقص منه شيئاً (فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً) الفاء استئنافية وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والذي اسم كان وعليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والحق مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ، وسفيهاً خبر كان وأو حرف عطف وضعيفاً عطف على سفيهاً (أو لا يستطيع أن يملّ هو) أو حرف عطف ولا نافية ويستطيع فعل مضارع وأن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول يستطيع وهو فاعل أو تأكيد للفاعل المستتر (فليملل وليه بالعدل) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويملل فعل مضارع مجزوم باللام ووليه فاعل وبالعدل متعلقان بمحذوف حال أي عادلاً ولك أن تعلقهما بقوله فليملل والجملة في محل جزم جواب الشرط (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) الواو عاطفة واستشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وشهيدين مفعول به ومن رجالكم متعلقان بمحذوف صفة أو بقوله واستشهدوا (فإن لم يكونا رجلين) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكونا فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط والألف اسمها ورجلين خبرها (فرجل وامرأتان) الفاء رابطة لجواب الشرط ورجل خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف وامرأتان عطف على رجل والتقدير فالشهود رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يشهدون والجملة في محل جزم جواب الشرط (ممن ترضون من الشهداء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة وجملة ترضون لا محل لها لأنها صلة ومن الشهداء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أن تضل إحداهما) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب على أنه مفعول من أجله ، لأن الضلال سبب

للتذكير ، فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى ، وسيأتي المزيد من هذا الاعراب في باب الفوائد وإحداهما فاعل تضل (فتذكر إحداهما الأخرى) الفاء حرف عطف وتذكر عطف على أن تضلّ وإحداهما فاعل والأخرى مفعول به (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) الواو عاطفة ولا ناهية ويأب فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلة والشهداء فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وما زائدة ودعوا فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة في محل جر بالاضافة (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله) الواو عاطفة ولا ناهية وتسأموا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وأن وما في حيزها مفعول به لتسأموا ، وصغيراً حال والواو حرف عطف و « كبيراً » عطف على « صغيراً » وإلى أجله متعلقان بمحذوف حال أي مستقراً في الذمة الى حلوله ، ولا يجوز تعليقه بتكتبوه لعدم استمرار الكتابة الى أجله (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة) الجملة لا محل لها لأنها مفسرة ، وذلكم مبتدأ وأقسط خبره . ويلاحظ أنه ورد اسم التفضيل من الرباعي والقياس أن يأتي من الثلاثي ، لأن الفعل أقسط أي عدل ، أما قسط الثلاثي فهو بمعنى جار ، قال تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » . وعند ظرف مكان متعلق بأقسط ولفظ الجلالة مضاف إليه وأقوم عطف على أقسط وللشهادة متعلقان بأقوم ، والمعنى أصح وأثبت (وأدنى أن لا ترتابوا) الواو عاطفة وأدنى عطف على أقوم وأن ومافي حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي أقرب من انتفاء الريبة والجار والمجرور متعلقان بأدنى (إلا أن تكون تجارة حاضرة) إلا أداة استثناء وأن وما في حيزها مصدر منصوب على الاستثناء المنقطع ،

لأنها تجارة حاضرة لا تحتاج الى استشهاد أو كتابة ، على أنه يصح اعتباره استثناء متصلاً ، كأنه استثناء من التجارة ، فالأمر بالكتابة ساري المفعول ، واستثنى الكتابة بالتجارة الحاضرة • وتكون فعل مضارع واسمها مستتر تقديره هي أي التجارة ، وتجارة خبر • ويصح اعتبار « تكون » تامة ، وتجارة فاعل ، وقد قرىء بهما جميعاً • وحاضرة نعت لتجارة (تديرونها بينكم) الجملة صفة ثانية لتجارة وبينكم ظرف مكان متعلق بتديرونها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) الفاء عاطفة عطفت هذه الجملة على جملة « إلا أن تكون تجارة » أي تسبب عن ذلك رفع الجناح في عدم الكتابة • وليس فعل ماض ناقص وعليكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزها مصدر مؤوّل منصوب بنزع الخافض ، أي في أن لا تكتبوها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجناح (وأشهدوا إذا تبايعتم) الواو عاطفة وأشهدوا فعل أمر والواو فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة تبايعتم في محل جر بالإضافة والجواب محذوف تقديره فأشهدوا ، ولك أن تجرد إذا عن الشرطية وتجعلها لمجرد الظرفية الزمانية ، أي افعلوا الشهادة وقت التبايع (ولا يضار) الواو عاطفة ولا ناهية ويضار فعل مضارع يحتمل أنه مبني للمعلوم فأصله يضارِر بكسر الراء الأولى ، ويحتمل أنه مبني للمجهول فأصله يضارَر بفتحها ، وهو مجزوم على كل حال ، وحرك بالفتح لخفته لأنه مضعف (كاتب ولا شهيد) كاتب فاعل أو نائب فاعل والواو حرف عطف ولا نافية وشهيد عطف على كاتب (وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم) الواو عاطفة وإن شرطية وتفعلوا فعل مضارع فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والفاء رابطة لجواب الشرط

وإن واسمها ، وفسوق خبرها وبكم متعلقان بمحذوف صفة لفسوق ، أي لاحق . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (واتقوا الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعول به (ويعلمكم الله) الواو استئنافية ولا مكان لجعلها حالية ، كما قرر الجلال وتابعه كثيرون من المفسرين والمعربين ، لأن المضارع المثبت لا تباشره واو الحال ، وإن حاول بعضهم تقدير مبتدأ محذوف لتكون الجملة اسمية أي وهو يعلمكم لما فيه من تكلف ، وفي جعلها عاطفة خلاف للأولى ، لأن فيه ارتكاب عطف الخبر على الإنشاء ، وذلك موضع خلاف سيرد في مكانه من هذا الكتاب والله فاعل يعلمكم والكاف مفعول يعلمكم (والله بكل شيء عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر الله .

البلاغة :

لعل هذه الآية من أحفل الآيات بذكر شئون المعايش التي تنتظم بها أمور العباد ، وتضمن لمتبعها حسن المعاد ، وقد شدد الله سبحانه فيها على حسن المعاملة التي هي جماع أمر الدين وعموده ، وبالغ في التوصية بحفظ المال الحلال ، وإحاطته بما يصونه من الهلاك ، ولذلك اشتملت على ضروب من التوكيدات نوجزها فيما يلي ، تاركين للقارىء الرجوع الى المظان المعروفة .

١ ــ أمر بالكتابة بقوله : « فاكتبوه » حذراً من الاستهداف للخطأ أو النسيان .

٢ ــ وذكر « بدين » مع أنه مفهوم من قوله : « تداينتم » للتأكيد وليرجع إليه الضمير بقوله : « فليكتبوه » إذ لو لم يذكر

لوجب أن يقال : فاكتبوا الدين ، وفي ذلك إخلال بحسن النظم ، وليدل على العموم ، أي : أيّ دين قليلاً كان أم كثيراً •

٣ ــ وذكر « الى أجل مسمى » على سبيل التأكيد ، وليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً بالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام • ولو قال الى الحصاد مثلاً لم يجز لعدم التسمية •

٤ ــ وأناط الكتابة بكاتب بالعدل متسّم به •

٥ ــ ونهى عن أن يأبى من يطلب إليه الكتابة ما كلّف به •

٦ ــ وكرر الأمر بالكتابة بصيغة أخرى تشدداً في الكتابة فقال : « فليكتب » •

٧ ــ وأمر الذي عليه أن يملي على الكاتب بالعدل ، لئلا تبقى له حجة •

٨ ــ وتحوّط للأمر بأن أمره باتقاء الله بقوله : «وليتق الله ربه» •

٩ ــ وعقب على الاتقاء بما يحتمه من عدم البخس ، واستعمل هذه اللفظة التي هي في الأصل اللغوي للعين العوراء ، يقال : بخست عينه ، أي عورت • ولا يخفى ما في هذا من التصوير المجسد الحاكي •

١٠ ــ واحتاط بما قد يطرأ على الأناسيّ من السأم والملالة ، وما يترتب عليهما من تفريط ، فتعم حينئذ الفوضى ، ويطرأ الخلل ؛ لأنهم لم يستوفوا كتابة ما شهدوا عليه ، سواء أكان كبيراً أم صغيراً •

١١ ــ وبعد أن أوصى بما أوصى . نبّه الى أن ذلك هو السبيل الأقوم ، والطريق الأعدل ، صرح باسمه تعالى فقال : « عند الله » تبياناً للمصير المعلوم . وتحذيراً من تفريط المفرط وافتئات المفتئت •

١٢ ــ وختم الآية بذكر الله ثلاث مرات متعاقبة ، لإدخال الروع في القلوب ، وإحداث المهابة في النفوس . وترسيخ الحكم في الأذهان ، والإشعار بأنه تعالى مطلع على السرائر ، لا تغرب عنه هسسات القلوب ، وخلجات الضمائر .

الفوائد :

مثّل الزمخشري لقوله تعالى: « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » بقولهم : أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه ، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه . فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى . وتساءل التفتازاني في حواشيه على الكشاف فقال : « ومما ينبغي أن يتعرض له وجه تكرّر « إحداهما » ولا خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمر ، إذ ليست المذكورة هي الناسبة إلا أن يجعل « إحداهما » الثانية في موقع المفعول ، ولا يجوز تقدم المفعول على الفاعل في موضع الإلباس . نعم يصح أن يقول : « فتذكر الأخرى » فلا بد للعدول من نكتة » . ولم يتعرض التفتازاني للنكتة ، وترك قارئه في حيرة من أمره . على أن الدماميني ذكر في شرح المغني أن المقصود هو كون التذكير من إحداهما للأخرى كيفما قدّر لا يستقيم إلا كذلك ، ألا ترى أنه لو قيل : أن تضلّ إحداهما فتذكرها الأخرى ، وجب أن يكون ضمير المفعول عائداً على الضالة ، فيتعيّن لها ، وذلك مخل بالمعنى المقصود ، لأن الضالة الآن في الشهادة قد تكون هي الذاكرة لها في زمان آخر ، فالمذكرة حينئذ هي الضالة ، فإذا قيل : فتذكرها الأخرى لم يعد ذلك لتعيّن عود الضمير الى الضالة . وإذا قيل : فتذكر إحداهما الأخرى ، كان مبهماً في واحدة

منهما . فلو ضلت إحداهما فذكّرتها الأخرى فذكرت كان داخلاً ، ثم لو انعكس الأمر والشهادة بعينها في وقت آخر اندرج أيضاً تحته لوقوع قوله « فتذكر إحداهما الأخرى » غير معيّين ، فظهر الوجه الذي لأجله عدل عن « فتذكرها » الى « فتذكر إحداهما الأخرى » . وفي النفس من هذا التقرير مالا يحتمله هذا الكتاب .

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

الإعراب :

(وإن كنتم على سفر) الواو استئنافية وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وعلى سفر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم (ولم تجدوا كاتباً) الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتجدوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وكاتباً مفعول به والجملة حالية ويجوز لك أن تجعل الواو عاطفة فتكون الجملة معطوفة على فعل الشرط فهي في محل جزم (فرهان مقبوضة) الفاء رابطة لجواب الشرط ورهان مبتدأ و ساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، ومقبوضة صفة والخبر محذوف تقديره تستوثقون بها ؛ ولك أن تعربها خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : فالمعتمد عليه رهان ، لأن السفر مظنة لإعواز الكتب .

وتفاصيل المسألة مبسوطة في كتب الفقه والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (فإن أمن بعضكم بعضاً) الفاء عاطفة وإن شرطية وأمن فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعضكم فاعل وبعضاً مفعول به (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويؤد فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والجملة في محل جزم فعل الشرط والذي اسم موصول فاعل واؤتمن فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والجملة صلة وأمانته مفعول به ليؤد (وليتق الله ربه) تقدم إعرابه بحروفه (ولا تكتموا الشهادة) الواو عاطفة ولا ناهية وتكتموا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والشهادة مفعول به (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكتمها فعل الشرط والهاء مفعوله والفاء رابطة لجواب الشرط وان واسمها ، وآثم خبرها وقلبه فاعل آثم لأنه اسم فاعل . ويصح في مثل هذا التركيب أن يكون الضمير في فإنه للشأن وآثم خبر مقدم وقلبه مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (والله بما تعملون عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وبما متعلقان بعليم وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليم خبر « الله » .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التصريحية التبعية في قوله تعالى : « على سفر » فقد شبه تمكنهم من السفر وارتياضهم عليه وتمرسهم به بتمكن الراكب من ركوبه .

٢ ــ المجاز العقلي في قوله : « آثم قلبه » فقد أسند الإثم الى القلب ، والمقصود الإنسان كله لا قلبه وحده لسر عجيب ، وهو أن القلب بمثابة الرأس للأعضاء ، وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله ؛ وقد تعلق الشعراء بأذيال هذه البلاغة وحسبنا أن نذكر تلفت القلب في قول الشريف الرضي البديع :

ولقد وقفت على ديارهم وطلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضج من لغب نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وصرح دعبل الخزاعي بجناية القلب والطرف بقوله :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا
لا تأخذا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ
أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ
وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا
نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

اللغة :

(الوسع) : ما يسع الانسان ولا يضيق عليه .

(الطاقة) : المجهود والقدرة . وهي مصدر جاء على حذف الزوائد ، والأصل الإطاقة .

(الإصر) : العب ، وأصره حبسه ، وبابه ضرب . والمراد به التكاليف الشاقة التي ينوء بها الجسم ، وتعيا عنها النفس .

الإعراب :

(لله مافي السموات ومافي الأرض) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب مسوق للاستدلال على قوله : « والله بما تعلمون عليم » وغلب غير العقلاء على غيرهم من العقلاء باستعمال « ما » لأنهم أكثر .

والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول ، ومافي الأرض عطف على « مافي السموات » (وإن تبدوا مافي أنفسكم) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان التكليف . والمؤاخذة تكون بالخواطر التي

لا ندحة للمرء عنها . وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله :

مراتب القصد خمس : هاجس ذكروا
وخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همٌّ فعزم كلها رفعت
سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وتفصيل ذلك مبسوط في المطوّلات فليرجع إليها من يشاء . وإن شرطية وتبدوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والجملة لا محل لها وما اسم موصول مفعول به وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (أو تخفوه) عطف على تبدوا والهاء مفعول به (يحاسبكم به الله) جواب الشرط مجزوم والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجار والمجرور متعلقان بيحاسبكم ، والله فاعل والجملة لا محل لها (فيغفر لمن يشاء) الفاء استئنافية ويغفر فعل مضارع مرفوع ، أي فهو يغفر ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة ويغفر فعل مضارع مجزوم بالعطف على يغفر ، وكلتا القراءتين من السبع ، وقرىء أيضاً بالنصب على إضمار « أن » فينسبك من ذلك مصدر مرفوع معطوف على متوهم ، أي تكن محاسبة فغفران . ويتخرّج على ذلك بيت النابغة الذبيانيّ :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

يروى بجزم نأخذ ورفعه ونصبه ، على أن سيبويه استضعف النصب لأن القارىء الزعفراني ليس من السبعة ، ولأنه موجب . ونص

عبارة سيبويه « وقد يجوز النصب في الواجب في ضرورة الشعر وهو ضعيف في الكلام » . ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر وجملة يشاء صلة (ويعذب من يشاء) عطف على ما تقدم (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بقدير ، وقدير خبر « الله » (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) جملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم آمن بكل ما فرض الله على العباد ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد ، وما ورد ذكره في السورة من قصص الأنبياء. وآمن الرسول فعل وفاعل وبما جار ومجرور متعلقان بآمن وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وإليه جار ومجرور متعلقان بأنزل ومن ربه جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً ، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال أي حالة كونه نازلاً من ربه لأنه يضمن السعادة للمجتمع البشري (والمؤمنون) يجوز أن تكون الواو عاطفة والمؤمنون عطف على الرسول ، فيكون الوقف هنا . ويشهد لهذا الإعراب ما قرأه علي بن أبي طالب : « وآمن المؤمنون » فأظهر الفعل ، ويجوز أن تكون الواو استئنافية والمؤمنون مبتدأ أول (كلٌّ آمن) كل مبتدأ ثان وجملة آمن خبره والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول وهو المؤمنون والرابط محذوف على الوجه الثاني . وعلى الوجه الأول تكون جملة « كل آمن » مستأنفة . وساغ الابتداء بكل وهو نكرة لأنه بنية الإضافة أي كل واحد منهم والتنوين عوض عن الكلمة المحذوفة (بالله وملائكته وكتبه ورسله) الجار والمجرور متعلقان بآمن وما بعده عطف عليه (لا نفرق بين أحد من رسله) هذه الجملة مقول قول محذوف وجملتا لقول في محل نصب على الحال أي قائلين لا نفرق ، ولا نافية ونفرق فعل مضارع مرفوع وبين ظرف مكان متعلق بنفرق

وأحد مضاف إليه ومن رسله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد ، ولم يقل : بين آحاد ، لأن الأحد يتناول الواحد والجمع كما في قوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » فوصفه بالجمع لكونه في معناه ولذلك دخل عليه بين وسيرد في هذا الكتاب تفصيل ممتع عن أحد (وقالوا سمعنا وأطعنا) الواو استئنافية وقالوا فعل ماض والواو فاعل وجملتا سمعنا وأطعنا مقول القول (غفرانك ربنا) مفعول مطلق بإضمار عامله ، ومنه قولهم : غفرانك لا كفرانك ، أي نستغفرك ولا نكفرك . وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء (وإليك المصير) الواو عاطفة والمعطوف عليه محذوف داخل في حيز القول أي : قائلين منك المبدأ وإليك المصير . وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) جملة مستأنفة مسوقة لإزالة الحرج عن النفوس ولبيان أن المؤاخذة قاصرة على ما في الوسع والطاقة فما عداه من خواطر النفس وهواجسها لا محاسبة عليه وبذلك يزول الإشكال الذي ساور بعض المفسرين فقد قالوا : إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما ، فما معنى الدعاء بذلك وهو يكاد يكون من تحصيل الحاصل ؟ ولا نافية ويكلف فعل مضارع مرفوع والله فاعله ونفساً مفعول به أول وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) الجملة مفسرة لما أجمله في قوله « وسعها » وسيأتي بيان ذلك في باب البلاغة . ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعليها ما اكتسبت : عطف على ما تقدم وقد ذكر إعرابه (ربنا لا تؤاخذنا) ربنا منادى مضاف ولا ناهية معناها هنا الدعاء وتؤاخذنا فعل مضارع

مجزوم بلا ونا مفعول به والفاعل أنت والجملة داخلة في حيز القول المتقـدم وجملة النـداء استئنافية (إن نسينا أو أخطأنا) إن شرطية ونسينا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ونا فاعل أو أخطأنا عطف عليه والجواب محذوف أي فلا تؤاخذنا وجملة الشرط وجوابه في محل نصب على الحال (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) تقدم إعرابه وتوسيط النداء بين المتعاطفين لإظهار مدى الضراعة والاسترحام والمبالغـة في التذلل والاعتراف لله سبحانه بربوبيته (كما حملته) تقدم في مثل هذا التركيب أنه مفعول مطلق أو حال وما مصدرية على كل حال (عـلى الذين من قبلنا) على الذين متعلقان بجملة ومن قبلنا متعلقان بمحذوف صلة الذين أي كانوا من الأمم السالفة (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) عطف على ما تقدم وما مفعول به ثان لتحملنا ولا نافية للجنس وطاقة اسمها المبني على الفتح في محل نصب ولنا جار ومجرور متعلقان بطاقة وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (واعف عنا) دعاء معطوف على ما تقدم وعنا متعلقان باعف (واغفر لنا) عطف آخر (وارحمنا) عطف آخـر (أنت مولانا) أنت ضمير منفصل في محل رفـع مبتدأ ومولانا خبر والجملة مستأنفة بمثابة الاعتراف لله تعالى بأنه المولى ، لأن المولى مصدر ميمي من ولي يلي ، والمعنى أنت مولانا بك نلوذ ، وإليك نلتجىء ، وعليك نتكل ، ومن حق المولى أن ينصر من يليه ويجيره إذا خاف ويحوطه بعنايته ويكلاه برعايته . (فانصرنا على القوم الكافرين) الفاء للتعليل والجملة مسوقة لتعليل ما تقدم ، فإن كونه مولانا سبب سبب لطلب النصرة منه ، وعلى القوم متعلقان بانصرنا وذكر لفظ القوم للتعميم لأن النصر على الأفراد لا يستلزم النصر على المجموع فدفع ذلك الإيهام بذكر لفظ القوم والكافرين صفة .

البلاغــة :

في هذه الأبيات طائفة من فنون البلاغة نجملها بما يلي :

١ ــ حسن الختام : وقد تقــدّم بحثه ، ومن حق سورة البقرة وقد اشتملت على العديد من الأحكام ، وانطوت على التشريع البيان ــ أن يتناول ختامها شكر المنعم الذي منّ على الإنسان بالعقل ليفكّر ، ومن حق المنعم عليه أن يعترف لمن أسدى إليه الآلاء أن يشكرها ولمن نصب أمامه محاريب الفكر ومجالي الإبداع أن يفكر فيها ويتدبرها ، ويشهد لمن أبدعها بالحول والطّول والانفراد بالوحدانية المتجلية على قلوب المؤمنين . فبالفكر وحده يحيا الإنسان وبالفكر استدل عــلى وجوده وما أجمل قوله صلى الله عليه وسلم : « السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها ، فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولن تستطيعها البطلة » قيل : وما البطلة ؟ قال : السحرة . ومعنى كونها فسطاط القرآن أنها اشتملت عــلى معظم أمور الدين أصولاً وفروعاً، والإرشاد الى ما فيه حسن المعايش في الدنيا والفوز في الآخرة.

٢ ــ المقابلة : في قوله : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فقد طابق بين لها وعليها ، وبين كسبت واكتسبت . فالفعــل الأول يختص بالخير ، والفعل الثاني يختص بالشر فإن في الاكتساب اعتمالاً، والشر تتشهّاه النفس وتجنح إليه بالطبع بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله ، وكما يشرق اليقين في النفس . إشراقاً جعل من فلاسفة الإشراق مؤمنــين ، ومن الغزالي وديكارت أوّابين متبتّلين ...

الفوائـد :

١ ــ (بين) ظرف للمكان أو الزمان لا يضاف إلا لمتعدّد ، وقد أضيف في الآية الى « أحد » لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب ، يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع كما يستوي فيه المذكر والمؤنث . فمعنى لا نفرّق بين أحد من الرسل : لا نفرق بين جمع من الرسل . وقد اختلف علماء اللغة : هل تعاد بين بعد ورودها بين المتعاطفين أم لا ؟ نحو : جلست بين زيد وعمرو . هل يقال : جلست بين زيد وبين عمرو؟ أجاز ذلك قوم على أن تكون بين للتأكيد .

ومن روائع النكت أنه لا يعطف بعدها إلا بالواو فلا يقال : جلست بين زيد فعمرو . وقد اعترض على ذلك بقول امرىء القيس في مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدّخول فحومل

قال الأصمعي : الصواب أن يقال : بين الدخول وحومل ، لأن البينية لا يعطف عليها بالفاء لأنها تدل على الترتيب ، وقال يعقوب بن السكيت في الدفاع عن امرىء القيس : إنه على حذف مضاف وأن التقدير : بين أهل الدخول فحومل . وقال المرادي : إنه على اعتبار المتعدّد حكماً لأن الدخول مكان لا يجوز أن يشتمل على أمكنة متعددة ، كما تقول قعدت بين الكوفة ، تريد بين دورها وأماكنها . هذا وتشبع حركة النون فتصير « بينا » و « بينما » . وتضاف عندئذ الى الجمل ، قال أبو ذؤيب :

بينا تعنقه الكماة وروغه يوماً أُتيح له جريء سلفع

سورة آل عمران
مدنية وآياتها مائتان

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣
مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ
يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾

(ألم) تقدم الكلام على فواتح السّور في أول البقرة .

(التوراة والإنجيل) : اسمان أعجميان ، وقيل عربيان . وعلى القول بعربيتهما فالتوراة مشتقة من قولهم : ورى الزّند إذا قدح فظهر منه نار . فلما كانت التوراة فيها ضياء يخرج به من الضلال الى الهدى كما يخرج بالنور من الظلام الى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة. وقيل : هي مشتقة من وريت في كلامي من التورية . وسميت التوراة لأن فيها تلويحات وإيحاءات ومعاريض . أما الانجيل فهو على رأي القائلين بعربيته مشتق من النجل وهو التوسعة . ومنه قولهم : عين نجلاء أي واسعة . وسمي الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة .

الإعراب :

(ألـم) خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم القول فيه مفصّلا (الله لا إله إلا هو) الله مبتدأ ولا نافية للجنس وإله اسمهـا وإلا أداة حصر وهو بدل من محل لا واسمها على الصحيح أو من الخبر المحذوف أي لا إله موجود إلا هو ، والجملة خبر « الله » وقد تقـدّم الكلام مفصلاً في إعراب كلمـة الشهـادة (الحي القيوم) خبر ثان وثالث لـ « الله » أو خبران لمبتدأ محذوف أي هو الحيّ القيوم (نزّل عليك الكتاب بالحق) الجملة خبر رابع لـ « الله » أو خبر ثان إن جعلنا الحي القيوم خبرين لمبتدأ محذوف • ونزل فعل ماض مبني على الفتح وعليك متعلقـان بنزل والكتاب مفعول به وبالحق جـار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الكتاب أي متلبساً بالحق (مصدقاً لما بين يديه) مصدقاً : حال مؤكدة واللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقوله مصدقاً وبين ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول ويديه مضاف إليه مجرور بالياء لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف إليه (وأنزل التوراة والانجيل) عطف على ما تقدم (من قبل) جار ومجرور متعلقان بأنزل (هدى للناس) حال من التوراة والانجيل ولم يثنّ لأنه مصدر أي هادين • ويجوز إعراب هدى مفعولاً من أجله أي أنزل هذين الكتابين لأجل هداية الناس • وللناس متعلقان بهدى (وأنزل الفرقان) الواو حرف عطف وجملة أنزل الفرقان عطف على جملة أنزل التوراة والإنجيل • من قبيل عطف العام عـلى الخاص أي الكتب التي تفرق بـين الحق والباطل (إن الذين كفروا بآيات الله) جملة مستأنفة للتحدث عن وفد نجران والتفاصيل مبسوطة في المطوّلات • وإن واسمهـا • وجملة

كفروا صلة الموصول وبآيات الله متعلقان بكفروا (لهم عذاب شديد) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وشديد صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (والله عزيز ذو انتقام) الواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز خبر أول وذو انتقام خبر ثان (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) إن واسمها ، وجملة لا يخفى عليه شيء خبرها وفي الأرض متعلقان بمحذوف صفة لشيء ولا في السماء عطف على ما تقدم (هو الذي يصوركم في الأرحام) جملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان علمه سبحانه واطلاعه على مالا يدخل تحت الوجود وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم وهو مبتدأ والذي خبره وجملة يصوركم صلة الموصول وفي الأرحام متعلقان بيصوركم (كيف يشاء) كيف هنا أداة شرط في محل نصب على الحال ولم تجزم لعدم اتصال « ما » بها . ومفعول يشاء محذوف تقديره تصويركم والجملة حالية (لا إله إلا هو) تقدم إعرابه وكرره لتأكيد الكلام و (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو .

البلاغـة :

١ ــ المجاز في قوله : « لما بين يديه » والمراد ما أمامه .

٢ ــ الطباق بين « الأرض » و « السماء » .

٣ ــ الإيجاز بالحذف ، فقد حذف مفعول « يشاء » للغرابة وإظهار قدرة الله تعالى .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى

ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

اللغـة :

(محكمات) : أحكمت عباراتها ، ووضحت دلالاتها ، وحفظت من الاحتمـال والاشتباه .

(متشابهات) فيها احتمال للتأويل . وفي هذه الكلمة إيهام ، فإن مفردها متشابه ، وكيف يتشابه الشيء مع نفسه ؟ وإنما يقع التشابه بين الاثنين . ومثله يقتتلان ، والمفرد لا يقتتل ، فكيف يقتتل الواحد مـع نفسه ؟ وقد وجه هذا الاعتراض الى تقي الدين بن تيمية الإمام المشهور فقال لمن سأله : « هذا ذهن جيد » . ثم عدل عن الجواب . والذي يبدو للخاطر أن العرب نطقت بألفاظ من هذه الصيغة ولم ترد بها المفاعلة كقولهم : طابقت النعل ، وعاقبت اللص ، وخامرت الحب ، وعاقرت الخمر . ولو فرضنا أن الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب أن التشابه لا يكون إلا بين اثنين فما فوقهما ، وإذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل واحد مشابها للآخر ، فلما لم يصح التشابـه إلا في حالة الاجتماع وصف بالجمع لأن كل واحد من مفرداته يشابه الآخر .

الحكمة في المتشابه :

فإذا خطر لك أن تسأل عن السر في الجنوح الى ذكر المتشابه به في القرآن ، والعدول عن تعميم الحكم ؟ قيل إن القرآن في الأصل نزل على أسلوب العرب وبألفاظهم ووفقاً لكلامهم ، وهو على ضربين :

منه المحكم الذي لا يخطئه السامع ، ولا يغرب عن الفهم ، ومنه ما حفل بضروب المجازات ، وأنواع الكنايات والإشارات والتلويحات . وقد كان هذا الضرب الثاني ، أفعل في نفوسهم ، وأكثر استهواء لهم ؛ فأنزل القرآن مفرغاً في الأسلوبين ، حاوياً للنوعين ، ليكون التحدي أعم وأشمل ، ولو نزل كله محكماً لما ترددوا في التماس المطاعن ، ولما أحجموا عن المكابرة واللجاج والاعتراض ، ولقالوا : هلاّ نزل بالضرب الذي نستحسنه ، ونميل إليه ؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لما يتميّز به المتشابه من كدّ القرائح في استخراج المغالق واكتناه المرامي ، وحسر الستار عن الطرائف التي تتعالى على النظرة السطحية البدائية ، حتى إذا فتح الله عليه وتمكن من سبر أغوار المتشابه ، كان إيمانه أرسخ ويقينه أقوى من أن تعصف به الشبهات .

(الزيغ) الميل عن الحق والجنوح الى الباطل . والزاي والياء إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة أفادتا هذا المعنى وسمي الزيت زيتاً لأنه سائل يميل بسرعة ، وزاغت الشمس تزيغ مالت ، وقس على ذلك .

الإعراب :

(هو الذي أنزل عليك الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتفصيل آيات الكتاب وأنها قسمان : قسم يفهمه الناس ، وقسم لا يفهمونه لقصورهم وعجزهم . وهو مبتدأ والذي خبره وجملة أنزل عليك الكتاب لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليك متعلقان بأنزل والكتاب مفعول به (منه آيات محكمات) الجملة حال من الكتاب والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر ومحكمات صفة لآيات (هن أم الكتاب) الجملة صفة ثانية لآيات وهن ضمير منفصل في محل

رفع مبتدأ وأم الكتاب خبره ، وأخبر عن الجمع بالواحد لأن كل واحدة بمثابة أم واحدة (وأخر متشابهات) عطف على آيات محكمات (فأما الذين في قلوبهم زيغ) الفاء استئنافية مسوقة لتفصيل موقف الناس منه ، وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وزيغ مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) الفاء رابطة لجواب أما وجملة يتبعون خبر الذين واستغنى عن الجواب اكتفاء بالفاء وما اسم موصول مفعول به وجملة تشابه صلة الموصول ومنه متعلقان بتشابه وابتغاء مفعول لأجله والفتنة مضاف إليه (وابتغاء تأويله) عطف على ابتغاء الفتنة (وما يعلم تأويله) الواو حالية وما نافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وتأويله مفعول به مقدم والجملة في محل نصب على الحال (إلا الله) إلا أداة حصر والله فاعل يعلم مؤخر (والراسخون في العلم يقولون) تكلم المعربون والمفسرون كثيراً وأطالوا حول هذه الآية ، والقول الفصل فيها أنه يجوز أن تكون الواو عاطفة والراسخون معطوفة على « الله » والمعنى : لا يهتدي الى تأويله إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم وتمكنوا منه ، ويجوز أن يتم الوقوف على قوله : « إلا الله » وتكون الواو استئنافية والراسخون مبتدأ خبره جملة يقولون . وعلى القول الاول تكون جملة يقولون : حالية أي قائلين ، وقد نشأ عن هذا الاختلاف في التفسير انقسام العلماء الى فريقين : أصحاب تأويل وأصحاب ظاهر ، ولسنا في صدد الترجيح والمفاضلة بين الآراء المتضاربة ولكننا سنورد لمحة عنه في باب الفوائد (آمنا به كلٌ من عند ربنا) الجملتان مقول القول وآمنا فعل وفاعل وبه متعلقان بآمنا وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما في « كل » من معنى العموم والتنوين عوض عن كلمة ، ومن عند ربنا الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر (وما يذكر إلا أولو الألباب) الواو حالية أو مستأنفة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل يذكر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والألباب مضاف إليه .

الفوائد :

١ ــ أفرد بعضهم هذه المسألة بكتاب خاص لسعة الكلام فيها ، وقد استدل القاضي البيضاوي والزمخشري قبله على اختيارهما الوقوف على « العلم » لأن في ذلك حفزاً للعقول على التفكير والإبداع ، وقال الحشويّة ما خلاصته : الوقف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » واجب حتى يكون قوله : « والراسخون » كلاماً مستأنفاً ، فاذا لم يقف عليه بل وقف على قوله « والراسخون في العلم » ليكون عطفاً على قوله : « إلا الله » كان لا بد أن يبتدىء بقوله : « يقولون آمنا به » أراد به : قائلين ، وهو حال ، وهو باطل ، لأنه لا يخلو إما أن يكون حالاً عن « الله » أو عن الراسخين في العلم ، كان كأن الله سبحانه والراسخين في العلم قالوا : آمنا به كل من عند ربنا . وذلك في حقه تعالى محال ، أو يكون حالاً عن الراسخين في العلم فقط ، وعندئذ يتخصص المعطوف بالحال دون المعطوف عليه ، وهو أيضاً غير جائز ، لأنه منافٍ للقاعدة المقررة في العربية ، وهي أن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فثبت أن الوقف على قوله : « إلا الله » واجب . وإذا كان الوقف عليه واجباً فقد خاطبنا الله بما لا نفهمه وهو المهمل . قلت : لا يخفى ما في حذلقة الحشويين من براعة مبنية على المغالطة فهم يجيزون الخطاب بالمهمل ، فإنه يجوز تخصيص المعطوف بالحال حيث لا لبس ؛

وهو كثير في القرآن . ومنه : « ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة » فإن « نافلة » حال من المعطوف فقط ، وهو « يعقوب » لأن النافلة هو ولد الولد وإنما هو يعقوب دون إسحق .

ما يقوله الرازي :

واستدل الامام فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب على أن الوقف الصحيح على قوله « إلا الله » بستة أوجه ، ملخص الثاني منها أن الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ » الى آخر الآية ، ولو كان التأويل جائزاً لما ذمّه الله . وملخص الرابع : أنه لو كانت الواو في قوله : « والراسخون » عاطفة لصار قوله: « يقولون آمنا به » ابتداء ، وهو بعيد عند ذوي الفصاحة ، بل كان الأَوْلى أن يقولوا : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال : ويقولون : آمنا به، ولهذا كله أسغنا الوجهين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) ﴾

الإعراب :

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الجملة مقول قول محذوف وربنا منادى مضاف ولا ناهية وهي هنا بمعنى الدعاء وتزغ فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت وقلوبنا مفعول به والظرف الزماني متعلق بتزغ

وهو مضاف الى الظرف الذي هو إذ وإذ ظرف لما مضى من الزمن وجملة هديتنا في محل جر بالإضافة وقيل خرجت إذ عن الظرفية فهي بمعنى « أن » ولكن حكمها لم يتغير فهي ملازمة للإضافة اليها ، وهو قول" جميل (وهب لنا من لدنك رحمة) الواو عاطفة وهب فعل أمر ولنا جار ومجرور متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر بمن والكاف مضاف إليه ورحمة مفعول به (إنك أنت الوهاب) الجملة تعليل للدعاء لا محل لها وإن واسمها ، وأنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والوهاب خبر أنت والجملة الإسمية في محل رفع خبر إن ويجوز أن تعرب أنت ضمير فصل لا محل له والوهاب خبر إن (ربنا إنك جامع الناس) ربنا منادى مضاف ، وإن واسمها ، وجامع الناس خبرها والجملة داخلة في حيز مقول القول (ليوم لا ريبَ فيهِ) الجار والمجرور متعلقان بجامع ولا نافية للجنس وريب اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها . وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (إن الله لا يخلف الميعاد) الجملة تعليلية للحكم فإنه في مقام إلتماس الإنعام وإن واسمها ، وجملة لا يخلف الميعاد مفعول به بمعنى المصدر وهو الوعد ، وقد قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) الجملة مستأنفة وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتغني فعل مضارع منصوب بلن والجملة خبر إن وعنهم متعلقان بتغني وأموالهم فاعل تغني ولا أولادهم عطف على أموالهم ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « شيئاً » فلما تقدم أعرب حالاً على القاعدة المشهورة ، والتقدير لن تدفع عنهم الأموال

والأولاد شيئاً من عذاب الله وشيئاً مفعول به أو في موضع المصدر تقديره غنى ، فيكون مفعولاً مطلقاً (وأولئك هم وقود النار) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم الإغناء ، ولك أن تجعل الواو عاطفة والجملة معطوفة على خبر إن وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وهم مبتدأ ثان ووقود النار خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة ، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل ووقود النار خبر أولئك وقد تقدم تقريره كثيراً .

الفوائد :

(لدن ولدى) ظرفان للمكان والزّمان مبنيّان على السكون ، والغالب في لدن أن تجر بمن كما في الآية ، وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمتها نون الوقاية نحو لدني ، وقد تترك هذه النون فيقال لَدُني . وتضاف إلى المفرد وإلى الجملة . وتقع بعد لدن « غدوة » فيجوز جر غدوة بالإضافة ، ويجوز نصبها على التمييز ، أو على أنها خبر كان المقدرة مع اسمها ، أي : لدن كان الوقت غدوة . والفرق بين لدن ولدى أن لدن لا تقع عمدة في الكلام ولدى تقع ، فلا يقال : لدنه علم ، ولكن يقال لديه علم .

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) ﴾

اللغة :

(الدأب) مصدر دأب في العمل من باب قطع إذا كدح فيه ، غلب استعماله في العادة والشأن ، ومنه قول امرىء القيس :

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أمّ الرباب بمأسل

الإعراب :

(كدأب آل فرعون) الكاف اسم بمعنى مثل في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير دأب هؤلاء كدأب من قبلهم . ولك أن تجعل الكاف حرف جر فيكون الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لذلك المبتدأ المحذوف . ويجوز نصب محل الكاف ومدخولها على المفعولية المطلقة أو الحال وقد تقدم كثيراً . وآل مضاف إليه وفرعون مضاف إليه أيضاً مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (والذين من قبلهم) الواو حرف عطف على آل فرعون والجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (كذبوا بآياتنا) فعل وفاعل وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بـكذبوا والجملة تفسيرية لا محل لها . ولك أن تعرب الواو استئنافية فيكون الذين مبتدأ خبره جملة كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) الفاء عاطفة وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل والجار والمجرور متعلقان بأخذهم فتكون الباء للسببية أو بمحذوف حال فتكون الباء للملابسة أي متلبسين بذنوبهم (والله شديد العقاب) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير العقاب والواو استئنافية والله مبتدأ وشديد العقاب خبره .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾

الإعراب :

(قل للذين كفروا) جملة مستأنفة مسوقة للرد على اليهود الذين

ركبوا رؤوسهم بعد موقعة بدر وقالوا للنبي صلى اللــه عليه وسلم الذي حاول حقناً لدمائهم أن يحذرهم من عواقب الغرور والطيش :لاتحسب أنّا أغماراًي غير مجربين على القتال • وقل فعل أمر وفاعله ضمــير مستتر يعود على النبي صلى اللــه عليه وسلم أي أنت • وللذين جار ومجرور متعلقان بقــل وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (ستغلبون) السين حرف استقبال وتغلبون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (وتحشرون) الواو حرف عطف وجملة تحشرون معطوفة على ستغلبون داخلة في حيز القول (إلى جهنم) الجار والمجرور متعلقان بيحشرون وجرت جهنم بالفتحة لأنها ممنوعــة من الصرف للعلمية والتانيث وسيأتي القول عنها في مكان آخر (وبئس المهــاد) الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها داخلة في حيز القول ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مسوقة لردعهم وتهويل جهنم لهم وبئس فعــل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل بئس والمخصوص بالذّم محذوف تقديره جهنم وإنما حذف لفهم المعنى • وفيــه تأييد لمذهب ســيبويه وهو إعراب المخصوص بالذّم أو المدح مبتدأ خبره الجمــلة قبله ، ومذهب غيره أنه خبر لمبتدأ محذوف ، ويرد عليه أنه يلزم من ذلك حذف الجملة برأسها من غير أن يبقى ما يدل عليها ، وذلك لا يجوز حتماً لأن حذف المفرد أهون من حذف الجملة •

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾

اللغة :

الفئة : الجماعة ولا واحد لها من لفظها وجمعها فئات وقد تجمع بالواو والنون جبراً لما نقص ، وإنما سميت الجماعة فئة لأنه يفاء إليها ، أي يرجع في وقت الشدة . وقال الزّجاج : الفئة : الفرقة ، مأخوذ من قولهم : فأوت رأسه بالسيف أي قطعته .

(العبرة) : الاتعاظ ، يقال منه : اعتبر ، وهو الاستدلال بشيء على شيء يشبهه ، واشتقاقها من العبور وهو مجاوزة الشيء إلى الشيء ، ومنه عبر النهر بفتح العين : وهو شطه ، والمعبر السفينة ، والعبارة يعبر بها إلى المخاطب بالمعاني ، وعبرت الرؤيا مخففاً ومثقلاً نقلت ما عندك من علمها إلى الرّائي أو غيره ممن يجهل ، وكان الاعتبار انتقالاً من منزلة الجهل إلى منزلة العلم ، ومنه العَبرة بفتح العين وهي الدمع لأنها تجاوز العين .

الإعراب :

(قد كان لكم آية) الجملة داخلة في حيز القول السابق أي قل لليهود : ستغلبون وقل لهم : قد كان وقيل : هي عامة وإن الخطاب لجميع الكفار فتكون مستأنفة أو لجميع المؤمنين ، والعبرة لا تختص بأحد ، وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وآية اسمها المؤخر (في فئتين التقتا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة التقتا صفة للفئتين والتاء تاء التأنيث الساكنة وحركت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين التي هي فاعل وقد كان ذلك اللقاء يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) فئة خبر لمبتدأ

محذوف أي إحداهما فئة ويجوز جر فئة عـلى البدلية من فئتين وهي إحدى القراءات وجملة تقاتل صفة لفئة وفي سبيل الله متعلقان بتقاتل (وأخرى كافرة) الواو عاطفة وأخرى عطف عـلى فئة وكافرة صفة فمن رفـع الأول رفعه ومن جر الأول جرّه (يرونهم مثليهم رأي العين) جملة يرونهم نعت للفئة التي تقاتل في سبيل الله وهم النبي وصحابته ، ويرونهم فعل وفاعل ومفعول به والرؤية بصرية أو بمثابتها لشدة الالتحام ومثليهم حال ورأي العين مفعول مطلق مؤكد لعامله (والله يؤيد بنصره من يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يؤيد خبر وبنصره متعلقان بيؤيد ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) الجملة مستأنفة مسوقة للحث على الاعتبار وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام المزحلقة وعبرة اسم إن المؤخر ولأولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعبرة وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والأبصار مضاف اليه .

البلاغـة :

انطوت هذه الآية على أرفـع الخصائص البيانية فمنها :

١ ــ الاحتباك وهو الحذف من كلامين متقابلين وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر ففي قوله تعالى : « فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة » حذف من الكلامين ، وتقديره : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان . فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ، وحذف من الثاني ما يفهم من الأول .

٢ ــ الكلام الموجه لأن المعنى إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره وإما أن يحتمل منه الشيء وغيره ، وتلك الغيرية إما أن تكون ضداً أو لا ، وهذه الآية احتملت معنيين متغايرين ؛ وتلك الغيرية ضد إذا احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد ، وليس هناك ما يرجح واحداً على الآخر لأن كلاً منهما يصح إطلاقه في الآية . وقد ورد في الحديث من التوجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وهذا يشتمل على معنيين متضادين أحدهما إن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت ، والآخر : أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ماشئت . وهذان معنيان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذمّ .

المتنبي والكلام الموجه

وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية واستغلها في مدائحه لكافور ، حاكم الأخشيد في مصر ، فقد كان مضطراً إلى مجاملته لتفادي المكروه إن جابهه بما يكنه من احتقار ، فجنح إليه في أماديح ليكون ظاهرها المديح وباطنها الهجاء ، فمن ذلك قوله فيه :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يحتمل معنيين ضدين أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم ، فيكون مدحاً . وكذلك أورده ليوهم كافوراً أنه يريد ذلك . وثانيهما أن المنعم يحسد المنعم عليه ليقرر حقيقة رسخت في هذا المخلوق الذي قذفت به المقادير ليكون ملكاً فهو ينعم على الآخرين ثم ما يلبث أن يحسدهم على ما نالوه من نعمائه . وهذا من أعجب ما اتفق

في الشعر ، وهو من خصائص هذا الشـاعر العجيب . وكثيراً ما كان يجنح أبو الطيب إلى هذا اللون من الشعر في أماديحه لكافور ، ومن ذلك قوله فيه من قصيدة مطلعها :

عدّوك مذموم بكل لسان ولـو كان مـن أعدائك القمران

ثـم قـال فيـه :

ولله سر في عـلاك وإنمـا كلام العـدا ضرب من الهـذيان
فما لك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طعـان بغـير سـنان

أي دع أعداءك يقولوا ما أرادوا ويحدسوا في الأسباب التي جعلت منك ملكاً فإن ذلك من أسرار الله في خلقه ، يرفع الوضيع ويغني البليد ويرزق الفدم الغبي ، ثم يقول له مخاطباً : إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظك وسعدك ، وهذا مما لا فضل فيه ، ويستوي فيه الفدم وغـير الفدم .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَـٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَـٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

اللغـة :

(القناطير) جمـع قنطار ، مأخوذ من قنطر الشيء إذا أحكه وهو هنا يعني المال الـكثير . والقنطـار يختلف مـع الأيـام والبلاد ، وقد اختلف علماء اللغة في نونه فقال فريق : إنها أصلية ، وإن وزنـه

فعلال كقرطاس ، وقيل : إنها زائدة وإن وزنه على فنعال • وقد خبط فيه صاحب المنجد خبطاً عجيباً • (المسومة) وصف للخيل أي المعلمة بعلامة تعرف بها ، والخيل فيه قولان : أحدهما أنه جمع لا واحد له من لفظه بل مفرده فرس ، والثاني أن واحده خائل فهو نظير راكب وركب وتاجر وتجر وطائر وطير ، وسيبويه يدرجه مع قوم ورهط ونساء ، ويجعله اسم جمع ، وغيره يجعله جمع تكسير • واشتقاق الخيل إما من الاختيال وهو العجب ، سميت بذلك لاختيالها في مشيتها ، والثاني من التخيل ، لأنها تتخيل في صورة هي أعظم منها •

(الأنعام) جمع َنعم بفتحتين ، والنعم اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو يذكر ويؤنث ، ويطلق على الابل والبقر والغنم • وسيرد المزيد من بحثه في سورة الأنعام •

(المآب) يصح أن يكون مصدراً صحيحاً أو اسماً للمكان أو الزمان ، وهو على كل حال مفعل بفتح العين من آب يئوب أي رجع ، وأصله مأوب ، فنقلت حركة الواو إلى الهمزة الساكنة قبلها فقلبت الواو ألفاً •

الإعراب :

(زين للناس حب الشهوات) كلام مستأنف لا محل له مسوق لبيان حقارة أعراض الدنيا • زين فعل ماض مبني للمجهول وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « زين » وحب الشهوات نائب فاعل (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة) من بيانية وهي مع مجرورها متعلقان بمحذوف حال والبنين : الواو عاطفة والبنين معطوف على النساء مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والمقنطرة صفة للقناطير

(من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) من بيانية أيضاً وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف حال وما بعده عطف عليه (ذلك متاع الحياة الدنيا) اسم الإشارة مبتدأ ومتاع الحياة خبر والدنيا صفة والجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان حقارة ذلك كله لأنه فانٍ لا يبقى (والله عنده حسن المآب) الواو استئنافية وما بعدها كـلام مستأنف مسوق للدلالة على أنه ليس فيما عدد من ظواهر النعمة خير ولا ينفع ، والله مبتدأ والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن المآب مبتدأ مؤخر والجملة الاسـمية خبر « الله » .

البلاغــة :

في الآية فن مراعاة النظير ، وهو أن يجمع الشاعر أو الناثر بين أمر وماناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المقابلة والمطابقة ، وقد جمع سبحانه في هذه الآية معظم وسائل النعيم الآيلة بالمرء إلى الانهماك في الفتنة والانسياق مـع دواعي النفوس الجموح ، وقد زينت للناس واستهوتهم بالتعاجيب والمفاتن ، ابتلاء لهم . وللمتكلمين مناظرات وجولات حـول تزيين هذه الشهوات ، والمزين لها ، ويشتجر الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال ، ممـا لا سبيل إلى ذكره لأنه خارج عن نطاق كتابنا ، ولكننا نجتزي بالإلماع إليه ، ليرجع من يشاء إلى المظان المعروفة .

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾

الإعراب :

(قل) : فعل أمر وفاعله أنت ، أي : يا محمد ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخير لما عند الله وأفضليته على شهوات الدنيا (أؤنبئكم بخير من ذلكم) الهمزة للاستفهام التقريري وأنبيء فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبخير جار ومجرور متعلقان بأنبئكم على أنه ناب مناب المفعول الثاني كما سيأتي في باب الفوائد ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بخير والإشارة إلى أنواع الشهوات الآنفة الذكر . وجملة الاستفهام في محل نصب مقول القول (للذين اتقوا عند ربهم جنات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجملة اتقوا لا محل لها لأنها صلة الموصول وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من جنات لأنه كان في الأصل صفة لها فلما تقدم عليها أعرب حالاً . وجنات مبتدأ مؤخر . ولك أن تعلق الظرف بما تعلق بـه « للذين » من الاستقرار لأنه من جملة الخير ، ولك أن تجعل الكلام موصولاً فلا تقف عند ذلكم وعندئذ يكون للذين نعتاً للخير وجنات خبر لمبتدأ محذوف (تجري من تحتها الأنهار) الجملة صفة لجنات والأنهار فاعل تجري ومن تحتها متعلقان بتجري (خالدين فيها) حال من الذين اتقوا وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (وأزواج مطهرة) أزواج عطف علىَ جنات ومطهرة نعت لأزواج (ورضوان من الله) عطف على جنات أيضاً (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير .

الفوائد :

(أنبأ ونبأ) فعلان يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل إذا كانا بمعنى العلم .

وأما في الآية فهو بمعنى الاخبار ، فيتعديان لاثنين فقط . والحقيقة أن الذي يتعدى لثلاثة مفاعيل فعلان ، وهما أرى وأعلم ، أما الخمسة الباقية وهي أخبر وخبّر وأنبأ ونبـأ وحدث فقـد ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، ومنه قول الحارث بـن حلزة اليشـكري :

إن منعتم ما تسألون فمن حـد ثتموه له علينـا العـلاء

فهو شاهد على أنه متعد لثلاثة مفاعيل ، فالتاء هي المفعول الأول والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع ضمة الميم والهاء هي المفعول الثاني وجملة له علينا العلاء جملة اسمية في موضع المفعول الثالث فافهم ذلك جيداً لأنه عزيز المنال . هذا وتستعمل هذه الأفعال الخمسة متعدية لواحد بأنفسها وإلى مضمون الثاني والثالث بالباء نحو حدثتك بأمر .

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٦) ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ (١٧) شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) ﴾

اللغـة :

(الأسحار) جمـع سحر كفرس وأفراس : أواخر الليل ، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء . والسّحر : وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفّس الصبح . واختلف أهل اللغة في تحديده بالضبط فقال الزّجاج وجماعته : إنه الوقت قبل طلوع الفجر ، وقال الرّاغب في مفرداته :

السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ، ثم جعل اسماً لذلك الوقت . وأما السَّحر بسكونه فهو منتهى قصبة الحلقوم . ومنه قول عائشة رضي اللـه عنها : « قبض رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بين سَحري ونحري » . ومن مجاز العرب قولهم : انتفخت مساحره ، إذا ملّ وجبن .

(القسط) : العدل . يقال أقسط أي عدل ، وقسط أي جار ، فهو مدح في الرباعي وذم في الثلاثي .

الإعراب :

(الذين يقولون) اسم الموصول يجوز فيه الرفع على إنه خبر لمبتدأ محذوف أي : هم الذين ، والنصب على المدح بفعل محذوف أي أمدح الذين ، والجرّ على أنه بدل من اسم الموصول في الآية السابقة أو نعت له يقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة (ربنا إننا آمنا) الجملة مقول القول وربنا منادى محذوف منه حرف النداء ، وإن واسمها وجملة آمنا خبرها (فاغفر لنا ذنوبنا) الفاء للتعليل ، لأن الإيمان علة الغفران واغفر فعل أمر للدعاء ولنا متعلقان به وذنوبنا مفعول به (وقنا عذاب النار) الواو حرف عطف وقِ فعل أمر للدعاء مبني على حذف حرف العلة وحذفت واو المثال كما هي القاعدة ، والفاعل أنت ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) الصابرين منصوب على المدح بفعل محذوف وما بعده عطف عليه ، وهي في الأصل صفات قطعت عن الوصفية بتوسط واو العطف بينها للدلالة على انفرادهم بأنواع الكمالات كما سيأتي في باب البلاغة والجملة استئنافية (شهد الله) فعل وفاعل والجملة مستأنفة

مسوقة لتعداد أصول الدين وفضائله وقد وردت فيها أحاديث كثيرة (أنه لا إله إلا هو) أن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض أي بأنه ، والجار وما بعده متعلقان بشهد وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة فجدد به عهداً (والملائكة وأولو العلم) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله وأولو العلم عطف أيضاً . ورفع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (قائماً بالقسط) حال لازمة من الله أو من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا ، ولعله أولى . وجاز مجيء الحال بعد معطوفين لأمن الالتباس ، فلو لم يؤمن الالتباس لم يجز مجيء الحال ، نحو جاء عليّ وخالد ضاحكاً لعدم العلم بمن هو الضاحك . وواضح أن القيام بالقسط من خصائص الله تعالى فيكون بمثابة التتمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات . وهنا بحث هام سيأتي في باب الفوائد (لا إله إلا هو) تقدم إعرابها (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو ولك أن تعربهما بدلين من « هو » .

البلاغة :

١ ــ في دخول الواو على الصفات مع أن الموصوف واحد تفخيم للموصوف لأنه إيذان بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف ثم إن الموصوف ليس واحداً كما يبدو للنظرة العجلى .

٢ ــ وفي الآية الأخيرة رد العجز على الصدر ، فقد رد « العزيز » إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة ، ورد « الحكيم » إلى العدل الذي هو القسط ، فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف .

الفوائد :

١ ــ المثال الذي فاؤه حرف علة إذا بني منه فعل أمر حذفت واوه

أو ياؤه ، فتقول في وعد : عِدْ فإذا كان لفيفاً مفروقاً أي إذا كانت فاؤه ولامه حرفي علة أصبح على حرف واحد لأن الحرفين يحذفان ، فتقول في وعي : عِ ، وفي وقى قِ وفي وفى فِ وفي وأى إِ وعلى هذا يتخرج اللغز المشهور الذي يتندر به صغار المعربين وهو :

إن هندُ المليحةُ الحسناءَ وأي من أضمرت لخل وفاء

وإيضاحه كما يلي : إن : فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون نون التوكيد الثقيلة ، ومعنى إِ : عد ، وفعله وأى ، أي عدي يا هند وعد امرأة أضمرت الوفاء لخلها . وهند منادى مفرد علم محذوف منه حرف النداء مبني على الضم والمليحة نعت على اللفظ والحسناء نعت ثان لهند على المعنى ووأي مفعول مطلق . وإنما نبهنا إلى إعرابه لنبين أن للنحاة المتأخرين أموراً متكلفة يجدر بنا اجتنابها لأنها تفسد الذوق وتعطل الملكة الفنية وهي أشبه بالألاعيب .

٣ ـ الأصل في الحال أن تكون متنقلة لا ثابته ، وتقع وصفاً ثابتاً في ثلاث مسائل :

آ ـ أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها ، نحو : زيد أبوك عطوفاً ، فإن الأبوة من شأنها العطف ، وذلك مستفاد من مضمون الجملة . أو لعاملها نحو « ويوم أبعث حياً » فإن البعث من لازمه الحياة فمعناها مستفاد من دون ذكرها .

ب ـ أن يدل عاملها على تجديد ذات صاحبها وحدوثه أو تجدد صفة له ، فالأول نحو قولهم : « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها » فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل ، وأطول حال ملازمة من يديها ومن رجليها متعلقان بأطول لأنه اسم تفضيل ، وعامل الحال خلق ،

والثاني نحو قوله تعالى « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » فالكتاب قديم والإنزال حادث ، أي محدث النزول لا الوجود .

جـ ـ أن يكون مرجعها إلى السماع نحو « قائماً بالقسط » . على أن بعضهم أعرب « قائماً » بأنه نصب على المدح كما في قول امرىء القيس :

إذا قلت : هاتي نوليني تمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل

فهضيم نصب بتقدير أمدح لا حال ، لأنها صفة لازمة . بقي الاعتذار عن جهة تأخيره عن المعطوفين فقال التفتازاني كأنها للدلالة على علو مرتبتهما ، أي الملائكة وأولي العلم حيث قرنا به تعالى من غير فاصل ، فتنبه لهذا الفصل ، فله على الفصول الفضل .

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

الإعراب :

(إن الدين عند الله الإسلام) الجملة مستأنفة مؤكدة للأولى وإن واسمها ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والإسلام خبر إن . وقد اعترض أبو البقاء على مجيء الحال بعد إن ، وهو اعتراض مردود ، لأنهم جوزوا في « ليت » وفي « كأن » وفي هاء التنبيه أن تعمل في الحال ، لما تضمنت هذه الأحرف من معاني التمني والتشبيه والتنبيه ، وإن للتأكيد فلتعمل في الحال أيضاً فلا تتقاعد عن « ها »

التي للتنبيه ، بل هي أولى منها ، وذلك أنها عاملة ، و « ها » التي للتنبيه ليست عاملة فهي أقرب لشبه الفعل من « ها » ، ولك أن تجعلها حالاً من الدين أي كائناً وثابتاً عند الله . والاسلام خبر إن (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الاختلاف وما نافية واختلف الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا صلة الموصول وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهو المفعول الأول والكتاب مفعول به ثان (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا أداة حصر ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلف وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة أي من بعد مجيء العلم لهم وجاءهم فعل ومفعول به والعلم فاعله (بغياً بينهم) مفعول لأجله وبينهم ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة (ومن يكفر بآيات الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويكفر فعل الشرط وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيكفر (فإن الله سريع الحساب) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وسريع الحساب خبرها والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من المبالغات في ذم اليهود ، وذلك على النحو التالي :

آ ــ وصفهم بأنهم أهل الكتاب ، والاختلاف بحد ذاته قبيح ، ولكنه بعد إتيان الكتاب والعلم بنواجمه أقبح .

ب ــ ثم ترقى في المبالغة فوصفهم بأنهم بعد أن أوتوا كتاباً

جاءهم علم آخر يوضح لهم طريق الصواب ، ولكن طبيعة اللجاج المركوزة في نفوسهم أبت إلا التمادي في الضلال وركوب متن الشطط فكان القبح أزيد .

جـ - ثم ترقى مرة أخرى في المبالغة فجعل الاختلاف بعد ظهور العلم لديهم مرتين متتاليتين لم يكن إلا بغياً منهم وهذا ما تعالمه الناس منهم واشتهروا به إلى اليوم ، وبذلك استوفت المبالغة غايتها فسبحان المتفرّد بالبيان .

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

اللغة :

(حاجوك) : خاصموك يقال : حاجّه حِجاجاً ومُحاجّة أي خاصمه وجادله .

الإعراب

(فإن حاجوك فقل) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتضيق الخناق على اليهود الذين أخذوا يحرجون النبي فيكيدون له وإن شرطية وحاجوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به والفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (أسلمت وجهي

لله) الجملة في محل نصب مقول القول وأسلمت فعل وفاعل ووجهي مفعول به والجار والمجرور متعلقان بأسلمت (ومن اتبعن) الواو للعطف أو للمعية ومن اسم موصول معطوف على التاء في أسلمت أو مفعول معه وجملة اتبعن صلة الموصول ، والنون للوقاية وقد حذفت ياء المتكلم وقفاً ووصلاً موافقة للرسم . والذي حسن ذلك أنها فاصلة ورأس آية . وسيرد أمثالها مثل أكرمن وأهانن . وقال بعض النحاة : حذفت مع نون الوقاية خاصة ، فإن لم تكن هناك نون فالكثير إثباتها . على أن هذه الياء أثبتت في بعض القراءات السبع .

(وقل للذين أوتوا الكتاب) الواو عاطفة وقل فعل أمر وللذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة أوتوا الكتاب صلة والواو نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (والأميين) عطف على الذين أوتوا الكتاب وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ، والمراد بهم مشركو العرب ، وإن كانوا يكتبون ويقرؤون ، لأنه لم ينزل عليهم كتاب بعد (أأسلمتم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ومعنى الاستفهام التنديد والتعبير كما سيأتي في البلاغة (فإن أسلموا فقد اهتدوا) الفاء استئنافية وإن شرطية وأسلموا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق واهتدوا فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة المقترنة في محل جزم جواب الشرط (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) الجملة معطوفة على الجملة الأولى وإنما كافة ومكفوفة وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والبلاغ مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب

الشرط (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ بصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله : أسلمت وجهي تعبيراً عن الكل بأشرف أعضائه وهو الوجه ، والعلاقة هنا الكلية .

٢ ـ الاستفهام في قوله : « أأسلمتم » معناه التنديد والتعيير ، كأنما قد أفرغ جهده في مناصحتهم ، ولم يترك وسيلة إلا تشبث بها لإفهامهم ، ولكنهم لم يفهموا . وفي هذا الضرب من الاستفهام استركاك لعقولهم وامتهان لأفهامهم ، فكأنما أصبحت الحجج عندهم كلا حجج . وأصبحت البراهين أضيع ما يكون لديهم ، فلم يبق أمامه سوى أن يسألهم منددأ : أأسلمتم بعد هذا كله ؟ أم لا يجدي الضرب على الحديد البارد ؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

اللغة :

(حبطت) : ذهبت سدى وفسدت ، وهو من مجاز اللغة . والأصل في الحبوط أو الحبط بالسكون أن تأكل الماشية خضرة فتستوبلها وتهلك . ومنه حبط دم القتيل بكسر الباء أي هدر وبطل .

الإعراب :

(إن الذين يكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قتل آباؤهم الأنبياء من قبل ، وهم اليوم يحاولون التشبه بآبائهم الأولين ، ويرضون بفعلهم ، فيتحينون الفرص لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أحبط أعمالهم . وإن واسمها ، وجملة يكفرون صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون النبيين بغير حق) الواو عاطفة ويقتلون فعل مضارع معطوف على يكفرون والنبيين مفعول به منصوب بالياء وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي ظالمين ، وإنما قيد القتل . وقتل النبيين لا يكون إلا كذلك ، زيادة في التشنيع عليهم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) عطف على ما تقدم ومن الناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنين منهم (فبشرهم بعذاب أليم) الفاء واقعة في جواب الموصول لما فيه من رائحة الشرط ، ودخول إن على الموصول لا يؤثر في خبريته فالجملة خبر إن لأن المعنى لم يتغير بل ازداد تأكيداً وذلك شائع في القرآن وفي الشعر العربي ، قال :

فوالله ما فارقتكم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

ولكن إذا دخلت ليت أو لعل على « الذي » امتنع دخول الفاء لنسخ الخبرية ، وتحول الكلام إلى إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب كما هو مقرر في علم المعاني ، وسيأتي في باب الفوائد بحث هام في أسرار الحروف . وبشرهم فعل أمر والهاء مفعول به والفاعل أنت وبعذاب متعلقان ببشرهم وأليم صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل رفع خبر إن

(أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) الجملة مفسرة للذين يقتلون لا محل لها وأولئك مبتدأ والذين خبر وجملة حبطت أعمالهم صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بحبطت (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد لفظاً وناصرين مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

جرى النحاة والمعربون على القول بزيادة بعض الحروف ، ولا يعنون بزيادتها أنها جاءت لغواً أو عبثاً وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد ولكننا نريد أن نميط اللثام عن شيء غفل عنه هؤلاء جميعاً ، ورددوه وهم لا يكتنهون فحواه حتى صار من المقولات البديهية ، وقد مر بك حتى الآن وسيمر معك الكثير من الأحرف التي قالوا بزيادتها ، ومع ذلك قصروا عملها على الشكل دون المعنى ، فقوله : « وما لهم من ناصرين » لا غنى عن إيراد « من » الزائدة لفظاً فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب ، و « من » هي التي نقلته من أصل وضعه الأول إلى دلالة النفي البات والإنكار الحاسم ، وسيطالع القارىء في كتابنا ما يذهله من أسرار هذه الحروف التي يمر النحاة بها مروراً سريعاً ، فهم يقولون بزيادتها ويتركون الطالب في مهامة الحيرة ، لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

﴿قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الإعراب :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق للتعجب من حالهم وسوء صنيعهم والهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل أنت وإلى الذين متعلقان بـ « تر » والرؤية هنا بصرية ، وجملة أوتوا صلة الموصول والواو نائب فاعل ونصيباً مفعول به ثان ومن الكتاب متعلقان بمحذوف صفة لنصيباً (يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم) جملة يدعون حالية ويدعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلى كتاب الله جار ومجرور متعلقان بيدعون وليحكم اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيدعون وبينهم ظرف مكان متعلق بيحكم (ثم يتولّى فريق منهم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ويتولى فعل مضارع مرفوع والفريق فاعل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة (وهم معرضون) الواو حالية وهم مبتدأ ومعرضون خبر والجملة في محل نصب على الحال (ذلك بأنهم قالوا) ذلك مبتدأ والجملة استئنافية والإشارة إلى التولي عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وبأنهم الباء حرف جر وإن مع مدخولها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أي ذلك التولّي بسبب قولهم وجملة قالوا خبر إن (لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودات)

الجملة في محل نصب مقول قولهم ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتمسنا فعل مضارع منصوب بلن ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول بـه والنار فاعل تمسنا وإلا أداة حصر وأياماً ظرف متعلق بتمسنا ومعدودات صفة وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) الواو عاطفة وغرهم فعل ومفعول بـه وفي دينهم متعلقان بغرهم وما اسم موصول في محل رفع فاعل وجملة كانوا يفترون صلة الموصول وكان واسمها وجملة يفترون خبرها .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾

اللغة :

(تولج) تدخل ، من أولج الشيء أدخله . وولج يلج من باب وعد ولوجاً ، ولجة : دخل .

الإعراب :

(فكيف إذا جمعناهم) هذا التركيب من المشكلات ويتلخص من الأوجه التي أوردها المعربون ، وجهان جديران بالاعتبار :

١ ـ كيف اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره حالهم ، وتكون جملة قائمة بذاتها ، وكيف عندئذ لا يستغنى عنها . كما مر في قاعدة كيف .

٢ ـ كيف اسم استفهام في محل نصب حال من فعل محذوف هو جواب إذا ، أي استقرت . وإذا على الوجه الأول متعلقة بالاستقرار الذي تعلقت به « كيف » و « إذا » غير متضمنة معنى الشرط ، بل هي للظرفية المحضة ، وعلى الوجه الثاني هي ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلقة بالجواب المحذوف وهو استقرت . وعلى هذا الوجه يتخرج البيت المشهور :

أشوقاً ولمّا يمض لي غير ليلة   فكيف إذا جد المطي بنا عشرا

وقد رجح ابن هشام وأبو البقاء الحالية . ونحن نرى الوجه الأول أبعد عن التكلف ، لأننا لا نرى أثراً للشرطية في « إذا » بهذا التركيب العجيب ، فتأمل . وجملة جمعناهم في جر بالإضافة والفاء الداخلة على كيف استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإبطال ما غرهم ولتهويل ما سيحيق بهم من الأهوال (ليوم لا ريب فيه) الجار والمجرور متعلقان بجمعناهم ولا نافية للجنس وريب اسمها مبني على الفتح في محل نصب وفيه متعلقان بمحذوف خبرها وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (ووفيت كلّ نفس ما كسبت) الواو عاطفة ووفيت فعل ماض مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول مفعول بـه وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو حالية وهم مبتدأ ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة لا يظلمون في محل رفع خبرهم والجملة الإسمية المقترنة بالواو في محل نصب على الحال (قل اللهم مالك الملك) كلام مستأنف مسوق للرد

على المنافقين الذين لم يصدقوا قوله : إن أمتي ظاهرة . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واللهم : منادى مفرد علم والميم المشددة عوض عن « يا » لا محل لها ومالك الملك منادى ثان حذف منه حرف النداء أي يا مالك الملك ، وإنما لم يجعل نعتاً لأن الميم المشددة تمنع التبعية كما قرر سيبويه إذ قال : « إن الميم أخرجت هذه اللفظة عن نظائرها من الأسماء » . قال ابن يعيش : « واعلم أن سيبويه لايرى نعت « اللهم » لأنه لفظ لا يقع إلا في النداء ، فهو لا ينعت » . وخالفه أبو العباس المبرد واستدل بقوله تعالى : « اللهم فاطر السموات والأرض » .فسيبويه يحمل فاطر السموات على أنه نداء ثان لا نعت ، وقال المبرد : إن الميم بدل من « يا » والمنادى مع « يا » لا يمتنع وصفه ، فكذا مع ما هو عوض عنها (تؤتي الملك من تشاء) لك أن تجعل هذه الجملة حالية من المنادى لأنه بمثابة المفعول به وتؤتي فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت والملك مفعول به أول ومن اسم موصول مفعول به ثان وجملة تشاء صلة الموصول (وتنزع الملك ممن تشاء) عطف على ما تقدم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) عطف أيضاً (بيدك الخير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والخير مبتدأ مؤخر والجملة حالية أيضاً (إنك على كل شيء قدير) جملة مستأنفة بمثابة التعليل لما تقدم (تولج الليل في النهار) الجملة حالية أيضاً (وتولج النهار في الليل) عطف على الجملة الآنفة (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) عطف أيضاً (وترزق من تشاء بغير حساب) عطف أيضاً ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة تشاء صلة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ترزق .

البلاغـة :

١ ـ الاستعارة التصريحية إذ أراد بالحي والميت المسلم والكافر ،

فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به • وإذا أراد النطفة والبيضة كان الكلام جارياً على جانب الحقيقة ، لا على جانب المجاز •

٢ ـ الاكتفاء في قوله : « بيدك الخير » فاقتصر على الخير من باب الاكتفاء بالمقابل أي والشر ، كقوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » أي والبرد ، ولأن الخير هو المرغوب فيه •

٣ ـ المقابلة فقد طابق بين « تؤتي وتنزع » وبين « تعز وتذل » وبين « الليل والنهار » وبين « الحي والميت » •

٤ ـ وخرج بالاستفهام عن معناه الحقيقي بقوله : « فكيف » إلى معنى التهويل واستفظاع ما أعد الله لهم في يوم عصيب تحار فيه الأبصار والبصائر ، وتشخص فيه القلوب والضمائر •

الفوائــد :

(اللهم) قد تخرج عند النداء المحض فيكون لها معنيان :

آ ـ أن يذكرها المجيب تمكيناً للجواب في نفس السامع ، فإذا حدثك أحد بشيء قلت : اللهم نعم •

ب ـ أن تستعمل للدلالة على الندرة وقلة وقوع المذكور معها ، كقولك لمن كان متكاسلاً : إنك ناجح اللهم ، إن بذلت مجهوداً أكبر ، وقد علمت أنه غير باذل أي مجهود ، أو إن ذلك مستبعد منه ، وعلى هذا يخطىء كتابنا في استعمالها قبل إلا •

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

اللغـة :

(تقاة) أصلها وقية بضم الواو ، فأبدلت الواو تاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ، فهي مصدر تقية كرمية •

الإعراب :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) كلام مستأنف مسوق للنهي عن موالاتهم ، كما نشاهد اليوم • ولا ناهية يتخذ فعل مضارع مجزوم بلا ، المؤمنون فاعل والكافرين مفعول به أول وأولياء مفعول به ثان ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من الفاعل ، أي : حال كون المؤمنين متجاوزين موالاة المؤمنين ، أو من المفعول أي حال كون الكافرين ناصرين من دون المؤمنين (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) الواو اعتراضية والجملة كلها اعتراضية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويفعل فعل الشرط مجزوم وذلك اسم اشارة في محل نصب مفعول به الفاء رابطة لجواب الشرط وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على « من » • ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة الشيء فلما تقدم أعرب حالاً ، وفي شيء : متعلقان بمحذوف خبر ليس (إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله ، والمعنى لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لأمر من الأمور إلا للتقية ، ومنهم متعلقان بتتقوا ، وتقاة منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى تتقوا اتقاء ، والمصادر يتناوب بعضها بعضاً ، ويجوز أن يكون مفعولاً به على تضمين « تتقوا » معنى الخوف أي إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب إتقاؤه (ويحذركم الله نفسه) الواو

استئنافية ويحذركم فعل مضارع والكاف مفعول به والله فاعل ونفسه مفعول به ثان ليحذركم لأنه في الأصل يتعدى لواحد فازداد بالتضعيف آخر (وإلى الله المصير) الواو استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر .

البلاغة :

أ ــ في هذه الآية التفات بديع من الغيبة إلى الخطاب ، ولو جرى على سنن الكلام لقال : إلا أن يتقوا . ولكنه عدل عن الغيبة والخطاب لسر كأنه أخذة السحر ، فإن موالاة الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان أمر مستسمج مستقبح . ينكره الطبع ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء ، فجاء به غائباً كأنه يرسم لهم خطاً بيانيا .

على أن هذا إنما يكون فيما لا ضرر فيه ، ولكن التآمر على الكيان ، وسلامة أرواح المؤمنين ، ولكن التقية لا تجوز مع الأعداء الذين لا هم لهم سوى اغتصاب الأرض وامتصاص الطاقات فهؤلاء لا تسوغ معهم مهادنة ، ولا يجوز بحال عقد أي عهد معهم ، لأنهم لا يعتمون أن ينقضوه . وقد يستغلونه للانقضاض على من اطمأنوا اليهم وركنوا إلى عهودهم ، على حد قولي :

أيّ شأن العهود قطعت ثم أضحت ترهات بعد حين
لا تغرنك قصاصات غدت شركاً ينصب للمستضعفين

حذار من العدو ــ لمحة تاريخية :

وهنا يجدر بنا أن نأتي على ما يرويه التاريخ بصدد نزول هذه

الآية ، فقد روي أن جماعة من المسلمين كانوا يوادّون اليهود ، فأنزل الله هذه الآية ، ناهياً عن الاسترسال في ذلك . وقيل : إنّ عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود ، فقال يوم الأحزاب : يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو . فنزلت هذه الآية ، إذ لا تتفق موالاة الوليّ وموالاة العدو في وقت واحد قال :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النّوك عنك بعازب

٢ ـ المشاكلة في قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » . وإطلاق ذلك عليه سبحانه وتعالى جائز في المشاكلة كقوله أيضاً : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » . وقيل : الكلام مجاز مرسل معناه : ويحذركم الله عقابه ، مثل « واسأل القرية » مجاز مرسل ، فجعلت النفس في موضع الإضمار ، وفي ذلك تهديد شديد وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه .

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾

الإعراب :

(قل : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) كلام مستأنف مسوق ليكون بياناً لقوله : « ويحذركم الله نفسه » وقل فعل أمر فاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وتخفوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وفي صدوركم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ،

وأو حرف عطف وتبدوه معطوف على تخفوا وجملة الشرط وجوابه الآتي في محل نصب مقول القول (يعلمه الله) جواب الشرط والهاء مفعول به والله فاعل (ويعلم ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو يعود على الله ، وإنما جيء به مستأنفاً لا معطوفاً لأن علم الله تعالى غير متوقف على شرط ، فهو من باب ذكر العام بعد الخاص • والأحسن أن يقدر مبتدأ محذوف فتكون جملة « يعلم » خبره والتقدير : وهو يعلم ، والجملة بعد الواو مستأنفة لا محل لها ، وما مفعول به وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما ، وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بمحذوف بقدير وقدير خبر الله •

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٣٠) ﴾

اللغة :

(الأمد) : الغاية والمنتهى ، والفرق بينه وبين الأبد أن الأمد مدة من الزمن محدودة ، وإن يكن الحدّ مجهولاً ، أما الأبد فهو مدة من الزمن غير محدودة •

الإعراب :

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) يوم ظرف متعلق تقديره :

« اذكر » وجملة تجد في محل جر بالإضافة ، « وتجد » يجوز أن تكون بمعنى تصادف وتصيب فتتعدى نواحد ويجوز أن تكون بمعنى تعلم فتتعدى لاثنين ، وكل نفس فاعل تجد وما اسم موصول مفعول به وجملة عملت صلة والعائد محذوف أي عملته ومن خير متعلقان بمحذوف حال ومحضراً حال على الأول ومفعول به ثان على الثاني ، والجملة كلها مستأنفة لا محل لها (وما عملت من سوء) الواو استئنافية وما اسم موصول مبتدأ وجملة عملت صلة ومن سوء متعلقان بمحذوف حال (تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) جملة تود خبر ما ولو الواقعة بعد تود مصدرية،ولكن يشكل هنا دخول الحرف على مثله، فالأولى أن تبقى شرطية وأن حرف مشبه بالفعل مصدري وبينها ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لأنّ وبينه عطف على الظرف . ويكون جواب « لو » محذوفاً تقديره : لفرحت واطمأنت ، وأن وما بعدها في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره ثابت ، أو فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت . ويلاحظ عندئذ أن المحذوفات كثرت ، فقد حذف مفعول تود وجواب لو وخبر أن أو فعل الفاعل ، ولذلك كان اعتبارها مصدرية أسهل لولا المانع الفني وهو دخول الحرف المصدري على حرف مصدري مماثل (ويحذركم الله نفسه) تقدم إعرابها قريباً وكررها ليكون الخوف من الله نصب أعينهم (والله رؤوف بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ ورؤوف خبره وبالعباد جار ومجرور متعلقان برؤوف .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

الإعـراب :

(قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) كلام مستأنف مسوق لبيان معنى محبة الله ، وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء إسمها وجملة تحبون الله خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط واتبعوني فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملة إن كنتم مقول القول (يحببكم) جواب الطلب مجزوم والكاف مفعول به (الله) فاعل (ويغفر لكم ذنوبكم) عطف على يحببكم (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور رحيم خبران للمبتدأ (قل أطيعوا الله والرسول) كلام مستأنف أيضاً وجملة أطيعوا في محل نصب مقول القول (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) الفاء استئنافية وإن شرطية وتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين وهو فعل الشرط والجملة لا محل لها . ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً مسنداً لضمير الغيبة ، فيكون من باب الالتفات من المخاطب إلى الغائب والجملة في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة لا يحب الكافرين خبرها وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط .

البلاغـة :

المجاز المرسل في حب العباد لله تعالى وحبه لهم والعلاقة ما يكون . فأما حبهم له فالمراد ما تئول إليه المحبة من اختصاصه بالعبادة دون غيره ، وأما حبه لهم فالمراد منه ما يئول إليه من الرضا عنهم والغفران لذنوبهم . وهذه لمحة لا مندوحة عن إيرادها عن الحب :

الحب عند الفلاسفة : أما الفلاسفة فيفررون كما يتحدث عنهم سويدنبرغ السويدي أن الحب هو حياة الإنسان ، وأن الله وحده هو عين الحب ، لأنه هو عين الحياة . فالمحبة لغة ــ ميل المتصف بها إلى أمر ملذّ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس كلذة الذوق في الطّعوم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة الشم في الروائح العطرية ولذة السمع في النغمات الحسنة وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها . وإذا تفاوتت البواعث ، فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق ، وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات .

الحب عند المتصوفة : أما المتصوفة فهم يقولون : إن الحب هو سكر المشاهدة وشجاعة الباذل وإيمان الولي والأصل الأصيل للتحقق الخلقي والإدراك الروحي . قال الثوري لرابعة العدوية : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه . وأنشدت :

أحبك حبين : حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

والكلام يطول فحسبنا ما تقدم .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾

اللغــة :

(نوح) علم أعجمي لا اشتقاق له ، وقيل : إنه مشتق من النوح وهو منصرف على كل حال ، لأنه علم أعجمي ثلاثي ســاكن الوسط (عمران) علم أعجمي أيضاً ممنوع مــن الصرف وإن قيل إنــه عبري مشتق من العمر فهو ممنوع للعلمية وزيادة الألف والنون •

الإعــراب :

(إن الله اصطفى آدم ونوحاً) إن واسمها ، وجملة اصطفى آدم ونوحاً خبر (وآل ابراهيم وآل عمران) عطف على آدم (على العالمين) الجار والمجرور متعلقان باصطفى والجملة استئنافية (ذرية بعضها من بعض) ذرية : بدل من آدم ومن عطف عليه ، أو من الآلين أي أن الآلين ذرية واحدة ، ويجوز نصبها على الحال والعامل فيه « اصطفى » • وبعضها مبتدأ ومن بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة صفة لــذرية (والله ســميع عليم) الواو اســتئنافية واللــه مبتدأ وســميع عليم خبران لــه •

البلاغــة :

١ ــ في الآية فن التوشيح ، وهو كما يقول قدامة في نقد الشعر : أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية ، إن كان شعراً أو السجع إن كان نثراً • فإن معنى اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه الفاصلة ، لأن المذكورين صنف مندرج في العالمين •

وفي هذه الآية أيضاً فن براعة التخلص ، فإنه سبحانه وتعالى وطّأ

بهذه الآية إلى سياق خبر ميلاد المسيح عليه السلام ، فقد خلص إلى ذكر امرأة عمران ليسوق قصة حملها بمريم وكفالة زكريا لها ، وذكر ولده يحيى ، وقصة حمل مريم بالمسيح ، وما تخلل ذلك من آيات باهرات ، وعبر بالغات .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

اللغــة :

(محرراً) معتقاً خالصاً لخدمة بيت المقدس . روي أن حنة ــ وهو اسمها ــ كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة وريف بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته ، فقالت : اللهم إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً لأتصدقن به على بيت المقدس فيكون من سدنته . فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل بمريم .

الإعــراب :

(إذ قالت امرأة عمران) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وتكون الجملة مستأنفاً مسوقة لتقرير اصطفاء آل عمران ، وجملة قالت امرأة عمران في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلقه بعضهم بقوله :

سـميع عليم وليس ثمة ما يمنع ذلك (رب إني نذرت لك ما في بطني محرّراً) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة عليها ، وإن واسمها ، وجملة نذرت خبرها وجملة إني نذرت مقول القول ولك متعلقان بنذرت وما اسم موصول مفعول به وفي بطني متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ومحرراً حال من « ما » (فتقبل مني) الفاء استئنافية وتقبل فعل أمر وفاعله أنت ومني متعلقان بتقبل (إنك أنت السميع العليم) إن واسمها ، وأنت مبتدأ أو ضمير فصل لا محل له والسميع العليم خبران لأنت والجملة الاسمية خبر لإن ، أو خبران لان وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينيه أو حرف للربط ووضعتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة قالت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها ، وجملة وضعتها خبر إن وأنثى حال مؤكدة أو مبنية وسيأتي الفرق بينهما وجملة النداء مقول القول (والله أعلم بما وضعت) الواو اعتراضية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة وضعت لا محل لها لأنها صلة ما (وليس الذكر كالأنثى) الواو عاطفة وليس فعل ماض ناقص والذكر اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسمية وهي الخبر والأنثى مضاف إليه (وإني سميتها مريم) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة « اني وضعتها » ، وإن واسمها ، وجملة سـميتها خبرها ، والهاء مفعول سميت الأول ومريم مفعوله الثاني (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) الواو عاطفة أيضاً والجملة معطوفة على جملة « إني سميتها » وإن واسمها ، وجملة أعيذها خبر إن والهاء مفعول به وبك متعلقان بأعيذها وذريتها عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الشيطان متعلقان بأعيذها والرجيم صفة للشيطان .

البلاغـة :

١ ـ فائدة الخبر في قوله : « إني وضعتها » للتحسر ، وليس مرادها الإخبار بمفهومه ، لأن الله عالم بما وضعت بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها والوفاء بما التزمت به والاعتذار حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته .

٢ ـ تكررت إن أربع مرات ، وفي الثلاث الأولى كان خبرها فعلاً ماضياً ، وفي المرة الرابعة عدلت عن الماضي إلى المضارع ، فقالت : أعيذها ، لنكتة بلاغية ، وهي ديمومة الاستعاذة وتجددها دون انقطاع بخلاف الأخبار السابقة فإنها انقطعت .

٣ ـ المراد بالخبر في قوله تعالى حكاية عن نفسه : « والله أعلم بما وضعت » لازم الفائدة ، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود الذي لم تأبه له بادىء الأمر ، وهي جاهـلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام .

٤ ـ المراد بالخبر في قوله : « وليس الذكر كالأنثى » نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد ، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى ، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة ، فإن الغيب أعمق غوراً من أن يسبروه ، وأبعد منالاً من أن يدركوه ، وكم من النساء من فاقت الرجال وأربت عليهم في الدرجات وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذا المعنى البديع بقوله :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النســاء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التــذكير فخر للهـلال

٥ ـ الإطناب في قوله تعالى : « وإني سميتها مريم » والغرض من التصريح بالتسمية التقرب إلى الله والازدلاف إليه بخدمة بيت المقدس

أولاً ، ورجاء عصمتها ثانياً ، فإن مريم في لغتهم العابدة ، واظهاراً لعزمها على الوفاء بوعدها ثالثاً أي : إنها وإن لم تكن خليقة بالسدانة فأرجو أن تكون من العابدات المطيعات . وقد أهمل صاحب المنجد الإشارة إلى ذلك في كتابة « المنجد » .

الفوائد :

تنقسم الحال إلى مبينة أو مؤسسة ، وهي التي لا يستفاد معناها من دون ذكرها ، كجاء علي" راكباً إذ لايستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً. ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها من دون ذكرها ، وهي إما مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى نحو « وأرسلناك للناس رسولاً » و « فتبسم ضاحكاً » وإما مؤكدة لصاحبها نحو «لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» فجميعاً حال من فاعل آمن ، وهو « من » الموصولة ، مؤكدة لها ، وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو : « هو الحق بيناً » ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي   وهل بدارة ياللناس من عار

فإن جعلت « أنثى » حالاً من الضمير كانت مؤكدة ، وإن جعلتها حالاً من « النسمة والنفس » المفهومة من سياق الكلام كانت مبينة .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

اللغـة :

(كفلها) بتشديد الفاء أي ضمنه إياها وضمها إليه وجعلها كافلاً لها وضامناً لمصالحها . ويؤيد هذا المعنى قراءة « وأكفلها » بوصفه زوج خالتها وذلك عن طريق الاقتراع .

(المحراب) والمحرب آلة الحرب ، وهذا هو القياس الصّرفي . ولكن المحراب له معان مستقلة ليست داخلة في القياس الاشتقاقي ، فمن معانيه صدر البيت وأكرم مواضعه ، وصدر المجلس ، ومأوى الأسد ، ومحراب المسجد . ويرى علماء اللغة أن محراب المسجد سمي بذلك لأن المتعبد فيه يحارب الشيطان ، ولذلك يقال : لكل محل من محال العبادة محراب ، والباحث يحار ويدهش في أمر هذه اللغة الشريفة كيف تطورت ؟ ما هي تفاعلات الزمن التي أسهمت في هذا التطور ؟ إن المتتبع لموادها اللغوية يعجب كيف تهيأ لها هذا التطور الحركي الذي يحتاج إلى ما لا يحصى من الزمن ، فالحاء والراء حرفان يدلان في الأصل على الحر والحرق ، ولو تتبعنا جميع الجذور الأخرى لرأينا أنّ كل كلمة تبتدىء بهما تدل على معنى يكاد يكون منتزعاً من هذا المعنى ، أو متفرعاً عنه . فلنستعرض الآن مادة الحرب ، إنها احتراق بكل معنى لاهب ، والحَرَب بفتحتين الهلاك ، وهو مقتفيات الحرق ومستلزماته ، قال أبو تمام :

لما رأى الحرب رأي العين توفلس" والحرب مشتقة المعنى من الحَرَب

وحرث الأرض : شقها بالسكة ، وهذا يمت إلى المعنى الأصلي ، بأوثق الأسباب ، والحرج الضيق ، وحرد الرجل بكسر الراء : غضب ،

فهو حارد وحردان ، وهي عاميه فصيحة • وهكذا إلى آخر المادة حيث تنتهي إلى هذا التقرير العجيب •

الإعـراب :

(فتقبلها ربها بقبول حسن) الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض والهاء مفعول به وربها فاعل والجار والمجرور متعلقان بتقبلها وحسن صفة (وأنبتها نباتاً حسناً) الواو عاطفة وأنبتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به ونباتاً مفعول مطلق وحسناً صفة (وكفّلها زكريا) الواو عاطفة وكفل فعل ماض والهاء مفعول به أول وزكريا مفعول به ثان ، أي جعل زكريا كافلاً لها وضامناً لمصالحها وفي قراءة تخفيف الفاء يكون زكريا هو الفاعل • وقد نسجت أساطير حول هذه الكفالة ، يرجع فيها إلى المطولات (كلما دخل عليها زكريا المحراب) كلما ظرف زمان تقدم إعرابه مراراً وهو متعلق بوجد لأنه جواب الشرط • وجملة دخل عليها في محل جر بإضافة الظرف إليها والمحراب مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض (وجد عندها رزقاً) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعندها ظرف متعلق بوجد ورزقاً مفعول به وجملة الشرط استئنافية (قال يا مريم أنى لك هذا) الجملة مستأنفة ، وهذا أصح ما قيل فيها رغم الاختلاف الشـديد الذي لا طائـل تحته • وقـال فعـل ماض والفاعل هو ويا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم مبني على الضم وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، كأنه سـؤال عن الكيفية ، أي : كيف تهيأ لك وصول هذا الرزق إليك ؟ قال الكميت :

أنى ومن أين آبـك الطرب   من حيث لا صبوة ولا طرب

وقيل معناه هنا : : من أين • وعلى الحالين هو منصوب على الظرفية

متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وهذا مبتدأ مؤخر (قالت هو من عند الله) الجملة مستأنفة وهو مبتدأ ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) إن واسمها ، وجملة يرزق خبر ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وبغير حساب جار ومجرور متعلقان بيرزق وجملة إن الله مقول القول أيضاً إذا كان من كلامها أو مستأنفة •

البلاغـة :

في هذه الآية فنون نشير إليها بما يلي :

١ ـ الجناس المغاير في قوله « فتقبلها ربها بقبول حسن » وفي قوله « فأنبتها نباتاً حسناً » وفي قوله « رزقاً » و « يرزق » •

٢ ـ الإشارة ، وهو التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي في قوله « هو من عند الله » أي هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلا الله •

٣ ـ التنكير في قوله : « رزقاً » لإفادة الشيوع والكثرة ، وأنه ليس من جنس واحد بل من أجناس كثيرة •

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

(العاقر) من لا يولد له ، رجلاً كان أو امرأة . مشتق من العقر وهو القطع ، لقطعة النسل .

(الحصور) بفتح الحاء فعول محول عن فاعل للمبالغة ، وهو الذي لا يأتي النساء ، وهو قادر على ذلك والممنوع منهن أو من لا يشتهيهنّ ولا يقربهن . ثم استعمل لكل من لا يشارك في لعب ولهو ومجانة ، قال الأخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمني   لا بالحصور ولا فيها بسآر

(العشي) من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، وهو اسم مفرد لا جمع كما توهم الجلال وأبو حيان .

(الإبكار) بكسر الهمزة مصدر لأبكر بمعنى بكر ثم استعمل اسماً ، وهو طلوع الشمس إلى وقت الضحى .

الإعراب :

(هنالك دعا زكريا ربه) هنالك اسم إشارة للمكان في محل نصب على الظرفية المكانية وقد يتجوز به للزمان واللام للبعد والكاف للخطاب والظرف متعلق بدعا وزكريا فاعل دعا وربه مفعوله ، والجملة مستأنفة مسوقة للإشارة إلى تحول زكريا عن اعتقاده بشأن الولادة والعقم ؛

أي : لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير أوانه قادر على الإتيان بالولد في حال الكبر (قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) جملة مستأنفة مسوقة لتحقيق ما خطر له من سوانح بعد التحول الفكري الطارىء عليه ، وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وذرية مفعول به وطيبة صفة ، وأنثت الصفة لتأنيث الموصوف لأنه لم يقصد به معين ، أما إذا قصد به ذلك امتنع اعتبار اللفظ ، نحو طلحة وحمزة وجملة النداء في محل نصب مقول القول (إنك سميع الدعاء) إن واسمها وخبرها والجملة تعليلية لا محل لها (فنادته الملائكة) الفاء عاطفة ونادته الملائكة فعل ومفعول بـه وفاعل (وهو قائم يصلي في المحراب) الواو حالية وهو مبتدأ وقائم خبره والجملة نصب عـلى الحال مـن مفعول النـداء وجملة يصلي في المحراب لـك أن تجعلها خبراً ثانياً لهو أو تنصبها على الحال من القيام وفي المحراب متعلقان بيصلي (أن الله يبشرك بيحيى) أن وما في خبرها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بنادته وقرىء بكسر همزة « إن » بتقدير قول محذوف ، فالجملة مقول القول وجملة القول حال ، أي : حال كون الملائكة قائلين . وجملة يبشرك خبرها والجار والمجرور متعلقان بيبشرك ويحيى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة إن كان أعجمياً ، وإن كان عربياً فللعلمية ووزن الفعل (مصدقاً بكلمة من الله) مصدقاً حال وبكلمـة متعلقان بمصدقاً والمراد بالكلمة عيسى بن مريم وإنما سمي كلمة لأن الله تعالى قال له : كن فكان من غير أب . وهناك أقوال أخرى يرجـع

فيها إلى المطولات (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) الكلمات الثلاث عطف على « مصدقاً » ومن الصالحين صفة لنبياً (قال : رب أنى يكون لي غلام) قال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وأنّى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر يكون إذا اعتبرت ناقصة أو حال إذا اعتبرت تامة ،ولي متعلقان بمحذوف حال وغلام اسم يكون أو فاعلها وجملة قال استئنافية وجملة النداء مقول القول (وقد بلغني الكبر) الواو حالية وقد حرف تحقيق وبلغني فعل ماض والنون للوقاية والياء مفعول به والكبر فاعل والجملة في محل نصب حال (وامرأتي عاقر) الواو حالية أيضاً وامرأتي مبتدأ وعاقر خبر والجملة حالية من الياء في « لي » فتكون حالاً متعددة ، ولك أن تجعلها حالاً من الياء في « بلغني » (قال : كذلك الله يفعل ما يشاء) اضطرب كلام المعربين والمفسرين في هذه الآية ، وأقرب ما تراءى لنا وجهان متساويا الرجحان ، أولهما أن الجملة كلها مستأنفة ، والقائل هو الله تعالى ، و « كذلك » جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول مطلق ، أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ، أو على أنهما في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من « يفعل » وذلك على مذهب سيبويه في هذه المسألة ، وقد تقدم بحثها . والله مبتدأ وجملة يفعل خبر وما اسم موصول في محل نصب مفعول به والجملة مقول القول . والوجه الثاني أن يتعلق كذلك بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر كذلك ، وجملة يفعل ما يشاء في محل رفع خبر الله وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة (قال رب اجعل لي آية) قال : فعل ماض والفاعل زكريا ورب

منادى تقدم إعرابه ، واجعل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، ولي متعلقان باجعل وآية مفعول به وجملة النداء وما تلاه مقول القول وجملة القول مستأنفة (قال : آيتك أن لا تكلم الناس) الجملة مستأنفة وآيتك مبتدأ وأن وما في حيزها في تأويل مصدر خبر وتكلم فعل مضارع منصوب بأن والناس مفعول به والجملة مقول القول (ثلاثة أيام إلا رمزاً) ثلاثة أيام : ظرف زمان متعلق بتكلم وإلا أداة استثناء منقطع واجب النصب لأن الرمز ليس من جنس الكلام ، ولك أن تعتبره من جنس الكلام فتكون « رمزاً » استثناء من أعم الأحوال أو من أعم المصادر ، أي حالاً أو مفعولاً مطلقاً ، وهذه الأوجه متساوية الرجحان في هذا التركيب العجيب (واذكر ربك كثيراً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وربك مفعول به وكثيراً مفعول مطلق أو ظرف زمان ، أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً (وسبح بالعشي والإبكار) الواو عاطفة وسبح عطف على اذكر وبالعشي جار ومجرور متعلقان بسبح والإبكار عطف عليه .

البلاغـة :

في قوله « رمزاً » فن الإشارة ، وقد تقدم بحثه قريباً ، لأنه دل على ما في نفس البشر من خلجات ومعان . وقـد تشبث الشعراء بأذيال هـذه البلاغة ، قـال أبو تمام :

توحي بأسـرارنا حواجبنا وأعـين بالوصال ترتشـق

وقـال أيضـاً :

كلمته بجفون غـير ناطقة فكان من ردّه ما قـال حاجبه

وقـال آخـر :

إذا كلمتني بالعيون الفواتر ردت عليها بالدموع البوارد

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

اللغـة :

(اصطفاك) : اختارك .

(اقنتي) : أخلصي العبادة وأديمي الطاعة .

الإعـراب :

(وإذ قالت الملائكة) الواو عاطفة والجملة معطوفة ، فقد عطف قصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة . ولك أن تعطف « إذ » على الظرف السابق وأن تعلقه باذكر محذوفاً ، وقالت الملائكة : فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (يا مريم إن الله اصطفاك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم وإن واسمها ، وجملة اصطفاك خبر إن والجملة كلها مقول القول (وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) الفعلان معطوفان على اصطفاك وعلى نساء متعلقان باصطفاك والعالمين مضاف إليه (يا مريم اقنتي لربك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم واقنتي فعل أمر مبني على حذف النون والياء

فاعل والجار والمجرور متعلقان باقنتي (واسجدي واركعي مع الراكعين) فعلا الأمر منسوقان على اقنتي ومع ظرف مكان متعلق باركعي والراكعين مضاف إليه •

البلاغـة :

١ ـ في هاتين الآيتين التقديم ، فقد قدم السجود وهو متأخر في حكم الصلاة للاهتمام به ، ولكونه أدل على التذلل والعبادة • وهذا ديدنهم تقديم الأهم على المهم •

٢ ـ وفيهما أيضاً التكرير ، فقد كرر النداء للإيذان بأن كل واحد منهما مسوق لمعنى ، فالأول تذكير بالنعمة ، وهو بمثابة تمهيد للثاني الذي هو للتكليف والترغيب في العمل •

٣ ـ وفيهما أيضاً إطلاق الجزء وادارة الكل ، وقدم السجود لأنه أفضل أركان الصلاة كما تقدم •

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

اللغـة :

(أقلامهم) الأقلام : جمـع قلم وهو فـعَل بمعنى مفعول ، أي

مقلوم • والقلم : القطع ومثله القبض والنقض بمعنى المقبوض والمقنوض •

(المسيح) : لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق وهو بالعبرية المشيح ومعناه المبارك وسمي المسيح قيل : لكثرة سياحته ، وقيل : لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء •

(عيسى) : معرب من ايشوع ، وقيل : مشتق من العيس ، وهو بياض تعلوه حمرة •

الإعـراب :

(ذلك من أنباء الغيب) ذلك اسم إشارة مبتدأ ومن أنباء الغيب خبره والجملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن ذلك كله من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام (نوحيه إليك) فعل مضارع وفاعله نحن والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بنوحيه والجملة حالية أو استئنافية أيضاً (وما كنت لديهم) الواو حالية أو استئنافية وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت أي : موجوداً لديهم (إذ يلقون أقلامهم) إذ ظرف لما مضى ودخوله على المضارع لحكاية الحال الماضية ، وهو متعلق بما تعلق به « لديهم » أي بالاستقرار المحذوف •

وقد قال أبو علي الفارسي : العامل في « إذ » هو « كنت » • وقد اعترض عليه بما قرره هو نفسه إذ قال : إن « كان » الناقصة سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للزمان فلا يتعلق بها الظرف ولا الجار والمجرور • وجملة يلقون في محل جر بالإضافة وأقلامهم : مفعول

به (أيهم يكفل مريم) الجملة في محل نصب حال بتقدير فعل ، أي يتساءلون ، ويبعد جعلها فاعلاً لفعل محذوف ، لما في ذلك من التكلف ، كما فعل الجلال وأي مبتدأ والهاء مضاف إليه والميم علامة جمع الذكور وجملة يكفل مريم خبر المبتدأ . (وما كنت لديهم إذ يختصمون) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار المحذوف وجملة يختصمون في محل جر بالإضافة (إذ قالت الملائكة) الظرف متعلق بمحذوف ، أي : اذكر ، وقالت الملائكة فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة وجملة الظرف ومتعلقة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة عيسى عليه السلام (يا مريم) يا أداة نداء ومريم منادى مفرد علم (إن الله يبشرك) الجملة مقول القول وإن واسمها وجملة يبشرك خبرها (بكلمة) متعلقان بيبشرك (منه) صفة لكلمة (اسمه المسيح عيسى بن مريم) اسمه مبتدأ والمسيح خبر والجملة صفة ثانية لكلمة وعيسى بدل من المسيح وابن مريم بدل أو نعت . وذكرت مريم مع أنها هي المخاطبة للإيذان باختصاص عيسى عليه السلام بأنه ولد من غير أب كما جرت العادة (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) وجيهاً حال من كلمة وان كانت نكرة لأنها موصوفة والجار والمجرور متعلقان بوجيهاً فهما في موضع نصب على الحال (ويكلم الناس في المهد) الواو عاطفة ويكلم فعل مضارع والفاعل هو والجملة معطوفة على « وجيهاً » فهي حال أيضاً وعدل إلى الفعلية للتجدد والناس مفعول به وفي المهد متعلقان بمحذوف حال من فاعل « يكلم » (وكهلاً ومن الصالحين) عطف على قوله « في المهد » أي : صبياً وكهلاً ، ومن الصالحين عطف على وجيهاً فاستتم بذلك الأوصاف الأربعة ا « كلمة » .

البلاغـة :

الكناية في قوله : « يلقون أقلامهم » عن القرعة •

الفوائـد :

(إذ) تكون على ثلاثة أوجه :

٢ ــ تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل ، كقول الفرزدق :
بعدها فعل مضارع فهي لحكاية الحال الماضية •

٢ ــ تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل،كقول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

فالظرفية هنا منسلخة ولاتصح بحال ، لأن المعنى يفسد ، أي أعاد الله نعمتهم وقت كونهم قريشاً ، فيفيد أن كونهم من قريش أمر طارىء عليهم •

٣ ــ أن تكون للمفاجأة ، وهي الواقعة بعد «بينا»و«بينما»كقوله :

استقدر الله خيراً وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

والأولى عندئذ أن تكون حرفاً •

(أي) تأتي على خمسة أوجه :

١ ــ اسم شرط جازم وتعرب بحسب موقعها •

٢ ــ اسم موصول وتعرب بحسب موقعها إلا إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فتبنى على الضم : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » •

٣ ــ اسم استفهام كما في الآية المتقدمة ، وحكمها حكم الموصولية .

٤ ــ أن تقع صفة للنكرة أو حالاً بعد المعرفة للدلالة على معنى التمام والكمال ، كقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أيّ مفسدة

٥ ــ تكون وصلة لنداء ما فيه أل : يا أيها الناس .

(العلم) ينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب، وإذا اجتمع الاسم واللقب يؤخر اللقب عن الاسم، وربما قدم عليه كما في الآية. ويطرد هذا إذا كان اللقب أشهر من الاسم ولا ترتيب في الكنية ، ويعرب الثاني بدلاً من الأول ، ويجوز أن تضيف اللقب إلى الاسم إذا كانا مفردين كهرون الرشيد ومحمد المهديّ ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾

اللغـة :

(الأكمه) : الذي ولد أعمى يقال : كمه كمهاً ، من باب تعب ، فهو أكمه والمرأة كمهاء ، مثل أحمر وحمراء وهو العمى يولد عليه الإنسان وربما كان عارضاً .

(الأبرص) : المصاب بالبرص بفتحتين وهو داء معروف يعتري الإنسان ، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ، فكانوا يصفون العظيم إذا أصيب به بالوضّاح فقالوا : جذيمة الوضاح وهو من ملوك العرب المشهورين ويقال للقمر أبرص لشدة بياضه وللوزَغ سام أبرص لبياضه .

الإعـراب :

(قالت : رب أنى يكون لي ولد) تقدم إعرابها قبل قليل بحروفها فجدد بها عهداً (ولم يمسسني بشر)الواو للحال ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسسني فعل مضارع مجزوم بلم والنون للوقاية والياء مفعول به وبشر فاعل والجملة حالية (قال كذلكِ الله يخلق مايشاء) الجملة مستأنفة لا محل لها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق لفعل محذوف ، أو حال وعلقهما بعضهم بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والله مبتدأ وجملة يخلق خبر وما اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة الله يخلق مقول القول (إذا قضى أمراً) إذا ظرف مستقبل وجملة قضى في محل جر بالإضافة وأمراً مفعول به (فإنما يقول له كن فيكون) الفاء رابطة لجواب إذا وجملة إنما يقول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وله متعلقان بيقول وكن فعل أمر تام والجملة مقول القول والفاء

استئنافية ويكون فعل مضارع تام مرفوع بالضمة والفاعل هو والجملة خبر لمبتدأمحذوف أي فهو يكون والجملة مستأنفة ، وهذا قول سيبويه وهو الصحيح وقرأ ابن عامر بالنصب « فيكونَ » على أن الفاء للسببية ، ويشكل على هذه القراءة أن الاستقبال مسلوب عنه عندئذ بهاء(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)الواو استئنافية ولك أن تعطفها على « وجيهاً » كأنه قال : وجيهاً ومعلما ، وقرىء ونعلمه فتكون الجملة مقولاً لقول محذوف لأنه يكون من كلام الله ويعلمه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول والكتاب مفعول به ثان وما بعده منسوق عليه (ورسولاً إلى بني إسرائيل) الواو عاطفة ورسولاً مفعول به لفعل محذوف أي ويجعله رسولاً أي من باب الإخبار بالمغيبات ، وأجاز الزمخشري وغيره أن يعرب رسولاً حالاً كأنه عطفه على يعلمه بالمعنى وإلى بني إسرائيل متعلقاً بمحذوف صفة لـ « رسولاً » (أني قد جئتكم بآية من ربكم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي بأني قد جئتكم ، وقد سبق القول بأن هذا مطرد قبل أنّ وأنْ ، والجار والمجرور متعلقان بـ « رسولاً » لأنه تضمن معنى النطق ، أي ورسولاً ناطقاً بأني قد جئتكم . وقد كثرت التأويلات في هذه التعابير ، ولذلك جعلها الزمخشري من المضائق المعجزة . وقيل الباء للملابسة وهي مع مدخولها في محل نصب على الحال ، والمعنى أني رسول الله اليكم حال كوني متلبساً بمجيئي بالآيات وجملة قد جئتكم خبر أن وبآية متعلقان بجئتكم ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لآية (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من آية لأن ما يفعله لا يعدو أن يكون من دلائل آياته الباهرة ، ولك أن تجعله

خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هي والمعنى واحد وفي قراءة بكسر همزة إن فتكون إن وما بعدها مستأنفة وجملة أخلق خبر إن ولكم متعلقان بمحذوف في محل نصب على معنى التعليل أي لأجل هدايتكم ، أو معنى الحال أي هادياً لكم ، ومن الطين متعلقان بأخلق وكهيئة الكاف اسم بمعنى مثل فهي في محل نصب مفعول به أو حرف فتكون وما بعدها في محل نصب صفة لمفعول به محذوف أي شيئاً مثل هيئة الطير وهيئة مضاف إليه إن كانت اسماً والطير مضاف مضاف الى هيئة (فأنفخ فيه) الفاء عاطفة ، أنفخ معطوف على أخلق ، والجار والمجرور متعلقان بأنفخ (فيكون طيراً بإذن الله) الفاء عاطفة ويكون فعل مضارع ناقص معطوف على أخلق وطيراً خبر يكون واسمها مستتر وبإذن الله متعلقان بيكون على رأي من يجيز تعلق الجار والمجرور والظرف بالأفعال الناقصة أو بمحذوف حال ، والأول أقرب الى المعنى (وأبرىء الأكمه والأبرص) عطف على أخلق والأكمه مفعول به (وأحيي الموتى بإذن الله) عطف على ماتقدم أيضاً وبإذن الله متعلقان بأحيي (وأنبئكم بما تأكلون) عطف أيضاً والجار والمجرور متعلقان بأنبئكم ناب عن المفعولين وجملة تأكلون لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تدخرون في بيوتكم) الواو عاطفة وما عطف على « ما » المتقدمة وجملة تدخرون لا محل لها وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بتدخرون (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، واللام هي المزحلقة وآية اسمها المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة إن وما في حيزها إما أن تكون من كلام عيسى عليه السلام فتكون داخلة في حيز القول، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى فتكون مستأنفة. وإن شرطية وكنتم في محل جزم فعل الشرط وكان فعل ماض ناقص

والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف والتقدير إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية وجملة الشرط استئنافية (ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) الواو عاطفة ومصدقاً حال من فعل محذوف أي وجئتكم مصدقاً ، أو تعطفه على محل « بآية » ولما اللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان « بمصدقاً » وبين ظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ويديّ مضاف إليه وعلامة جره الياء لأنه مثنى والياء مضاف إليه ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم) الواو حرف عطف واللام للتعليل وأحلّ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل واللام ومدخولها متعلقان بجئتكم مقدرة ، ولا يجوز عطفه على « مصدقاً » لأنه حال ولأحل تعليل ، ولكم جار ومجرور متعلقان بأحل وبعض مفعول به والذي اسم موصول مضاف إليه ، وجملة حرم عليكم لا محلّ لها لأنها صلة الموصول (وجئتكم بآية من ربكم) الواو حرف عطف وجملة جئتكم عطف على جئتكم السابقة وتكررت للتوكيد وبآية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال فالباء للملابسة ، والمعنى أني رسول إليكم حال كوني ملتبساً بمجيئي . ولك أن تعلقها بجئتكم ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة ، أي إذا علمتم أنه لا يسوغ لكم بعد هذه الآلاء الباهرة التي مننت بها عليكم أن تأخذكم هوادة في طاعة الله فاتقوا الله . واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأطيعون عطف على اتقوا وحذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا

أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

اللغة :

(الحواريون) : جمع حواري ، وهو صفوة الرجل وخالصته ، ومنه قيل للحضريات : حواريات ، لخلوص ألوانهن وفتنتهن ونعومتهن قال :

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وتكاد هذه النسبة تكون مطردة كالحوالي وهو الكثير الحيلة . وزعم صاحب المنجد أنّ اللفظة حبشية ولكننا نرجح أنها عربية خالصة . ففي أساس البلاغة : وامرأة حوارية ونساء حواريات : بيض قال الأخطل:

حواريــة لا يدخل الذمّ بيتها مطهرة يأوي إليهــا مطهر

وقد نسجت أساطير جميلة حول الحواريين تحتاج إلى قصاص بارع يصوغ منها أروع القصص .

(المكر) في اللغة : الستر ، يقال : مكر الليل أي أظلم وستر بظلمته ما فيه ، واشتقاقه من المكر ، وهو شجر ملتفّ ، كأنهم تخيلوا أن المكر يلف الممكور به . وامرأة ممكورة البطن : أي ملتفة ثــم خصصوه بالخبث والخداع .

الإعــراب :

(إن الله ربي وربكم فاعبدوه) كلام مستأنف مسوق لتقدير أصل

الديانة المترتبة على الإيمان بما أورده ، وإن واسمها ، وربي خبرها وربكم عطف على ربي . فاعبدوه : الفاء الفصيحة أي إذا شئتم حسن المصير فاعبدوه ، واعبدوه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وجملة اعبدوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هذا صراط مستقيم) يصح أن تكون الجملة مستأنفة أو مفسرة ، وعلى الحالين لا محل لها . وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط (فلما أحس عيسى منهم الكفر) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوه ،لأنه قول مرتب على هذا المحذوف . ويجوز أن تعرب استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة وقد تقدم ذكرها كثيراً ، وجملة أحس عيسى في محل جر بإضافة الظرف إليه أو لا محل لها إذا أعربناها رابطة . وأحس فعل ماض وعيسى فاعل ومنهم جار ومجرور متعلقان بأحس والكفر مفعول به ويجوز أن يتعلقا بمحذوف حال من الكفر أي حال كونه صادراً منهم (قال من أنصاري إلى الله) جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما ومن اسم استفهام مبتدأ وأنصاري خبره وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الياء في أنصاري ، والمعنى من أنصاري حال كوني ماضياً إلى سبيل الله شارعاً في المناضلة عنه ونصرته ؟ وللزمخشري رأي طريف في هذا الجار والمجرور إذ جعلهما من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة ، كأنه قال : من الذين يضيفون أنفسهم إليّ ينصرونني كما ينصرني ؟ (قال الحواريون : نحن أنصار الله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجواب على استفهامه . وقال الحواريون فعل وفاعل وجملة نحن أنصار الله من المبتدأ والخبر مقول القول (آمنا بالله) آمنا فعل وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا والجملة خبر ثان لنحن (واشهد بأنّا مسلمون) الواو استئنافية واشهد

فعل أمر وبأنا الباء حرف جر وأن واسمها ، ومسلمون خبرها . وأن وما في حيزها مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهد ، وهذا أحسن من جعلها عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ، وهو مرجوح ، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم (ربنا آمنا بما أنزلت) ربنا منادى مضاف وجملة آمنا خبر ثالث لنحن وبما جار ومجرور متعلقان بآمنا وجملة أنزلت لا محل لها لأنها صلة الموصول (واتبعنا الرسول) عطف على جملة آمنا والرسول مفعول به (فاكتبنا مع الشاهدين) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما تقدم فاكتبنا ، ولك أن تجعلها استئنافية ومع ظرف مكان متعلق باكتبنا والشاهدين مضاف إليه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) الواو استئنافية ومكروا فعل وفاعل ومكر الله عطف على مكروا والله الواو حالية والله مبتدأ وخير الماكرين خبره والجملة في محل نصب على الحال .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التمثيلية في أحس ، إذ لا يحس إلا ما كان متجسداً، والكفر ليس بمحسوس ، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس .

٢ ـ فن المشاكلة وقد مرت الإشارة إلى هذا الفن ، وحقيقة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، فكأنه قال : وأخذهم بمكرهم ، لأن الله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة توهم الشناعة . وهو كثير شائع في القرآن ، فاعلمه . ومنه في الشعر قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي فنجازيه على جهله ، فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه للمشاكلة . ومن طريف المشاكلة قول أبي تمام الطائي :

والدهر ألأم من شرقت بلؤمه … إلا إذا أشرقته بكريم

أي انتصرت عليه بكريم فقال : أشرقته ، للمشاكلة .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٧) ﴾

الاعراب :

(إذ قال الله يا عيسى) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر مقدراً أو متعلق يمكروا أو ظرف لخير الماكرين . وجملة قال الله في محل جر بالإضافة ويا حرف نداء وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على الألف (إني متوفيك ورافعك الي) إن واسمها ومتوفيك خبرها والكاف مضاف اليه ورافعك عطف على متوفيك وإلي جار ومجرور متعلقان برافعك لأنه إسم فاعل (ومطهرك من الذين كفروا) ومطهرك عطف على ما تقدم ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمطهرك وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) وجاعل عطف أيضاً والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة اتبعوك صلة الموصول لا محل لها وفوق

ظرف، مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجاعل والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة الموصول (إلى يوم القيامة) الجار والمجرور متعلقان بجاعل ، يعني أن هذا الجعل مستمر إلى يوم القيامة (ثم إلي مرجعكم) ثم حرف عطف للتراخي وإلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر (فأحكم بينكم) الفاء حرف عطف للتعقيب وأحكم فعل مضارع مرفوع وبينكم ظرف مكان متعلق بأحكم (فيما كنتم فيه تختلفون) فيما جار ومجرور متعلقان بأحكم وجملة كنتم صلة الموصول وكان واسمها ، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون في محل نصب خبر كنتم ، والجملة كلها في محل نصب مقول ا لقول(فأما الذين كفروا) الفاء استئنافية والجملة مستأنفه مسوقة لتكون تفسيراً للحكم بين الفريقين . وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة) الفاء رابطة لجواب أما وأعذبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة الفعلية خبر الذين وعذاباً مفعول مطلق وشديداً صفة وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية والآخرة عطف على الدنيا (وما لهم من ناصرين) الواو حالية أو استئنافية وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو استئنافية (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عطف على الآية السابقة والصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (فيوفيهم أجورهم) الفاء رابطة لجواب أما ويوفيهم فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والهاء مفعول به أول وأجورهم مفعول به ثان والجملة خبر الذين (والله لا يحب الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر .

البلاغـة :

اختلف المفسـرون في قوله : « إنـي متوفيك ورافعـك إلي » ، قال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر ، والتقدير : إني رافعك إلي ومتوفيك . يعني بعد ذلك . قال علي بن طلحة عن ابن عباس : إني متوفيك أي مميتك . وجمهور المفسرين يقولون : المراد بالوفاة هنا النوم ، كما قال تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل » الآية . وقـد اقتبس هذا المعنى بلفظه بعض الشعراء فقال :

تبـارك من توفاكم بليـل ويعلم مـا جرحتم في النهـار

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

الإعـراب :

(ذلك نتلوه عليك من الآيات) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدم من أمر عيسى وذلك مبتـدأ وجملة نتلوه خبر وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ويجوز أن يكون اسم الإشارة مبتدأ وجملة نتلوه في موضع نصب على الحال ومن الآيات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (والذكر الحكيم) عطف على الآيات والحكيم صفة (إن مثل عيسى عند الله) كلام مستأنف سيق تمهيداً لذكر محاجة وفد نجران الذي قدم على النبي صلى اللـه عليه وسلم يسأله في أمر عيسى عليه السلام . وإن واسمها ، وعيسى مضاف إليه وعند الله ظرف متعلق

بمحذوف حال (كمثل آدم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وآدم مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه لا ينصرف كما تقدم (خلقه من تراب) الجملة مفسرة لشبه عيسى بآدم لا محل لها وخلقه فعل ومفعول به والفاعل هو يعود على الله ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقه (ثم قال له كن فيكون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وقال فعل ماض وله جار ومجرور متعلقان بقال وجملة كن التامة في محل نصب مقول القول وقوله فيكون عطف ، وهي حكاية حال ماضيه (الحق من ربك) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التغيير هو من ربك فالحق مبتدأ ، ومن ربك خبر ، ويجوز أن يكون الحق خبراً لمبتدأ محذوف أي ما قصصنا عليك هو الحق ، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فلا تكن من الممترين) الفاء الفصيحة أي إذا علمت هذا وقد علمته فلا تكن والجملة جواب الشرط غير جازم لا محل لها ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا واسمها ضمير مستتر تقديره أنت ومن الممترين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر •

البلاغــة :

المقصود بالنهي « لا تكن من الممترين » إما زيادة تهييجه صلى الله عليه وسلم على الثبات ، والطمأنينة ، وحاشاه أن يكون ممترياً ، أو أن الخطاب لغيره لطفاً بهم •

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾

اللغة :

(حاجّك) : خاصمك وجادلك ، وقارعك الحجة . والمحاجّة هي مفاعلة ، ولا تقع إلا من اثنين فصاعداً .

(تعالوا) : تعال فعل أمر على الأصح ولامه مفتوحة دائماً ، وأصله طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك ، وإذناً للمدعوّ لأنه من العلو والرفعة . فإذا أمرت المفرد قلت : تعال ، ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب المجيء . وقد لحنوا أبا فراس الحمداني لأنه كسر لامه مع ياء الخطاب بقوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي أقاسمك الهموم تعالي

وقد يجاب عنه بأنه ضرورة شعرية .

(نبتهل) المباهلة والابتهال في الأصل : الملاعنة . وفعله الثلاثي بهلة بهلاً من باب نصر لعنه . واسم الفاعل باهل ، والانثى باهلة ، وبها سميت قبيلة عربية ، ثم تطورت الكلمة وأطلقت على كل دعاء خيراً كان أم شراً ، وإن لم يكن لعاناً . وقد استعمل هذه الكلمة أبو العلاء المعري في رسالة الغفران إذ قال في صدد حديثه عن الخرمية ، وهم فئة من الزنادقة : « فعلى معتقدي هذه المقالة بهلة المبتهلين » والبهلة بضم الباء وفتحها : اللعنة أي لعنة اللاعنين ، وهذا المعنى هو المراد في الآية .

الإعـراب :

(فمن حاجّك فيه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفـع مبتدا حاجك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وفيه جار ومجرور متعلقان بحاجك والضمير يعود إلى عيسى أو الحق مطلقاً والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المباهلة وشروطها المستنبطه من الكتاب والسنة . وحاصل كلام الأئمة فيها أنها بعد النبي صلى اللـه عليه وسلم لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً ، وقـع فيه اشتباه وعناد ، لا يتاح دفعهما إلا بالمباهلة (من بعد ما جاءك من العلم) الجار والمجرور متعلقان بحاجك أي من ذلك الوقت وما اسم موصول مضاف إليه وجملة جاءك صلة الموصول ومن العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً من العلم (فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) الفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وجملة قل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « ما » وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول وندع فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله نحـن وأبناءنا مفعول به وأبناءكم وما تلاه عطف على قوله « أبناءنا » وإنما أضافهم إليه صلى اللـه عليه وسلم والأمر مختص به وبمن يباهله لأن ذلك آكد في الدلالة على الثقة بالنفس والإيمان بانتصار حجته ، وإلا ما كان عرض أفلاذ كبده وأهله للهلاك ، ولكن المباهلة لم تتم ورجع الوفد بحجة استشارة قومه من دون الارتطام بها كما هو مبين في كتب التاريخ فارجع إليها . (ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) ثم حرف عطف للتراخي ونبتهل فعل مضارع معطوف على ندع مجزوم والفاء حرف عطف للتعقيب ونجعل عطف على نبتهل والفاعل بينهما نحن

ولعنت الله مفعول به وعلى الكاذبين جار ومجرور متعلقان بنجعل أو في محل نصب على أنهما بمثابة المفعول الثاني (إن هذا لهو القصص الحق) كلام مستأنف مسوق لتقدير ما تقدم ذكره وإن واسمها ، اللام المزحلقة وهو ضمير فصل لا محل له والقصص خبر أو « هو » مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن والحق صفة للقصص (وما من إله إلا الله) الواو استئنافية وما نافية ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مبتدأ ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً أي لنا . وإلا أداة حصر والله بدل من محل إله وهو الرفع . ويجوز أن يكون الله خبر إله والجملة مستأنفة (وإن الله لهو العزيز الحكيم) تقدم إعراب نظيرتها قريباً (فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة وإن شرطية وتولوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط فإن الفاء رابطة وإن واسمها ، وعليم خبرها وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بعليم والجملة في محل جزم جواب الشرط .

الفوائد :

نص العلماء على كتابة « لعنة » بالتاء المفتوحة هنا وفي سورة النور فقط وما عداها تكتب بالتاء المربوطة على الأصل المعروف .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾

الإعـراب :

(قل يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق للبحث في الجدل الذي ثار حول إبراهيم عليه السلام عند مقدم وفد نجران ، وقل فعل أمر وفاعله

أنت ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الجملة نصب على أنها مقول القول وتعالوا تقدم إعرابها قبل قليل وإلى كلمة جار ومجرور متعلقان بتعالوا وسواء صفة وبيننا ظرف مكان متعلق بسواء لأنها أجريت مجرى المصادر كما تقدم في أول البقرة وبينكم عطف على بيننا (أن لا نعبد إلا الله) أن وما في حيزها مصدر مؤول بدل من « كلمة » ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، وأن مصدرية ولا نافية ونعبد فعل مضارع منصوب بأن وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا أداة حصر والله مفعول به . والكلمة تطلق في اللغة على الجملة المفيدة (ولا نشرك به شيئاً) الواو عاطفة ولا نافية ونشرك عطف على نعبد وبه جار ومجرور متعلقان بنشرك وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم الكلام على هذا الإعراب (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) الواو عاطفة ولا نافية ويتخذ فعل مضارع معطوف على لا نعبد ولا نشرك وبعضنا فاعل وبعضاً مفعوله الأول وأرباباً مفعوله الثاني ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « أرباباً » (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) الفاء استئنافية وما بعدها كلام مستأنف لا محل له مسوق لتقرير جوابهم وإن شرطية وتولوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط أي أعرضوا ، فقولوا الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط واشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول وبأنا الباء حرف جر وأن حرف مشبه بالفعل ونا اسمها ومسلمون خبرها وأن وما بعدها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهدوا .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٦﴾

الإعــراب :

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) كلام مستأنف لإتمام قصة الجدل في أمر إبراهيم عليه السلام ، ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم : اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفها بعد حرف الجر كما سيأتي في باب الفوائد ، والجار والمجرور متعلقان بتحاجون وتحاجون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وفي إبراهيم جار ومجرور متعلقان بتحاجون ولا بد من حذف مضاف أي في دين إبراهيم لأن المجادلة لا تكون في الذوات (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) الواو حالية وما نافية وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول والتوراة نائب فاعل والإنجيل عطف على التوراة وإلا أداة حصر من بعده جار ومجرور متعلقان بأنزلت فهو استثناء مفرّغ (أفلا تعقلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي وهي داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بهذا العاطف أي ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم ؟ (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم) الهاء للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان بطلان قولهم وجملة حاججتم مستأنفة مسوقة لبيان الجملة قبلها والمعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى ، وآية حمقكم أنكم أمعنتم في اللجاج والمكابرة فيما لا طائل تحته ، وفيما جار ومجرور متعلقان بحاججتم ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعلم فلما تقدم أعرب حالاً وعلم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ما الموصولة (فلم تحاجون)الفاء عاطفة ولم تحاجون تقدم إعرابها قريباً (فيما ليس لكم به علم) فيما جار ومجرور متعلقان بتحاجون وليس فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعلم اسم ليس المؤخر (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأنتم الواو عاطفة وأنتم ضمير منفصل مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر .

الفوائد :

١ ـ أعلم أن الأصل وصل الهاء التنبيهية باسم الإشارة لأن تعريف أسماء الإشارة في أصل الوضع بما يضاف إليها من إشارة المتكلم الحسية من يد أوجارحة أخرى فجيءفي أوائلها بحرف ينبه بهاالمتكلم المخاطب حتى يلتفت إليه وينظر إلى أي شيء يشير من الإشارة الحاضرة ، ويفصل بـ «أنا» وأخواته كثيراً نحو : ها أنا ذا وها أنتم أولاء وها هو ذا وبغيرها قليلاً ، وليس المراد بقولك : ها أنا أفعل ، أن تعرف المخاطب نفسك وأن تعلمه أنك لست غيرك ، لأن هذا محال ، بل المعنى فيه وفي : ها أنت ذا تقول ، وها هو ذا يفعل ، استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلم أو المخاطب أو الغائب . والجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الأمر المستغرب ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة ، وقال أبو عمرو بن العلاء :

« الأصل في ها أنتم : أأنتم ، أبدلت الهمزة الأولى هاء لأنها أختها ».

قال النحاس : وهذا قول حسن . وقال بعضهم : هي حالية ، أي ها أنت قائلاً والحال هنا لازمة لأن الفائدة معقودة بها ، والعامل في الحال حروف التنبيه أو اسم الإشارة . والذي نراه أن ما قررناه أولى ، وأن الاستئناف هو الأرجح ، إذ ليس المراد أنت المشار إليه في حال قولك . وما أعجب هذه اللغة الشريفة .

٢ ـ إذا وصلوا « ما » في الإستفهام حذفوا ألفها لوجوه : الأول للتفرقة بينها وبين أن تكون حرفاً . والثاني : لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبيء عن شدة الاتصال . والثالث : للتخفيف ، لأن « ما » تقع كثيراً في الكلام ، وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها ، كما فعلوا في علام ؟ وإلام ؟ وحتام ؟ وبم ؟ وعم ؟ وفيم ؟ ومم ؟ قيل : إن بعض العوام سأل أحد النحويين فقال له : بما توصيني ؟ وأثبت الألف في « ما » ، فقال : بتقوى الله واسقاط الألف من « ما ».

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

اللغة :

(الحنف) الميل ، والمراد مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم .

الإعراب :

(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) كلام مستأنف أورده سبحانه تبرئة لإبراهيم مما حاولوا إلصاقه به . وما نافية وكان فعل ماض ناقص

وإبراهيم اسمها ويهودياً خبرها والواو حرف عطف ولا نافية ونصرانياً معطوف على « يهودياً » (ولكن كان حنيفاً مسلماً) الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة وكان فعل ماض ناقص واسمها هو وحنيفاً خبرها الأول ومسلماً خبر ثان . (وما كان من المشركين) عطف على ما تقدم ومن المشركين متعلقان بمحذوف خبر كان (إن أولى الناس بإبراهيم) إن واسمها ، والناس مضاف إليه وبإبراهيم جار ومجرور متعلقان بأولى والجملة استئنافية (للذين اتبعوه) اللام المزحلقة والذين خبر إن واتبعوه فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة (وهذا النبي) الواو حرف عطف على الذين والنبي بدل من اسم الإشارة (والذين آمنوا) الواو حرف عطف والذين اسم موصول معطوف على هذا النبي وجملة آمنوا صلة الموصول (والله ولي المؤمنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وولي خبر والمؤمنين مضاف إليه .

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

اللغة :

(تلبسون) بكسر الباء أي تخلطون .

الإعراب :

(ودت طائفة من أهل الكتاب) ودت فعل ماض والتاء للتأنيث وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لطائفة والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن اليهود الذين دعوا عدداً من الصحابة منهم حذيفة ومعاذ وعمار إلى دينهم • وسيأتي بحث مهم عن معنى ودت في باب الفوائد (لو يضلونكم) لو مصدرية ويضلونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ولو مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب لأنه مفعول ودت ، والتقدير تمنت إضلالكم (وما يضلون إلا أنفسهم) الواو حالية وما نافية ويضلون فعل وفاعل وإلا أداة حصر وأنفسهم مفعول به والجملة في محل نصب حال (وما يشعرون) عطف على الجملة السابقة (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام في محل جر باللام وحذفت ألف ما لوقوعها بعد حرف الجر كما تقدم قريباً ، وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون (وأنتم تشهدون) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتشهدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر وجملة أنتم تشهدون في محل نصب حال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) جملة مستأنفة ثالثة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم وقد تقدم إعراب نظيرتها (وتكتمون الحق) الواو عاطفة وتكتمون فعل مضارع والواو فاعل والحق مفعول به (وأنتم تعلمون) تقدم إعرابها •

الفوائد :

تستعمل « ود » بمعنى تمنى فتستعمل معها لو أو أن وربما جمع

بينهما فيقال : وددت لو أن فعل « والمصدر » الودادة والاسم منهود "وقد يتداخلان في المصدر والاسم وقال الراغب : إذا كان ود بمعنى أحب لا يجوز إدخال « لو » فيه أبداً ، وقال علي بن عيسى : إذا كان « ود » بمعنى تمنى صلح للماضي وللحال وللمستقبل ، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح إلا للماضي لأن الإرادة كاستدعاء الفعل وإذا كان للحال والمستقبل جاز أن ولو وإذا كان للماضي لم يجز أن لأن أن للمستقبل .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

اللغة :

(وجه النهار) أوله وسمي الوجه وجهاً لأنه أول ما يبدو من الإنسان لمن يشاهده قال :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقال :

وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سل نظامها

الإعـراب :

(وقالت طائفة من أهل الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن نوع آخر من تلبيسات اليهود فقد توطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر فقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان ، دون اعتقاد بالجنان ، ثم اكفروا اخر النهار لادخال التشكيك في صدور أصحاب محمد وربما أفضى ذلك إلى رجوعهم عن دينهم . وقالت فعل ماض وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) الجملة في محل نصب مقول القول وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون وبالذي جار ومجرور متعلقان بآمنوا وجملة أنزل صلة وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وعلى الذين آمنوا جار ومجرور متعلقان بأنزل وجملة آمنوا صلة (وجه النهار) ظرف زمان متعلق بآمنوا (واكفروا آخره) الواو حرف عطف واكفروا فعل أمر مبني على حذف النون معطوف على آمنوا وآخره ظرف زمان متعلق باكفروا (لعلهم يرجعون) جملة الرجاء في محل نصب على الحال أي راجين رجوعهم عن دينهم ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها ثم أردف بتتمة مقولهم فهو داخل في حيزه (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) الواو عاطفة ولا ناهية وتؤمنوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وإلا أداة استثناء ولمن اللام حرف جر ومن اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من محذوف تقديره ولا تؤمنوا أي تعترفوا وتظهروا بأن يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم لأحد من الناس إلا لأشياعكم دون غيرهم وتبع فعل ماض وفاعله هو والجملة الفعلية

صلة ودينكم مفعول به (قل : إن الهدى هدى الله) الجملة من قول ومقولها وهو ان واسمها وخبرها لا محل لها لأنها اعتراضية (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى ومثل مفعول به ثان وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة أوتيتم صلة (أو يحاجوكم عند ربكم) أو حرف عطف ويحاجوكم فعل مضارع معطوف على يؤتى وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به وعند ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وربكم مضاف إليه (قل إن الفضل بيد الله) قل فعل أمر وفاعله أنت وإن واسمها ، وبيد الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وإن وما في حيزها جملة اسمية في محل نصب مقول القول (يؤتيه من يشاء) جملة يؤتيه في محل نصب حال ويؤتي فعل مضارع وفاعله هو والهاء مفعول يؤتي الأول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول يؤتي الثاني وجملة يشاء صلة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليم خبر ثان (يختص برحمته من يشاء)الجملةخبرثالث ويختص فعل مضارع مرفوع وفاعله هو أي الله تعالى وبرحمته جار ومجرور متعلقان بيختص ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة يشاء لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول (والله ذو الفضل العظيم) الواو عاطفة والله مبتدأ وذو الفضل خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة والفضل مضاف إليه والعظيم صفة للفضل •

الفوائد :

كثر الخوض في هذه الآية والاختلاف في إعرابها وتخريجها ، وأوصل

بعض المعربين أوجه الإعراب فيها إلى تسعة دون أن يصلوا إلى وجه حاسم يخلو من الاعتراضات .

ما يقوله الواحدي :

قال الواحديّ وهو من كبار المشتغلين بالمسائل الإعرابية : « وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه إعراباً وتفسيراً ، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطّرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النّظم » .

ما يقوله الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسّمين : « أعلم أنه قد اختلف الناس والمفسرون والمعربون في هذه الآية على أوجه » وذكر السمين الأوجه التسعة ، ولما كان كتابنا يتوخى الأسهل والأقرب إلى المنطق والأبعد عن التكلف اكتفينا في باب الإعراب بما أوردناه فيه ورأمنا أنه الأقرب إلى ما توخيناه وقد اختاره الزمخشري في كشافه ، ولكننا نرى من المفيد أن نثبت ما قاله أبو حيان ، ثم نعقب عليه بما قاله ابن هشام .

ما يقوله ابو حيان :

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط بعد كلام طويل : « يحتمل القول وجوهاً :

١ ــ أن يكون المعنى : ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم مخافة أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم ومخافة أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربهم إذا لم يستمروا

المعترضة بالحالية ويميزها منها أمور : أحدهـا أنها تكون غير خبرية كالأمرية في « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل : إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم » ، كذا مثل ابن مالك وغيره بناء على أن « أن يؤتى أحد » متعلق بتؤمنوا وأنّ المعنى : ولا تظهروا تصديقكم بأن أحداً يؤتى من كتب الله مثل ما أوتيتم وبأن ذلك الأحد يحاجونكم عند الله تعالى يوم القيامة بالحق فيغلبونكم إلا لأهل دينكم لأن ذلك لا يغير اعتقادهم بخلاف المسلمين فإن ذلك يزيدهم ثباتاً ، وبخلاف المشركين فإن ذلك يدعوهم إلى الإسـلام . ومعنى الإعتراض حينئذ أن الهدى بيد الله ، فإذا قدره لأحد لم يضره مكرهم . والآية محتملة لغير ذلك ، وهي أن يكون الكلام قد تم عند الاستثناء ، والمراد : لا تظهروا والإيمان الكاذب الذي توقعونه وجه النهار وتنقضونه آخره إلا لمن كان منكم كعبد الله بن سلام ثم أسلم ، وذلك لأن إسلامهم كان أغيظ لهم ورجوعهم إلى الكفر كان عندهم أقرب ، وعلى هذا فـ « أن يؤتى » من كلام الله تعالى ، وهو متعلق بمحذوف مؤخر ، أي : الكراهية أن يؤتى أحد دبرتم هذا الكيد .

وهذا الوجه أرجح لوجهين : أحدهما أنه الموافق لقراءة ابن كثير : أأن يؤتى بهمزتين ، أي : الكراهية أن يؤتى قلتم ذلك ، والثاني أن في الوجه الأول عمل ما قبل إلا فيما بعدها ، مع أنه ليس من المسائل الثلاث المذكورة آنفاً ، والثاني مما يميزها الدّعائية كقول عوف بن محلم :

إن الثمانـين ، وبلغتها   قـد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وكالتنزيهية في قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات . سبحانه ، ولهم ما يشتهون » وكالاستفهامية في قوله تعالى : « فاستغفروا لذنوبهم ،

ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا » إلى آخر هذا البحث الممتع الذي عكره الأسلوب الجاف ٠

ما يقوله الزمخشري :

ولا مندوحة لنا عن ذكر عبارة الزّمخشري التي جاءت مؤيدة لما ذهبنا إليه في الإعراب ، قال : « ولا تؤمنوا متعلق بقوله : أن يؤتى أحد ، وما بينهما اعتراض ، أي : ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ، أرادوا : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا مثلما أوتيتم ولا تفشوه إلا لأشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، أو يحاجوكم به عند ربكم : عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع ؛ ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة » ٠

وقد كدنا نخرج عن شرط الكتاب في تلخيص الأقوال ، فحسبنا ما أوردناه ولعل بعض العلماء كان على حق عندما قرر أن هذه الآية أعظم آي هذه السور إشكالاً ، وكلام الله أكبر ، وغور لغتنا العربية أبعد وأعمق من أن يسبر ٠

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغة :

(دينار) : الدينار : ضرب من قديم النقود الذهبية ، والجمع دنانير

وأصله دنّار بنونين ، فاستثقل توالي مثلين فأبدلوا أولهما حرف علة تخفيفاً لكثرة دورانه في الاستعمال ، ويدل على ذلك رده إلى النونين عند جمعه جمعاً مكسراً أو عند تصغيره ، فقالوا : دنانير ودنينير .

(الأميين) جمع أمي والمراد به هنا : من ليس من أهل الكتاب . ومعلوم أن اليهود استباحوا دماء العرب وأموالهم وأعراضهم .

الإعراب :

(ومن أهل الكتاب) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدين ، والواو استئنافية ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مَن إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) من اسم موصول مبتدأ مؤخر ولك أن تعربها نكرة موصوفة أيضا أي : ناس وهي مبتدأ مؤخر وإن شرطية وتأمنه فعل الشرط مجزوم والهاء مفعول به والفاعل أنت وبقنطار جار ومجرور متعلقان بتأمنه ويؤده جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وإليك جار ومجرور متعلقان بيؤده وجملة الشرط وجوابه إما صلة للموصول إذا كانت من موصولة . وإما صفة لها في محل رفع إذا كانت من نكرة موصوفة (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) عطف على الجملة السابقة وتقدم إعرابها بحروفها (إلا ما دمت عليه قائماً) إلا أداة حصر وما دمت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وقائماً خبرها وعليه جار ومجرور متعلقان بـ « قائماً » والاستثناء مفرغ من الظرف العام فهو ظرف (ذلك بأنهم قالوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان استحلالهم أموال العرب واسم الإشارة في محل رفع مبتدأ والباء حرف جر وأن وما بعدها في محل

جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة قالوا خبر إن (ليس علينا في الأميين سبيل) الجملة في محل نصب مقول قولهم وليس فعل ماض ناقص وعلينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ليس المقدم وفي الأميين جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وسبيل اسم ليس المؤخر (ويقولون على الله الكذب) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون والكذب مفعول به على التضمين فمعنى يقولون يفترون والأحسن أن يعرب صفة لمصدر محذوف وذلك المصدر مفعول مطلق أي القول المكذوب (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبر .

الفوائد :

(ما دام) من أخوات كان وشرط إعمالها أن تتقدمها « ما » الظرفية والمصدرية ، فإذا قلت : لا أكلمك ما دام زيد قاعداً ، فالمراد زمن دوام قعوده ، و « ما » من قولك : ما دام ، تقع لازمة ولا بد منها ولا يكون معها الفعل إلا ماضياً ، وليس كذلك ما زال ، فإنه يجوز أن يقع موقع « ما » غيرها من حروف النفي ، ويكون الفعل مع النافي ماضياً ومضارعاً ، نحو : ما زال ولم يزل ولا يزال ، وأصل مادة « دام » السكون والثبوت يقال : دام الماء أي سكن ، ودوّمت الشمس إذا وقفت في كبد السماء .

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى الْأَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

الإعـراب :

(بلى من أوفى بعهده واتقى) كلام مستأنف مسوق ليكون إثباتاً لما نفوه بقولهم : ليس علينا في الأميين سبيل ، أي العرب • وبلى حرف جواب وتصديق مثل نعم وأكثر ما تقع بعد الاستفهام وتختص بالإيجاب وسـيأتي المزيد عنها في موضعه من هذا الكتاب ، ومن اسم شرط جازم في محل رفـع مبتدأ وأوفى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعهده جار ومجرور متعلقان بأوفى ، واتقى عطف على أوفى (فإن الله يحب المتقين) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسـمها ، وجملة يحب خبرها والمتقين مفعول بـه وجملة فإن الله الخ في محـل جزم جواب الشرط وفعـل الشرط وجوابـه خبر « من » (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليـلاً) كلام مستأنف لا محـل له من الإعراب مسوق لبيان كـذب اليهود إذا حلفوا أو باعوا سـلعة وحلفوا أنهم أعطوا فيها كذا وكذا ، وإن واسـمها ، وجملة يشترون صلة وبعهد الله جار ومجرور متعلقان بيشترون والباء داخلة على المتروك وأيمانهم عطف على بعهد الله وثمناً مفعول به وقليلاً صفة (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) اسم الإشـارة مبتدأ ولا نافية للجنس وخلاق اسـمها المبني على الفتح ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة لا خلاق لهم خبر أولئك وجملة الإشـارة وما تلاها في محل رفـع خبر إن (ولا يكلمهم الله) الواو عاطفة ولا نافية ويكلمهم فعـل مضارع مرفوع والهاء مفعول به مقدم والله فاعل مؤخر والجملة عطف على جملة لا خلاق لهم (ولا ينظر إليهم) عطف أيضاً (يوم القيامة) الظرف متعلق بينظر (ولا يزكيهم) عطف على « ولا

ينظر إليهم » (ولهم عذاب أليم) الواو عاطفة ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة والجملة معطوفة أيضاً .

البلاغـة :

١ ـ الاستعارة المكنية في الاشتراء ، أي أنهم يستبدلون بما عاهدوا عليه وبما حلفوا بـه من الأيمان متاع الدنيا ، وأراد بذلك تحريفهم للتوراة وتبديل ما ورد فيها .

٢ ـ الكناية في قوله « ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم » عـن السخط وشـدة الغضب ، ومعنى « ولا يكلمهم اللـه » أي بما يسـرهم « ولا ينظر إليهـم » ولا يعطف عليهـم بخـير مقتـاً مـن اللـه لهـم ، كقـول القائـل : أنظـر إلي نظر اللـه إليـك ، بمعنـى تعطّفه عليّ تعطّف الله عليك بخـير ورحمة ، وكما يقال للرجـل :

لا استجاب اللـه لك . والله لا تخفى عليه خافية على حد قول شمير بن الحارث الضّبيّ :

دعـوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسـمع ما أقول

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) ﴾

اللغـة :

(يلوون ألسنتهم) يفتلونها ويديرونها عن الصحيح إلى المزيف ،

يقال : لويت عنقه : أي فتلته ، والمصدر : التّليُّ والتّليّان ، وأصل التّلي الفتل والقلب ، من قول القائل : لوى فلان يد فلان ، ومنه قول فرعان بن الأعرف السعدي في ابنه منازل :

تخون مالي ظالماً ولوى يدي   لوى يده الله الذي هو غالبه

وهـذا البيت من أبيات جميلة ، وقبله :

جزت رحم بيني وبـين منـازل
جزاءً كما يستنزل الدّين طالبه
وما كنت أخشى أن يكون منازل
عدّوي وأدنى شانىء أنا راهبه
حملت على ظهري وفديت صاحبي
صغيراً إلى أن أمكن الطرّ شاربه
وأطعمته حتى إذا صار شـيظماً
يكاد يساوي غارب الفحل غاربه

تخون مالي ظالماً ... البيت .

الإعـراب :

(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب) كلام مستأنف مسوق لوصف فريق منهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصّيف وحيّي بن أخطب وأبي ياسر وشعبة بـن عمرو الشاعر كانوا يلوون ألسـنتهم ويتشدقون بها محرفين ما فيها من نعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، والواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومنهم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم واللام المزحلقة وفريقاً اسم إن المؤخر وجملة يلوون صفة لـ « فريقاً » وجمع الضمير اعتباراً بالمعنى لأنه اسم جمع كالرهط والقوم ، والواو فاعل وألسنتهم مفعول به وبالكتاب : جار ومجرور متعلقان بيلوون (لتحسبوه من الكتاب) اللام لام التعليل وتحسبوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وحذفت النون لأنه من الأفعال الخمسة والهاء مفعول تحسبوه الأول ومن الكتاب جار ومجرور في موضع المفعول الثاني وأن المضمرة وما بعدها في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلقان بيلوون (وما هو من الكتاب) الواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وهو ضمير منفصل في محل رفع اسمها ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (ويقولون : هو من عند الله) الواو حرف عطف ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وهو معطوف على يلوون وهو مبتدأ ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة الإسمية في محل نصب مقول القول (وما هو من عند الله) تقدم إعرابها بحروفها • (ويقولون على الله الكذب) عطف على ما سبق ويقولون فعل مضارع والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون الكذب مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم إعرابه قريباً ، (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبرها •

البلاغة :

التشبيه في قوله : « لتحسبوه » أي يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب •

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

اللغة :

(البشر) الإنسان ذكراً وأنثى ، واحداً وجمعاً ، ولا واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق .

(ربانيين) الربانيون : جمع ربّاني ، وفيه أقوال أشهرها وأصحها ما ذكره سيبويه قال : الربّاني منسوب إلى الرب ، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة ، كرقباني ولحياني وشعراني للغليظ الرقبة والطويل اللحية والكثير الشعر ولا تفرد هذه الزيادة عن النسب ، أما إذا نسبوا إلى الرقبة واللحية والشعر من غير مبالغة قالوا : رقبي ولحوي وشعري . وهذه فائدة جليلة نرى اطّرادها في كل نسبة قصد منها المبالغة ، فيصح أن يقال : علماني نسبة للعلم .

الإعراب :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) كلام مستأنف مسوق لبيان افتراء اليهود على الأنبياء إثر افترائهم على الله ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص ، لبشر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأن حرف مصدري ونصب ويؤتيه فعل مضارع منصوب بأن والهاء مفعول به أول وأن وما في حيزها في تأويل مصدر اسم

كان المؤخر والله فاعل يؤتيه والكتاب مفعول به ثان والحكم والنبوة معطوفان (ثم يقول للناس) ثم حرف عطف للتراخي وجملة يقول معطوف على يؤتيه وللناس جار ومجرور متعلقان بيقول (كونوا عباداً لي من دون الله) الجملة في محل نصب مقول القول وكان واسمها ، وعباداً خبرها ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « عباداً » ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولكن كونوا ربانيّين) الواو عاطفة ولكن مخففة من الثقيلة مهملة وكونوا فعل أمر ناقص مبني على حذف النون والواو اسمها وربانيين خبرها وجملة كونوا ربانيين في محل مقول قول محذوف أي ولكن يقول كونوا .. (بما كنتم تعلّمون الكتاب) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بربانيين لما فيه من رائحة الفعل وكان واسمها ، وجملة تعلمون الكتاب خبر كنتم والكتاب مفعول به . (وبما كنتم تدرسون)عطف على «بماكنتم» وجملة تدرسون خبر كنتم(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً)الواو عاطفة ولا مزيدة لتأكيد النفي في قوله « ما كان لبشر أن يؤتيه » ، ويأمركم فعل مضارع معطوف على يؤتيه ، أي : ما كان لبشر أن يؤتيه الله ما ذكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً ، وتوسيط الاستدراك بين المعطوف والمعطوف عليه للمسارعة الى تحقيق الحق . وقرىء برفع يأمركم على الاستئناف وابتداء الكلام . وسيأتي مزيد من تفصيل إعرابه في باب الفوائد . أن تتخذوا الواو حرف عطف وتتخذوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض والجار

والمجرور متعلقان بيأمر والملائكة مفعول به أول والنبيين معطوف على الملائكة منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم وأرباباً مفعول به ثان (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) كلام مستأنف لخطاب المؤمنين عن طريق التعجب من حال غيرهم والهمزة للاستفهام الإنكاري ويأمركم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والكاف مفعول به وبالكفر جار ومجرور متعلقان بيأمركم وبعد ظرف زمان متعلق بيامركم أيضاً وإذ ظرف زمان مضاف لـ « بعد » وقد مر أنه لا يضاف إليها إلا الزمان نحو حينئذ ويومئذ ، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ومسلمون خبره والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها .

الفوائد :

١ — نفي الكون في قوله تعالى « ما كان لبشر » يراد به نفي خبره نحو : ما كان لك أن تفعل هذا ، والمراد نفي الفعل لا نفي الكون ، ويطرد هذا في نوعين :

آ — نوع يكون النفي من جهة العقل كالآية الآنفة الذكر لأن الله لا يعطي الكتاب لمن يقول مثل هذه المقالة الشنعاء .

ب — نوع يكون فيه النفي على سبيل الانبغاء والإمكان كقول أبي بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم فيصلي بين يدي رسول الله أي : ما ينبغي له ذلك ولا بإمكانه ، والمدار في التمييز بينهما على الذوق والإلمام بسياق الكلام وفحواه .

٢ — إذا عطفت قوله : « ولا يأمركم » على « يؤتيه » فتكون « لا » زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق . وإذا عطفته على « يقول »

فيجوز فيـه وجهان :

آ ــ الزيادة : فالمعنى ، ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً لـه ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .

ب ــ أن تكون غير زائدة ، ووجهه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة ، وأهل الكتاب عن عبادة عيسى فلما قالوا له : أنتخذك رباً ؟ قيل لهم : ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبيين ، وقيل هو معطوف على قوله « ثم يقول » ويكون التقدير : ولا له أن يقول ، وقرىء بالرفع عـلى الاستئناف وابتداء الكلام .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

اللغـة :

الإصر : المراد به هنا العهد وسمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر أي : يعقد ويشد . والإصر كل ما يشد به .

الإعـراب :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) كلام مستأنف مسوق لبحث العهد الذي أخـذه الله تعالى على النبيين وأممهم والواو استئنافية وإذ ظرف

لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وقد مر نظيره وجملة أخذ في محل جر بالإضافة والله فاعل وميثاق مفعول به والنبيين مضاف إليه (لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة) اللام المفتوحة موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف وقيل : هي للابتداء التي يتلقى بها القسم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتيتكم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ومن كتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وحكمة عطف على كتاب (ثم جاءكم رسول مصدق لِما معكم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وجاءكم فعل ماض والكاف مفعول به ورسول فاعل مؤخر مرفوع ومصدق صفة ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدق ومعكم ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (لتؤمننّ به ولتنصرنّه) الواو واقعة في جواب قسم مقدر وتؤمننّ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والأصل لتؤمنوننّ ولما التقى ساكنان حذفت الواو أيضاً وهي فاعل وبقيت الضمة دليلاً عليها ، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة لا محل لها ، وبه متعلق بتؤمننّ ، ولتنصرنه عطف على لتؤمنن وهو مثله في الإعراب والواو المحذوفة فاعل والهاء مفعول به وجملة القسم المقدر وجوابه خبر ما (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) جملة مفسرة لا محل لها وقال فعل ماض وفاعله هو والهمزة للاستفهام التقريري والتوكيدي لأن الاستفهام بمعناه الحقيقي مستحيل في حقه وأقررتم فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول وأخذتم عطف على أقررتم وعلى ذلكم جار ومجرور متعلقان

بأخذتم وإصري مفعول به والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة (قالوا أقررنا) الجملة مستأنفة لا محل لها وجملة أقررنا في محل نصب مقول القول (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) الجملة مستأنفة مسوقة لتسجيل الشهادة على إقرارهم وقال فعل ماض والفاعل هو، فاشهدوا الفاء هي الفصيحة واشهدوا فعل أمر والواو فاعل والجملة لا محل لها ، وأنا الواو حالية أو استئنافية وأنا مبتدأ ومعكم ظرف متعلق بمحذوف حال ومن الشاهدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة أنا معكم في محل نصب على الحال أو استئنافية لا محل لها .

الفوائد :

١ ـ شغلت هذه الآية المعربين كثيراً وسنورد خلاصة لأهم ماقيل فيها سالكين سبيل الاختصار .

ما يقوله سيبويه :

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » فقال : « ما » بمعنى الذي ، قال النحاس في شرحه لكتاب سيبويه : التقدير في قول الخليل : الذي آتيتكموه ثم حذفت الهاء لطول الاسم واللام لام الابتداء ، وبهذا قال الأخفش ، وتكون « ما » في محل رفع على الابتداء . وقوله : ثم جاءكم وما بعده جملة معطوفة على الصلة والعائد محذوف أي مصدق به .

ما يقوله المبرد والزّجاج والكسائي :

ما : شرطية دخلت عليها لام التحقيق كما تدخل على إن ولتؤمننّ جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق ، إذ هو بمنزلة الاستحلاف كما

تقول : أخذت ميثاقك لتفعلنّ كذا ، وهو سار مسد الجزاء . وقال الكسائي : إن الجزاء في قوله فمن تولى .

ابن هشام يرد على أبي البقاء :

وقال ابن هشام في الرد على أبي البقاء : « وأما أبو البقاء فإنه قال في « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية : من فتح اللام ففي «ما» وجهان أحدهما أنها موصولة مبتدأ والخبر إما من كتاب أي الـذي آتيتكموه من الكتاب ، أو لتؤمننّ به واللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم وجاءكم عطف عـلى آتيتكم والأصل ثم جاءكم به فحذف عائد ما والأصل مصدق له ، ثم ناب الظاهر عن المضمر ، أو العـائد ضمير استقر الذي تعلقت به « مع » والثاني أنها شرطية واللام موطئة وموضع ما نصبٌ بآتيت والمفعول الثاني ضمير المخاطب و «من كتاب» مثل « من آية » في « ما ننسخ من آية » وفيه أمور :

آ ــ إن اجازته كون من كتاب خبراً فيه الإخبار عن الموصول قبل كمـال الصلة لأن « ثم جاءكم » عطف عـلى الصلة .

ب ــ إن تجويزه كون لتؤمننّ خبر مع تقديره إياه جواباً لأخـذ الميثاق يقتضي أن له موضوعاً وأنـه لا موضع له من حيث جعله خبراً ومن حيث أنه جواب للقسم وهذا تناقض ، وإنما كان حقه أن يقدره جواباً لقسم محذوف ويقدر الجملتين خبراً ، وقد يقال : إنما أراد بقوله : اللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم ، وأخـذ الميثاق دال على جملة قسم مقدرة ومجموع الجملتين ، وإنما سمى « لتؤمننّ » خبراً لأنه الدال على المقصود بالأصالة لأنه وحده هو الخبر بالحقيقة ،

وإنه لا قسم مقدر بل « بل أخـذ الله ميثاق النبيين » هو جملة القسم ، وقد يقال : لو أراد هذا لم يحصر الدليل فيما ذكر للاتفاق على وجود المضارع مفتتحاً بلام مفتوحة مختتماً بنون مؤكدة وهو دليل قاطع على القسم وإن لم يذكر معه أخذ الميثاق أو نحوه •

ج ـ إن تجويزه كون العائد ضمير استقر يقتضي عود ضمير مفرد إلى شيئين معاً فإنه عائد إلى الموصول •

د ـ إنه جوّز حذف العائد المجرور مع أن الموصول غير مجرور ، فإن قيل : اكتفى بكلمة به الثانية فيكون كقوله :

لو أنّ ما عالجت لين فؤادها فقسا استلين به للان الجندل

قلنا قد جوز على هذا الوجه عود « به » المذكورة إلى « الرسول » لا إلى « ما » •

هـ ـ إنه سمى ضمير آتيتكم مفعولاً ثانياً وإنما هو مفعول أول •

٢ ـ اللام الموطئة للقسم:هي الداخلة على شرط وسميت موطئة لأنها توطىء ما يصلح أن يكون جواباً للشرط وللقسم فيصير جواب الشرط محذوفاً إذ ذاك لدلالة جواب القسم عليه •

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

الإعـراب :

(فمن تولى بعد ذلك) كلام مستأنف للرد على أهل الكتاب الذين

اختصموا إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم والفاء استئنافية ومن شرطية في محل رفع مبتدأ تولى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعد ظرف متعلق بتولى وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (فأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ وهم ضمير فصل لا محل له والفاسقون خبر أو « هم الفاسقون » مبتدأ وخبر والجملة خبر أولئك وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر «من».

(أفغير دين الله يبغون) الهمزة للاستفهام الانكاري ودخلت على الفاء العاطفة جملة على جملة ، والمعنى : فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ، ثم توسطت الهمزة بينهما ، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره : أيتولون فغير دين الله يبغون ، وقد تقدمت الإشارة إلى ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الافعال الخمسة والواو فاعل (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بأسلم ، وأسلم فعل ماض والجملة في محل نصب حال ومن اسم موصول فاعل أسلم وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة والأرض عطف على السموات وطوعاً وكرهاً مصدران منصوبان على الحالية بمعنى طائعين أو كارهين أو على أنهما مفعولان مطلقان لفعلين محذوفين والأول أولى (وإليه يرجعون) الواو عاطفة وإليه جار ومجرور متعلقان بيرجعون ويرجعون قرىء بالتاء والياء وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل .

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

اللغــة :

(الأسباط) : جمع سبط بكسر السين ، وهو ولد الولد . ويغلب على ولد البنت ، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن . والأسباط من اليهود مقابل القبيلة من العرب .

الإعــراب :

(قل : آمنا بالله) كلام مستأنف مسوق للطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول هو وأصحابه : آمنا بالله . ولذلك وحد الضمير في قوله : « قل » ، وجمعه في قوله : « آمنا » . وقل فعل أمر وفاعله أنت وآمنا فعل ماض وفاعل وجملة آمنا مقول القول وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا (وما أنزل علينا) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف عــلى الله وجملة أنزل علينا صلة الموصول (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) الواو حرف عطف وما اسم معطوف على ما الأولى وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وجملة أنزل صلة وعلى إبراهيم جار ومجرور متعلقان بأنزل والأسماء المتعاقبة عطف على إبراهيم (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم) عطف على ما تقــدم ، وأوتي فعــل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وما بعده عطف عليه ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بأوتي (لا نفرق بين أحد منهم) لا نافية ونفرق فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وبين ظرف مــكان متعلق بنفرق ، وأحد مضاف إليه ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لأحد والجملة حالية (ونحن له مسلمون) الو و حالية أو استئنافية ونحن مبتدأ وله جار ومجرور متعلقان بـ « مسلمون » . ومسلمون خبر نحن والجملة إما نصب على الحال وإما مستأنفة لا محل لها .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

الإعـراب :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) كلام مستأنف مسوق للشروع في الحديث عن المرتدين الذين لحقوا بالكفار ، وكانو اثني عشر رجلاً ارتدوا وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً ، منهم الحارث بن سـويد الأنصاري . والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويبتغ فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وغير : لنا فيها وجهان إما أن تكون مفعولاً به ليبتغ ودينا تمييز وإما أن تكون حالاً لأنها كانت في الأصل صفة لـ : ديناً ، ثم تقدمت عليه،وديناً على هذا الوجه مفعول به ، فلن الفاء رابطة

لجواب الشرط ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن ومنه جار ومجرور متعلقان بيقبل وجملة لن يقبل منه في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو للعطف وهو مبتدأ وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بالخاسرين ومن الخاسرين : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر هو والجملة عطف على جواب الشرط ، ويحتمل أن تكون الواو استئنافية والجملة مستأنفة بمثابة الإخبار عن حاله في الآخرة (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن المرتدين الآنفي الذكر وقيل : نزلت بشأن اليهود أو المراد هؤلاء وأولئك • وكيف اسم استفهام معناه الجحد والنفي ، أي لا يهدي الله وهو في محل نصب حال ويهدي فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء والله فاعل وقوماً مفعول به وجملة كفروا صفة لـ : قوماً وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (وشهدوا أن الرسول حق) هذا العطف من الدقائق إذ لا يصح عطفه على كفروا كما يبدو لأول وهلة لفساد المعنى فالأصح أن يعطف على ما في « إيمانهم » من معنى الفعل لأن معناه : بعد أن آمنوا بالله ، فهو من باب العطف على التوهم • ويمكن أن يقال إن الواو لا تقتضي الترتيب فهي معطوفة على كفروا ، ويجوز أن تكون الواو حالية بإضمار « قد » بعدها أي : وقد شهدوا ، والأول أمكن في المعنى وأبعد عن الوهن • وأن واسمها وخبرها وهي وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي بأن الرسول حق فيكون الجار والمجرور متعلقين بشهدوا (وجاءهم البينات) الواو عاطفة وجاءهم فعل ماض ومفعول به والبينات فاعل والجملة عطف على جملة شهدوا

ويجوز أن تكون الواو للحال بتقدير قد أي وقد شهدوا فالجملة نصب على الحال (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والظالمين صفة القوم (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان جزائهم ومصيرهم ، وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وأن وما في حيزها خبر جزاؤهم والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، ولعنة الله اسم أن المؤخر (والملائكة والناس أجمعين) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله والناس عطف أيضاً وأجمعين تأكيد مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم (خالدين فيها) خالدين : حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (لا يخفف عنهم العذاب) الجملة حال ثانية ولا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول وعنهم جار ومجرور متعلقان بيخفف والعذاب نائب فاعل (ولا هم ينظرون) الواو عاطفة ولا نافية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وينظرون أي يمهلون فعل مضارع والواو نائب فاعل والجملة في محل رفع خبر « هم » والجملة عطف على جملة لا يخفف (إلا الذين تابوا) إلا أداة استثناء والذين مستثنى وجملة تابوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (من بعد ذلك) جار ومجرور متعلقان بتابوا ، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (وأصلحوا) الجملة معطوفة على جملة تابوا (فإن الله غفور رحيم) الفاء هي الفصيحة وإن واسمها ، وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني . هذا وقد اختلف في إعراب جملة الاستثناء وأكثر المعربين يعربونها حالاً متداخلة أي حالاً من حال ، لأن خالدين حال من الضمير في « عليهم » وأعربها آخرون جملة مستأنفة وهي بذلك مسوقة لبيان خلودهم في النار ،

وجدير بالذكر أن الذي تاب هو الحارث بن سويد بن الصامت الانصاري حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه الأنصار يقول : سلوا هل لي من توبة ؟ فأرسل إليه أخوه الجلاس الآية ، فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

الإعـراب :

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وقيل هي عامة ، وإن واسمها ، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (ثم ازدادوا كفراً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وازدادوا فعل ماض والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وكفراً تمييز محول عن الفاعل أي : ازداد كفرهم ، وزاد يتعدى لاثنين ومطاوعه يتعدى لواحد فقط (لن تقبل توبتهم) لن حرف نصب وتقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن وتوبتهم نائب فاعل والجملة خبر إن (وأولئك هم الضالون) الواو حرف عطف أو استئنافية لئلا نحتاج إلى تقدير في عطف الجملة

الاسمية على الجملة الفعلية وقيل هي للحال ، والمعنى لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون وأولئك اسم إشارة . وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثان والضالون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة أو « هم » ضمير منفصل لا محل له الضالون خبر أولئك (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وماتوا عطف على كفروا وهم الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وكفار خبر والجملة نصب على الحال (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً) الفاء رابطة للجواب لما في الموصول من رائحة الشرط وإنما دخلت الفاء هنا ولم تدخل في قوله « لن تقبل منهم » لأن الفاء مؤذنة بالاستحقاق بالوصف السابق ، وهنا قال « وماتوا وهم كفار » ولم يصرح هناك بهذا القيد ، ولن حرف نصب ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن والجملة خبر إن ومن أحدهم جار ومجرور متعلقان بيقبل وملء نائب فاعل والأرض مضاف إليه وذهباً تمييز وقد اختلف في ناصبه اختلافاً حدا بالكسائي إلى ترجيح نصبه بنزع الخافض ولعله أرجح (ولو افتدى به) الواو عاطفة على محذوف وسيأتي حكمها في باب الفوائد لو شرطية غير جازمة وافتدى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف وفاعله هو وبه جار مجرور متعلقان بافتدى (أولئك لهم عذاب أليم) الجملة برأسها خبر ثان لإن وأولئك اسم إشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وأليم صفة (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر

زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر •

الفوائد :

١ ـ العطف على التوهم : جعل جمهور النحاة العطف على التوهم مطرداً ، وهو أن تتوهم أن الأمر جار على الأصل فتعطف عليه كقول زهير بن أبي سلمى :

بدا لي أني لست مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

بعطف سابق على توهم زيادة الباء في خبر ليس أي لست بمدرك ولا سابق ، وقول الآخر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

أي ليسوا بمصلحين ولا ناعب •

٢ ـ زعم نحويو البصرة أنه نصب الذهب لاشتغال الملء بالأرض ، ومجيء الذهب بعدهما ، فصار نصبها نظير نصب الحال ، وذلك أن الحال يجيء بعدها فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفاعل الذي قد شغل بفاعله • قالوا : ونظير قوله : ملء الأرض ذهباً ، في نصب الذهب في الكلام: لي مثلك رجلاً ، بمعنى لي مثلك من الرجال • وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم ، فينصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل •

٣ ـ استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى : «فلن تقبل توبتهم»

مع كون التوبة مقبولة كما في الآية الأولى وكما في قوله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » وغير ذلك ، فقيل : لن تقبل توبتهم عند الموت . قال النحاس : وهذا قول حسن ، كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن » . وقيل : الأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب ، فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة ، أو تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب ، كما أشير إليه بقوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا » الخ وبقوله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » .

٤ ــ الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط الذي اقترنت الواو به ، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى . مثاله قولك : أكرم فلاناً ولو أساء ، فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره : أكرم فلاناً لو أحسن ولو أساء ، إلا إنك نبهت بإيجاب اكرامه ان أساء ، على أن اكرامه إن أحسن بطريق الأولى، والافتداء بملء الأرض ذهباً هو جدير بالقبول ، فإن لم يقل فبطريق الأولى أن لا يقبل الافتداء بأقل من ذلك ، وهذا من دقائق النكت وأسرار لغتنا التي لا تقف عند مدى .

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

اللغـة :

(حلاً) الحلّ : بكسر الحاء مصدر حلّ ، يقال : حل الشيء حلالاً وحِلاً . ويستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع .

الإعـراب :

(لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفار ولا يقبل منهم ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتنالوا فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والبر مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتنفقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بتنفقوا وجملة تحبون لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية . واعلم أنّ هذه الآية وردت منظومة من غير قصد ، فلا تعد شعراً ، لأن الشعر عند العروضيين هو المنظوم بقصد ، وهذه الآية بيت كامل من مجزوء الرّمل ، ويأتي على الشكل التالي :

لـن تنالـوا البرّ حتى   تنفقـوا مـا تحبّون

وسيرد الكثير من الآيات الموزونة بغير قصد الشعر .

(وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل ومن شيء جار ومجرور متعلقان بتنفقوا فإن الفاء

رابطة لجواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له ، وقد وقعت موقعه والتقدير : فيجازيكم بحسبه ومقداره فإنه عليم بكل شيء ، وإن واسمها، وعليم خبرها وبه : جار ومجرور متعلقان بعليم (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لتفنيد تخرصات اليهود إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم ، وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل ولا ألبانها ، وأنت تأكل ذلك وتشربه ، فلست على ملته . وكل مبتدأ وجملة كان حلاً خبره وكان فعل ماض واسمها هو وحلاً خبرها ولبني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بقوله « حلاً » وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف والمانع له العلمية والعجمة (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) إلا أداة استثناء وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من اسم كان المستتر وجملة حرم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وإسرائيل فاعل وعلى نفسه جار ومجرور متعلقان بحرم والمراد بإسرائيل يعقوب وجملة الاستثناء حالية (من قبل أن تنزل التوراة) اختلف المعربون في تعليق من قبل والظاهر أنه متعلق بـ « حلاً » لمناسبة المعنى وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لقبل والتوراة نائب فاعل (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) الجملة مستأنفة مسوقة لقطع الطريق على جوابهم والفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي إذا كنتم واثقين من أقوالكم وأصررتم عليها فأتوا بالتوراة ، وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالتوراة متعلقان بأتوا والجملة مقول القول ، فاتلوها الفاء عاطفة واتلوها فعل أمر مبني على حذف النون

والواو فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه « فأتوا بالتوراة » (فمن افترى على الله الكذب) جملة مستأنفة مسوقة لوصف المفترين بالظالمين والفاء استئنافية ومن اسم شرط غير جازم في محل رفع مبتدأ وافترى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر يعود على « من » ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى والكذب مفعول به (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بافترى أو بمحذوف حال (فأولئك هم الظالمون) الفاء رابطة لجواب الشرط وألئك اسم إشارة مبتدأ وهم مبتدأ ثان والظالمون خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وهم ضمير فصل ، والظالمون خبر أولئك وجملة الإشارة وما بعدها في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » •

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

اللغـة :

(بكة) لغة في مكة ، وسميت مكة لأنها قليلة الماء تقول العرب :

مك الفصيل ضرع أمه وأمكه إذا امتص ما فيه من اللبن . وفي القاموس ما يدل على أنها سميت بذلك لأنها تمك الذنوب أي تمحوها وتزيلها . أما بكة فقد سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة ، أي تذلهم وتهلكهم . وقيل : من بكه اذا زحمه ، سميت بذلك لازدحام الناس فيها . قال :

اذا الشريب أخذته الاكه فخله حتى يبك بكه

هذا وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها مكة وبكة والبيت العتيق والبيت الحرام والبلد الأمين والمأمون وأم رحيم وأم القرى وصلاح والعرش والقادس لأنها تطهر من الذنوب والمقدسة والناسة بالنون وبالباء أيضاً والحاطمة والرأس وكوثاء والبلدة والبنية والكعبة .

الإعراب :

(قل : صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً) كلام مستأنف مسوق للتعريض بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون . وقل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وصدق الله فعل ماض وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول فاتبعوا : الفاء هي الفصيحة أي إذا أردتم النجاة بعد أن ثبت لكم ذلك على الوجه الأكمل فاتبعوا ، واتبعوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وملة مفعول به وإبراهيم مضاف إليه وحنيفاً حال (وما كان من المشركين) الواو حالية وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستترتقديره هو يعود على إبراهيم

ومن المشركين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) كلام مستأنف مسوق للدلالة على أن أول مسجد وضع للناس هو المسجد الحرام ثم بيت المقدس وأول من بناه إبراهيم عليه السلام ، وإن واسمها وبيت مضاف إليه ووضع فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وللناس جار ومجرور متعلقان بوضع والجملة صفة لبيت وللذي اللام المفتوحة هي المزحلقة والذي اسم موصول في محل رفع خبر إن وببكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (مباركاً وهدى للعالمين) مباركاً حال من اسم الموصول أو من الضمير المستكن في متعلق الجار والمجرور وهدى عطف على مباركاً وللعالمين جار ومجرور متعلقان بهدى أي هادياً لهم (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وبينات صفة لآيات والجملة مستأنفة لبيان بركته وهداه ؛ ومقام مبتدأ خبره محذوف أي منها مقام إبراهيم أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدها أي أحد تلك الآيات البينات مقام ابراهيم والجملة استئنافية .

وسترى في باب الفوائد مناقشة طريفة وما أوردناه هو الأولى (ومن دخله كان آمناً) الواو استئنافية ومن شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويجوز أن تكون موصولية ودخله فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل هو والهاء مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض وقد تقدم إعرابه وكان فعل ماض ناقص في محل جزم جواب الشرط واسمه هو وآمناً خبر كان وفعل الشرط وجوابه خبر من

الشرطية والموصولة (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لفرض الحج والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعلى الناس جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الخبر وهو « لله » وحج مبتدأ مؤخر والبيت مضاف إليه ومن اسم موصول في محل جر بدل من الناس بدل بعض من كل أو اشتمال والضمير محذوف أي منهم وأعربها بعضهم فاعلاً بـ « حج » وفيه نظر يأتيك تفصيله الممتع في باب الفوائد ، وجملة استطاع صلة الموصول وإليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً فلما تقدمت عليه أعربت حالاً (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ أو اسم موصول وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو والفاء تعليل لجواب الشرط المقدر أي فلن يضر الله فان الله عنه غني ، وعلى كل حال فالجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وفعل الشرط وجوابه خبر وإن حرف مشبه بالفعل والله اسمها وغني خبرها وعن العالمين جار ومجرور متعلقان بغني .

الفوائد :

١ ـ للنحاة كلام طويل اشتجر فيه الخلاف بينهم وشايعهم المفسرون فهاموا في كل واد ، حتى كاد يفوتهم المراد ، ولو أنهم جنحوا الى السهولة لاختاروا الوجه الذي اخترناه فأراحوا واستراحوا ، ولكنهم خاضوا في القول واستغلوا طاقاتهم النحوية القوية ، فأتوا في مناقشاتهم بالممتع المطرب ، وسنعرض لك هنا خلاصة عن تلك المناقشات لتكون تسجيلاً تاريخياً لاشتجار الآراء وشاهداً لموضوعية الفكر .

قال الزمخشري : مقام : عطف بيان من آيات ، ورد عليه النحاة فقالوا : إنه خرق لإجماع النحاة الذين قرروا أن النكرة لا تبين بالمعرفة وجمع المؤنث السالم لا يبين بالمفرد المذكر . وقالوا : لا يجوز أن يكون بدلاً من آيات لأنهم نصوا على أن المبدل منه إذا كان متعدداً وكان البدل غير واف بالعدة تعين القطع . ورد عليهم أنصار الزمخشري بأنه أي الزمخشري كان مجتهداً فلا يبالي بمخالفة الإجماع .

وابن جني أجاز خرق الاجماع :

وقال ابن جني : إنه يجوز خرق الإجماع في الفنون الأدبية .

ما يقوله جلال الدين السيوطي :

وقال الجلال السيوطي في حاشيته على البيضاوي ما نصه : « قوله ، مبتدأ محذوف خبره ، أي أحد الوجوه في « مقام » قال الشهاب الحلبي : وهو المختار . وقال الزمخشري هو عطف بيان ورد عليه بأن « آيات » نكرة و « مقام إبراهيم » معرفة ، ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البصريين والكوفيين . وقال الصفاقسي : يحتمل أن يكون الزمخشري أطلق عطف البيان وأراد به البدل كالجماعة تسمحاً ، وكذلك قال ابن هشام في المغني : قد يكون عبر عن البدل بعطف البيان لتآخيهما . ويؤيده قوله في « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » أن « من وجدكم » عطف بيان لقوله : « حيث سكنتم » وهذا سيبويه إمام الصنعة يسمي التوكيد صفة ،

وإنما نقلنا هذا الكلام وهو غيض من فيض ــ للاستمتاع وترويض الذهن ، وقد أغنانا إعراب « مقام » مبتدأ خبره محذوف أو خبر لمبتدأ محذوف عن كل هذا التطويل .

٢ ــ المناقشة الثانية في « من استطاع » :

ما ارتئيناه من إعراب « من » بدلاً من « الناس » هو المختــار ، وقال بعض النحاة : « من » فاعل حج لأنه مصدر يعمل عمل فعله ، والمصدر مضاف إلى مفعوله . ورد النحاة عليه بأنه يجب على الناس أن يحج مستطيعهم ، وذلك باطل . وأجاب التاج السبكي عن ابن السيد فقال : ولا مانع من أن يكون في الحج شيئان : فرض كفاية عــلى كل الناس أن يحج مستطيعهم فإن لم يحج أثم الخلق كلهم ، وفرض عين على المستطيع . ولا حاجة إلى كل هذا التكلف ، والاخذ والرد . وذلك باعراب « من » بدلاً من الناس ، فتأمل واللــه يرشدك .

هذا وقد أعرب الكسائي « من » شرطية في محل رفع مبتدأ وجوابها محذوف والتقدير : من استطاع فليحج أو فعليه أن يباشر الحج بنفسه .

* * *

فهرس المجلد الأول

المقدمـــة	٥
اعراب الاستعاذة	٧
اعراب البسملة	٨
اعراب سورة الفاتحة	١٢
اعراب سورة البقرة	٢١
اعراب سورة آل عمران	٤٥٣
الفهـــرس	٥٧١

انتهى المجلد الأول ويليه المجلد الثاني

من الآية «٩٨» من سورة آل عمران